جـامعـــة النجاح الوطنية

كليـــة الدراســـات العليـــا

دور السنّة النّبويّة في التحصين من الانحراف العقديّ، دراسة في صحيح البخاريّ

إعداد

سيّد عبد الوهاب مصطفى سيّد أحمد

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس– فلسطين.

2026

دور السنّة النّبويّة في التحصين من الانحراف العقديّ، دراسة في صحيح البخاريّ

إعداد

سيّد عبد الوهاب مصطفى سيّد أحمد

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2026/1/26 م، وأجيزت:

د. محمد راغب الجيطان	
المشرف الرئيسي	التوقيع
د. زهران زهران	
الممتحن الخارجي	التوقيع
د. حسين النقيب	
الممتحن الداخلي	التوقيع

الإهداء

إلى أحسن من وطئت قدماه الثّرى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلّم

ثمّ إلى خير جيل بعد الأنبياء جيل الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين

وإلى أمي التي ضحّت كثيراً لترى أثر التربية الإيمانية علينا

وإلى رجالات فلسطين ونسائها في أرض العزّة من باعوا أنفسهم لله عساه يتقبّلها منهم

وإلى علماء الأمّة الذين ضحَّوا بالغالي والنّفيس وصمدوا في وجه الظّلم والانحراف

وإلى الأبطال خلف القضبان الذين تعاهدوا على صون العقيدة في فلسطين وخارجها

وإلى زوجتي وأبنائي الصّابرين على اقتطاعي من أوقاتهم في سبيل العلم

وإلى إخواني وأخواتي الذين ناصروني في مسيرة العلم والإيمان

وإلى كل مسلم كان وسيكون على وجه العالم إنسيّاً أو جنّياً

الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وبتوفيقه تُنال الدّرجات، فمعَ وصولي إلى هذه المحطة من مسيرتي العلميّة، أقف بامتنانٍ عميق لأولئك الذين كانوا لخطواتي سنداً، ولعزيمتي وقوداً، فإلى مَن سكبوا من روحهم في سبيل نجاحي، ومَن آمنوا بي حين تملّكني الشكّ أهدي ثمرة هذا الجهد. وأخصّ منهم في البداية الدكتور محمد الجيطان الذي وعد فأوفى فكان خير معلم، وأخصّ بذلك أيضاً أعضاء الهيئة التّدريسية في كليّة الشّريعة في جامعة النجاح الوطنية، فأنتم معلميّ الأفاضل، المنارات التي أضاءت لي دروب المعرفة، فأتقدّم إليكم بوافر الشّكر وعظيم الامتنان على ما قدّمتموه لي من علمٍ نافع، وتوجيهٍ سديد، وصبرٍ طويل، فلم تكونوا مجرد ناقلين للمعلومة، بل كنتم قدوةً في الفكر والمنهج، وإليكم يعود الفضل في تصويب فكري وتوسيع آفاقي العلمية.

وإنه يطيب لي أن أزجي آيات الشّكر والثّناء لأعضاء لجنة التّحكيم الموقّرين، الدّكتور حسين النّقيب والدكتور زهران عمر، اللذيْن منحاني من وقتهما الثّمين وخبراتهما الواسعة لتقييم هذا الجهد المتواضع.

إنّني ممتنٌ لكلّ حرفٍ سيوجّهني، ولكلّ ملاحظةٍ ستُقوّم هذا العمل، فبخبرتكم وعلمكم تكتمل ملامح هذا البحث وتزداد قيمته العلميّة، والشّكر موصول لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النّور، ولكلّ من كانت له بصمة تؤثّر من قريب أو بعيد فيه.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

دور السنّة النّبويّة في التحصين من الانحراف العقديّ،

دراسة في صحيح البخاريّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **سيّد عبد الوهاب مصطفى سيّد أحمد**

التوقيع: سيّد عبد الوهاب مصطفى سيّد أحمد

التاريخ: **2026/1/29م**

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

الشكر ..... د

الإقرار ..... هـ

فهرس المحتويات ..... و

الملخّص ..... م

مقدمة 1

أهمية الدراسة 2

سبب اختيار الدراسة 2

مشكلة الدراسة 2

أهداف الدراسة 3

حدود الدراسة 3

منهجية الدراسة 3

الدراسات السابقة 4

الفصل الأوّل: مدخل إلى مفاهيم الدّراسة 6

المبحث الأوّل: مفهوم التحصين في ضوء السنّة النبويّة 6

المطلب الأول: مفهوم السنّة في اللغة والاصطلاح 6

المسألة الأولى: معنى السنّة لغةً: 6

المسألة الثانية: معنى السنّة اصطلاحاً: 6

المطلب الثاني: مفهوم التحصين في اللغة والاصطلاح 7

المسألة الأولى: معنى التحصين لغةً: 7

المسألة الثانية: معنى التحصين اصطلاحاً 8

المطلب الثالث: مفهوم "التحصين في ضوء السنّة النبوية" 8
المبحث الثاني: مفهوم الانحراف العقديّ 9
المطلب الأول: مفهوم الانحراف في اللغة والاصطلاح 9
المسألة الأولى: معنى الانحراف لغةً 9
المسألة الثانية: معنى الانحراف اصطلاحاً 9
المطلب الثاني: مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح 10
المسألة الأولى: معنى العقيدة لغةً: 10
المسألة الثانية: معنى العقيدة اصطلاحاً: 10
المطلب الثالث: مفهوم "الانحراف العقديّ"، وأهم معاييره 11
المبحث الثالث: التعريف بالكتب التي اعتنت بالجانب العقديّ عند البخاري في صحيحه 12
المطلب الأول: باب بدء الوحي 12
المطلب الثاني: كتاب الإيمان 13
المطلب الثالث: كتاب بدء الخلق: 14
المطلب الرابع: كتاب أحاديث الأنبياء 15
المطلب الخامس: كتاب القدر 15
المطلب السادس: كتاب الفتن 16
المطلب السابع: كتاب التوحيد 17
الفصل الثاني: أسباب الانحراف العقديّ، ومظاهره 19
المبحث الأول: الأسباب الذاتية للانحراف العقديّ 19
المطلب الأول: الجهل كونه سببا ذاتيا للانحراف العقدي 20
المسألة الأولى: مفهوم الجهل وحقيقته في السنّة المطهرة 20
المسألة الثانية: أهم مظاهر الجهل التي تجعله سبباً من أسباب الانحراف العقدي 21
المظهر الأول: تجنب السؤال عما يجول في الفكر من شبهات عقدية 21

المظهر الثاني: عدم التثبت من الأخبار 23
المظهر الثالث: الجهل بالمقصد الشرعي..... 24
المظهر الرابع: تجاوز حدود العقل..... 25
المظهر الخامس: الجهل بمدى الاستفادة من الأمم المحيطة بغير المسلمين 27
المظهر السادس: التسرع في إصدار الأحكام..... 28
المظهر السابع: الانغماس في الخرافات:..... 29
المطلب الثاني: اتّباع الهوى من الأسباب الذاتية للانحراف العقدي 31
المسألة الأولى: مفهوم اتّباع الهوى ودلالة القرآن الكريم والسنة المطهرة على خطره: 31
المسألة الثانية: أهم مظاهر اتّباع الهوى التي تجعله مِن الأسباب الذاتية للانحراف العقدي: 33
المظهر الأول: وضع الأحاديث على النّبي صلى الله عليه وسلم:..... 33
المظهر الثاني: التعصب للنفس أو البلد أو المذهب أو للحزب أو الأشخاص، وتقديس الدولة الحديثة، وتقديس الحدود الوضعية، والقوانين الوضعية التي استَبدَلت قوانين الدين 35
المظهر الثالث: الغلو في الدين وفي التعامل مع الأشخاص: 36
المظهر الرابع: عبادة المال: 38
المظهر الخامس: شهوة السلطة الموصلة إلى الغيّ:..... 40
المبحث الثاني: الأسباب الخارجية للانحراف العقديّ 42
المطلب الأول: أثر غياب دور الأسرة في التحصين العقدي 42
المسألة الأولى: خطورة غياب دور الأسرة في التحصين: 42
المسألة الثانية: مظاهر غياب دور الأسرة في التحصين العقدي..... 43
المظهر الأول: جهل بعض الأسر بأصولَ عقيدتها..... 43
المظهر الثاني: غياب رقابة الوالدين أو أحدهما تجاه أبنائهم 44
المطلب الثاني: التقليد والتبعية العمياء من الأسباب الخارجية للانحراف العقدي..... 47
المسألة الأولى: أثر التقليد والتبعية العمياء في الانحراف العقدي 47

المسألة الثانية: أهم مظاهر التقليد والتبعية العمياء في كونها من أسباب الانحراف العقدي..... 48
المظهر الأول: تقليد أهل الكتاب والثقافة الإغريقية في عقائدهم وتجسيد الآلهة وتعددها 48
المظهر الثاني: تقليد دعاة الإلحاد 50
المظهر الثالث: الغلو في التعامل مع الصالحين وتقديسهم:..... 51
المطلب الثالث: مخالطة أهل الأهواء والبدع من أسباب الانحراف العقدي 52
المسألة الأولى: التأثر بأهل الأهواء والبدع من أسباب الانحراف العقدي..... 52
المسألة الثانية: أهم مظاهر التأثر بأهل الأهواء والبدع التي هي من أسباب الانحراف العقدي 54
المطلب الرابع: حقيقة تربص أعداء المسلمين بهم وكونها من أسباب الانحراف العقدي 55
المسألة الأولى: تربص أعداء المسلمين بهم من أسباب الانحراف العقدي 55
المسألة الثانية: أهم مظاهر تربص أعداء المسلمين بهم، وكونها سبباً للانحراف العقدي: 56
أولاً: المتربصون ممن يعيشون داخل المجتمع المسلم من غير المسلمين:..... 56
ثانياً: المتربصون من أهل الكفر والبدع والأهواء من خارج المجتمع المسلم 57
المبحث الثالث: الأسباب المنهجية العلمية للانحراف العقديّ 59
المطلب الأول: ضعف التكوين العلمي في تلقي المعطيات 59
المسألة الأولى: الضعف في تلقي المعطيات:..... 59
المسألة الثانية: مظاهر ضعف التكوين العلمي في تلقي المعطيات:..... 61
المظهر الأول: تقديم العقل على النقل: 61
المظهر الثاني: تقديم الوجدان والقلب على العقل والنقل..... 63
المظهر الثالث: ابتكار مصادر جديدة للتلقي..... 63
المطلب الثاني: ضعف المنهجية العلمية في الاستدلال على النتائج..... 68
المسألة الأولى: التوظيف الخاطئ لمصادر المعرفة في الاستدلال على النتائج 68
المظهر الأول: التوظيف الخاطئ في الاستدلال بالعقل:..... 75
المظهر الثاني: التوظيف الخاطئ في الاستدلال بالنقل:..... 78

الفصل الثالث: قواعد التحصين من الانحراف العقديّ في ضوء صحيح البخاريّ 82
المبحث الأول: القواعد النبوية الوقائية في التحصين من الانحراف العقديّ 83
المطلب الأول: قاعدة تعزيز اليقين بأصول الإسلام 83
المطلب الثاني: قاعدة تكوين العقل النّاقد 91
المطلب الثالث: قاعدة التأصيل العلمي الشرعي 96
المطلب الرابع: قاعدة تحديد مصادر التلقي والمعرفة، وتجلية موقف الإسلام منها 99
المطلب الخامس: قاعدة تجنب التعرض للشبهات من غير المختص 102
المبحث الثاني: القواعد النبوية العلاجية في التحصين من الانحراف العقديّ 107
المطلب الأول: قاعدة توظيف العقل الناقد في تفنيد الشبهات: 107
المطلب الثاني: قاعدة سؤال أهل العلم كل في اختصاصه: 109
المطلب الثالث: قاعدة الرجوع إلى الدراسات المتعلقة بتفنيد الشبهات والرد عليها 113
المطلب الرابع: قاعدة عدم التعامل مع الوَسْوَسة كالتعامل مع الشبهة 116
المبحث الثالث: القواعد النبوية المهاريّة في التصدي للانحراف العقديّ 121
المطلب الأول: قاعدة استيعاب مذهب المحاور والإلمام بأصول الشبهة 121
المطلب الثاني: قاعدة الاتفاق على قاعدة مشتركة في الحوار 124
المطلب الثالث: قاعدة تحرير محل النزاع 127
المطلب الرابع: قاعدة عدم الاكتفاء بالدفاع في الحوار 129
المطلب الخامس: قاعدة: إن كنت مدعيا فالدليل، أو ناقلا فالصحة: 131
المبحث الرابع: آليات التحصين من الانحراف العقدي في عصرنا الحاضر 134
المطلب الأول: تفعيل دور العلماء وإبراز الثقات للمجتمع 134
المطلب الثاني: تفعيل دور الأسرة في التربية والتحصين العَقَديّ 137
المطلب الثالث: تفعيل دور المؤسسات التعليمية والإعلامية: 140
المطلب الخامس: تفعيل دور المراكز البحثية في المدارس والجامعات، والمراكز الخاصة: 145

الفصل الرابع: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ 148
المبحث الأوّل: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال الوجداني (العاطفي والإيماني) 148
المطلب الأول: تعميق محبة الله ومحبة ورسوله ﷺ: 148
المسألة الأولى: محبة الله: 149
المسألة الثانية: محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم: 150
المطلب الثاني: الرجاء والخشية: 151
المسألة الأولى: الرجاء:..... 152
المسألة الثانية: الخشية:..... 153
المطلب الثالث: الارتباط الروحي بالسنة: 154
المطلب الرابع: الشعور بالانتماء للأمة: 155
المبحث الثّاني: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال العقلي 158
المطلب الأول: بناء التفكير النقدي: 158
المطلب الثاني: حماية الفكر من الشبهات: 163
المطلب الثالث: تنمية الوعي العقدي:..... 165
المطلب الرابع: تكوين العقل المتّزِن:..... 167
المبحث الثّالث: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال النفسي..... 169
المطلب الأول: الطمأنينة الداخلية: 169
المطلب الثاني: الثبات النفسي أمام الفتن: 171
المطلب الثالث: الحماية من الوسواس العقدي:..... 173
المطلب الرابع: السكينة في مواجهة الأسئلة الوجودية: 174
المسألة الأولى: التعريف بالأسئلة الوجودية وعلاقة التحصين العقدي النبوي بها: 174
المسألة الثانية: المنهج النبوي يجيب عن سؤال: من أين أتى الوجود؟ 176
المسألة الثالثة: المنهج النبوي يجيب عن الأسئلة: مَن أنا؟ ولماذا أتيت؟..... 176

المسألة الرابعة: المنهج النبوي يجيب عن سؤال: إلى أين المصير؟ 177
المسألة الخامسة: المنهج النبوي يجيب عن سؤال: لماذا يوجد الألم والشر في العالم؟ 178
المبحث الرّابع: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال السلوكي 180
المطلب الأول: الالتزام العملي: 180
المسألة الأولى: الأعمال اليومية الحياتية: 180
المسألة الثانية: تطبيق الشرائع:..... 181
المطلب الثاني: الانضباط في الأخلاق: 183
خاتمة..... 186
وفيها أهم النتائج والتوصيات 186
أولاً: أهم النتائج:..... 186
ثانياً: التوصيات: 187
قائمة المراجع..... 188
Abstract ..... B

دور السنّة النّبويّة في التّحصين من الانحراف العقديّ، دراسة في صحيح البخاريّ

إعداد

سيّد عبد الوهاب مصطفى سيّد أحمد

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

الملخّص

هدفت الدّراسة إلى الوقوف على المنهج النّبويّ في تحصين الأمّة من الانحرافات العقدية، خاصة في ظل التّحديات الفكريّة المعاصرة، حيث تتجلى عبقريّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في كونه لم يكتفِ بتقرير العقائد فحسب، بل وضَع منظومة متكاملة تحمي العقل المسلم من التّشتّت والزّيغ، وقد ظهر جامع الإمام البخاريّ كأهمّ المراجع التي ضبطت أصول الاعتقاد فصاغ منظومة دفاعية وتحصينية متكاملة، كل ذلك وفق المنهج الاستقرائيّ والتّحليليّ والاستنباطيّ.

وقد جاءت الدّراسة في أربعة فصول، الأوّل منها كان مدخلا إلى مفاهيم الدّراسة، وأما الثّاني فجاء فيه بيان أسباب الانحراف العقديّ، وأما الثالث فقد هدف إلى بيان قواعد التّحصين من الانحراف العقديّ في ضوء صحيح البخاري، وبيّن الفصل الرابع آثار التّحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ.

ومن أهمّ ما خلصت إليه هذه الدّراسة: تصنيف أسباب الانحراف إلى ثلاثة أبعاد: ذاتية كالجهل، وخارجيّة مثل تعطيل دور الأسرة، ومنهجية علميّة كضعف التّكوين العلميّ، كما بيّنتْ معالم المنهج النّبويّ في تحصين الأمّة الإسلاميّة من الانحرافات عبر منظومة من القواعد الوقائيّة والعلاجيّة والمهاريّة اللازمة لدفع الشّبهات والانحرافات العَقَديّة، مع إبراز الآثار الإيجابيّة لهذا التّحصين على جوانب شتّى من حياة الأمّة المسلمة كالجانب النّفسيّ والعقليّ.

الكلمات المفتاحيّة: السّنّة النّبويّة، التّحصين، الانحراف العقديّ، البخاريّ.

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله الذي جعل كتابه هدى للحائرين، وحصناً للمؤمنين، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، والصّلاة والسّلام على الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، ونعمة للمؤمنين صلّى الله عليه وسلّم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّد عبده ورسوله، وبعد:

يُعَدّ القرآن الشّفاء التّام من أدواء الشّبهات والضّلالات، وهو الرّحمة التي تُثبّت القلوب على الحقّ في زمن المتغيّرات الفكريّة المتسارعة، خصوصاً في هذا الوقت الذي يعجّ فيه العالم بالشّبهاتِ الفكريّة والعقديّة والمؤسساتِ والدولِ التي تعمل على هدم العقيدة الإسلاميّة، وإنّ رحلتي في استقصاء المنهج النّبويّ من خلال صحيح البخاريّ قد كشفت ليَ أنّ السنّة النّبويّة هي تّطبيق عمليّ لهذا الشّفاء القرآنيّ؛ فقد ضبطت أصول الاعتقاد وصانت العقل المسلم من الانحراف والزّيغ. وفي هذه المسيرة العلميّة أغترف من المعين النّبويّ الصّافي، وقد تبيّن أنّ التّحصين العقديّ يبدأ من فهم الوحيين كمنظومة متكاملة تبني النّفس وتُحيي القلب.

قام الباحث في هذه الدّراسة باستقراء صحيح البخاريّ كاملاً، لتتبّع أسباب الانحراف العقديّ كما وردت في السنّة النّبويّة من خلال صحيح البخاريّ، وتبيان المنهج النبوي في التحصين من الانحراف العقديّ، وتوضيح آليات تطبيق المنهج النبوي في واقعنا المعاصر، ثم قام بتجلية آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجالات الوجدانية والعقلية والنفسية والسلوكية.

ولأنّ هدف الدراسة بيان دور السنّة النبوية في التحصين من الانحراف العقدي من خلال صحيح الإمام البخاري فقد وسمتها باسم: "دور السنّة النّبويّة في التحصين من الانحراف العقديّ، دراسة في صحيح البخاريّ"، سائلاً مولاي الكريم أن يمنّ على هذه الرسالة بالسداد والقبول، فما كان فيها من صواب فهي منّة

من الله على الفقير، وما كان فيها من خطأ فمن زلّات نفسي ومن الشيطان، والله الموفق وإليه الأمر من قبل ومن بعد.

أهمية الدراسة

تتبع أهمّيّة هذه الدّراسة مما يأتي

1. تأتي أهمية هذه الدراسة من الدور المنوط بها، وذلك بتفنيد الانحرافات العقدية، وتقعيد قواعد التصدي لها، وبخاصة في واقعنا المعاصر الذي يعج بذلك.

2. تسلط الدراسة الضوء على المنهج النبويّ في تحصين الصّحابة من الانحرافات التي واجهتهم في دينهم، وبخاصّة الانحرافات العَقَديّة

3. ترسم الدراسة خطة تقريبيّة يمكن السّير عليها اقتداء بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، في تحصينه الفرد والمجتمع المسلم، وفي معالجته للشّبهات الحادثة، وفي إعداد الصحّابة فكريّا ودينيّا ونفسيّا لمواجهة ما قد يستجد لهم من الشّبهات.

سبب اختيار الدراسة

اعتمد الباحث على كتاب صحيح البخاري؛ كونه أهمّ كتاب بعد القرآن الكريم وأصحّها، ولأنّ الباحث وجد في الصحيح منهجاً شاملاً في علاج الانحرافات العقدية والإجابة عن الشبهات التي تعرض للمسلم.

مشكلة الدراسة

جاءت هذه الدّراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أسباب الانحراف العقديّ، وما مظاهره؟

2. ما قواعد التحصين من الانحراف العقديّ في ضوء صحيح البخاري؟

3. ما آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجالات الوجدانية والعقلية والنفسية والسلوكية؟

أهداف الدراسة

تتمثل أهداف الدّراسة بما يأتي:

1. إبراز أسباب الانحراف العقديّ، وتوضيح مظاهره.

2. تقعيد قواعد التحصين من الانحراف العقديّ في صحيح البخاري.

3. تجلية آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجالات الوجدانية والعقلية والنفسية والسلوكية.

حدود الدراسة

تقوم هذه الدراسة على استقراء كامل صحيح البخاري دون غيره من أمهات كتب الحديث، مع زيادة اهتمام بالكتب التي اهتمت بالجانب العقدي عند البخاري في صحيحه.

منهجية الدراسة

اتّبع الباحث في دراسته المناهج الآتية:

1. المنهج الاستقرائيّ: وذلك باستقراء الأحاديث الواردة في موضوع التحصين النّبويّ من الانحراف الفكري في صحيح البخاري كاملاً، مع مزيد اهتمام بالكتب التي اعتنت بالمسائل العَقَديّة عند البخاري، وكتب شرّاح الصحيح ممن اعتنى ببيان القضايا الفكرية.

2. المنهج التحليليّ: وذلك بالنظر والتحليل للأحاديث التي تم استقراؤها، للوقوف على أسباب الانحراف العقديّ، وبيان أصول التحصين النّبويّ منه، وذلك بعد النّظر والاستعانة بمصنّفات شرّاح الحديث والكتب التي تناولت الجوانب الفكرية والعَقَديّة.

3. المنهج الاستنباطيّ: وذلك باستنباط مظاهر ومعلومات مهمة استُعمِلت في وصف قواعد التعامل مع الانحرافات القديمة، واستنباط الأسس التي يمكن من خلالها الاستفادة مما سبق في وصف طرق التعامل مع الانحرافات المعاصرة.

الدراسات السابقة[1]:

1. مجالات الحصانة الفكريّة في ضوء السنّة النّبويّة: دراسة موضوعيّة[2]، هدفت الباحثتان في الدّراسة: إلى تعداد المجالات المتنوّعة للحصانة الفكريّة في السنّة النّبويّة، مع تمثيل مبسّط لكلّ مجال يجدانه، وجمع الأحاديث التي تناولت الحصانة الفكرية، من خلال المجالات المتعددة، وذلك لمحاولة الوقوف على المنهج الأمثل، في تحصين الفرد والمجتمع، من التيارات الفكرية المنحرفة، وكان من أهمّ نتائج الدراسة: أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم حرص على تحصين فكر المسلمين بناء على مرجعية تتمثل بالقرآن والسنة.

2. الحصانة الفكريّة في ضوء السنّة النّبويّة[3]، وقد هدفت الدّراسة إلى البحث في الحصانة الفكريّة بإجمالها، وكشفت عن وسائل، استعملها النّبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق الحصانة الفكريّة للصّحابة الكرام رضوان الله عليهم. وعكست الباحثة ذلك على الواقع المعاصر لتفعيل الدّراسة، ومن أبرز نتائج الدراسة أنّ حجر الأساس لنشر الدين الصحيح هو سلامة الفكر، وأنّ أهم أسباب الانحراف الفكري هو الخوض في عالم اللا إدراك مع كثرة السؤال والتكلف.

---

[1] هناك دراسات أخرى قريبة من الدّراسات التي أوردتها، مثل: 1- فارس، رامي تيسير، **الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية**، رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية- غزة، 2012م. 2- النويهي، سهام محمود، **الأمن الفكري في السنة النبوية الشريفة**، فكر وإبداع – مصر، 2012م. 3- اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، بحث مقدم لجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية لـ0لسنة النبوية والدراسات الاسلامية، ط1، 2012م. 3- بخوش، عبد القادر، **حماية الأمن الفكري في السنة النبوية -النظرية والتطبيق -**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية -قسنطينة-. 4- الهذيلي، ماجد بن محمد بن علي، **مفهوم الأمن الفكري"دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام**، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الثّقافة الاسلامية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 1432-1433 هـ. وغيرها.

[2] اسليم، ليلى محمد، وخليل، إسراء عطا، **مجالات الحصانة الفكريّة في ضوء السّنّة النّبويّة: دراسة موضوعيّة**، مجلّة البحوث والدّراسات الشّرعيّة، مج5، ع 56، 2016م.

[3] خليل، إسراء عطا، **الحصانة الفكريّة في ضوء السّنّة النّبويّة** رسالة ماجستير بكلّيّة أصول الدّين في الجامعة الإسلاميّة في غزّة، 1435هـ.

3. القواعد العقدية في تعزيز المناعة الفكرية[1]، هدفت الباحثة إلى إبراز أهمية قواعد العقيدة الإسلامية، وأهدافها النبيلة، في تحقيق الأمن الفكري لدى الفرد والجماعة. ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها أنّ العقيدة الإسلامية سبب في الوسطية لا التطرّف، وأنّ الانحراف عنها سبب الغلو وفساد الاعتقاد.

4. الحصانة الفكرية في ضوء الحديث الشريف[2]، حدّد الباحث في الدّراسة معنى مصطلح الحصانة الفكريّة، حيث يرى بأنّها: "التّمسّك بعقيدة التوحيد الخالص، وتنظيم أوليّات تفكير وضبط تبادل المعلومات بين المسلم وغيره"، فبحث في أوليّات التّفكير، وفي ضوابط اكتساب المعلومات، وضوابط تبليغها، وكل ذلك جاء مختصراً جدّاً.

والجديد في هذه الدراسة: التركيز على التحصين النّبويّ في الجانب العقديّ، والوقوف على منهجية النّبي صلى الله عليه وسلم في تقرير العقيدة في قلوب الصحابة، واستنباط طرق معالجة النّبي صلى الله عليه وسلم للوساوس والشبهات، والبحث في كيفية تحصينه صلى الله عليه وسلم المجتمع المسلم من الشبهات قبل حدوثها، ومعالجتها بعد حدوثها، وتعليم الصحابة المهارات للتعامل مع الانحرافات العقديّة، ومما يميز هذه الدّراسة أيضاً اختصاصها بالبحث في صحيح البخاري فقط دون كتب السنّة الباقية، لأنّ صحيح البخاري أصح الكتب بعد القرآن الكريم، ولكونه يتميز باحتوائه على منهج شامل في علوم متعددة منها الجانب العقدي والرد على الشبهات والانحرافات.

[1] الفوزان، بدرية بنت محمد، **القواعد العقدية في تعزيز المناعة الفكرية**، مجلة البحوث الأمنية، مج21، ع53، 2012م.

[2] الشريفين، محمد عيسى، **الحصانة الفكرية في ضوء الحديث الشريف**، المجلّة الأردنيّة في الدّراسات الإسلاميّة، مج5، ع1، 2009م.

الفصل الأوّل

مدخل إلى مفاهيم الدّراسة

المبحث الأوّل: مفهوم التحصين في ضوء السنّة النبويّة

المطلب الأول: مفهوم السنّة في اللغة والاصطلاح

المسألة الأولى: معنى السنّة لغةً:

السنة مشتقة من أصل واحد، من: سَنّ الشيء، وهو جريانه في سهولة، واشتُقتْ منه السنّة بمعنى السيرة لأنها تجري جريا من الولادة إلى الوفاة[1]، وقد تُطلق السنّة على الوجه أو السيرة الحسنة أو القبيحة، وقد تطلق على الطبيعة، أو الطريقة المحمودة المستقيمة، ومنه أخذ مصطلح أهل السنة[2].

فالسنة هي سيرة المرء في الحياة؛ لأنها تجري جرياً بشكل دائم وفي خط مستقيم، وهذا المعنى هو المرتبط بهذه الدراسة، فالسنة المقصودة هنا هي سيرة النّبي الكريم صلى الله عليه وسلم بتفاصيلها كاملة.

المسألة الثانية: معنى السنّة اصطلاحاً:

عند النظر في مفهوم السنّة النبوية عند العلماء، وُجِد أنّها تعود إلى أمرين؛ أولهما: تعريف السنّة من حيث إنشاء الأحكام الشرعية، متمثلاً بتعريف الأصوليين بأنّها: "ما صدر عن النّبي صلى الله عليه وسلم من غير القرآن، من قول أو فعل أو تقرير"[3]. أمّا صفات النّبي صلى الله عليه وسلم، فلا تدخل في استنباط الحكم الشرعي ولا في تقرير قواعده؛ لذلك لم يَعُدّها أهل الأصول من السنّة في تعريفهم لها. وأمّا ما صدر عن النّبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ولم يكن الصادر عنه قرآناً فهو "السنة التي يمكن استصدار القواعد الشرعية منها، وضبط الأحكام الشرعية عليها".

---

[1] ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج3/ ص60-61).

[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج13/ص 224-226).

[3] الشوكاني، **إرشاد الفحول**، (ج1/ ص95).

وثانيهما: تعريف السنّة من حيث الوصف، متمثلاً بتعريف المحدثين بأنّها: "ما أُثِرَ عَنْ النَّبِيّ– صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة أو سيرة، سواءٌ أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم"[1].

وقد نظر أهل الحديث إلى السنّة على أنّها كل ما وصلهم عن النّبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، فالهدف من السنّة ابتداءً هو ذكر كل ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم، فجاء تعريفها عندهم شاملاً الصفات الخَلقية والخُلقية.

وهذه الدراسة تعتمد على منهج المحدّثين في اعتبار مفهوم السنة.

المطلب الثاني: مفهوم التحصين في اللغة والاصطلاح

المسألة الأولى: معنى التحصين لغةً:

أصل التحصين من الفعل: حَصُنَ، فـ"الحاء والصاد والنون أصلٌ واحد منقاس، وهو الحفظ والحِياطة والحِرز. فالحِصن معروف، والجمع حصون. والحاصِن والحَصَان: المرأة المتعفِّفة الحاصنةُ فرْجَها"[2]، والحِصن: الموضع الذي لا يمكن الوصول إلى ما في جوفه لِمَنَعَتِه، وتحصين القرية: البناء من حولها سورا يحميها[3]، ولهذا تكون المرأة مُحْصَنَةً وحَصَانا؛ فتكون مُحصنةً بالإسلام والعفاف والحرية والتزويج، وسمي الحِصَان بذلك لأنه يحرز صاحبه[4].

ويظهر أنّ التحصين في اللغة مادي ومعنوي، فالمادي بتحصين البيئة المحيطة، كما في قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[الأنبياء: 80]، فقد علّمه الله

[1] السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، (ج1/ ص 47). وينظر: الأعظمي، **دراسات في السنة النبوية**، (ج16/ص 62).

[2] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (ج2/ ص 69).

[3] ينظر: قلعجي، **معجم لغة الفقهاء**، (ص123).

[4] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج13/ ص 119-121).

تعالى صناعة الدروع لتحميكم وتمنعكم من شدة الحروب[1]. والتحصين المعنوي بإبعاد الأفراد عن الوقوع في الزلل، ومِن أن ينالهم سوءٌ جراء ذلك.

المسألة الثانية: معنى التحصين اصطلاحاً

لم يجد الباحث في حدود ما اطلع عليه ما يضبط مفهوم التحصين في الاصطلاح. وبما أنّ التحصين لغةً لا يخرج عن المنع والحفظ والوقاية، فإنّ المعنى الاصطلاحي هو: تكوين مجموعة من الوسائل العلمية والعملية المنهجية التي تهدف إلى إدخال شيء ما في حرز يحميه ويحفظه ويمنعه من المؤثرات الخارجية.

المطلب الثالث: مفهوم "التحصين في ضوء السنّة النبوية"

لم يجد الباحث في المصادر في حدود ما اطلع عليه تعريفاً للتحصين في ضوء السنّة النبوية، ولعل المعنى الذي يقترب منه هو: "مجموعة الإجراءات التي تحفظ المسلم من الميل عن التوحيد الخالص، وتمنع فكره من مخالفة الكتاب والسنة"[2].

والتعريف المختار في ضوء ما سبق والذي عليه الدراسة لـ "التحصين في ضوء السنة" هو: منظومة متكاملة من التدابير الإيمانية والعلمية والعملية التي سنّها النّبي صلى الله عليه وسلم لوقاية الأمة الإسلامية وحمايتها من الشبهات، ومنعها من الوقوع في الانحرافات العقدية والسلوكية والأخلاقية، تحقيقاً للأمن الشامل للأمة الإسلامية أفراداً وجماعات.

[1] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (ج 17/ ص101).

[2] الزيوت، **منهج القرآن في التحصين الفكري**، (ص7).

المبحث الثاني: مفهوم الانحراف العقديّ

المطلب الأول: مفهوم الانحراف في اللغة والاصطلاح

المسألة الأولى: معنى الانحراف لغةً

الانحراف كلمة ترجع إلى الأصل: حَرَفَ، والحرف في اللغة له ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول عن الشيء، وتقدير الشيء[1]. والثاني وهو العدول عن الشيء، وهو أصل الانحراف، فيقال: انحرفَ عن الشيء، أي: يميل ويعدل عنه، وحرفتُه أنا عنه، أي عدلت به عنه[2].

وممّا سبق فإنّ معنى الانحراف لغة هو العدول، وهو ما يتناسب مع هذه الدراسة من حيث العدول عن العقيدة السليمة بشتى مجالاتها.

المسألة الثانية: معنى الانحراف اصطلاحاً

يعرّف بأنّه كل سلوك يرتكبه الفرد يتعارض مع القوانين والأعراف والقيم السائدة في المجتمع، مما يؤدي لإحداث تغييرات تُعَدّ سلبية في المجتمع أو في مؤسساته[3].

وبناءً على ما سبق فالانحراف إمّا محمود أو مذموم، أما المحمود فهو العدول عن الخطأ، وأما المذموم فالعدول عن الصواب والاتجاه إلى الفعل الخطأ. وبهذا فإنّ الانحراف المذموم هو: العدول عن المسار الأصيل، والخروج عن الحق إلى الباطل، بإخراج الألفاظ عن مظانها[4]، ولذلك فإنّ أي طريق يتم الخروج عن مساره فهو عدول وانحراف عنه.

---

[1] ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (ج2/ ص42).

[2] ينظر: المرجع السابق. وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج9/ ص 43).

[3] ينظر: علوان، **الانحراف السلوكي وعلاقته بالمجتمع**، (ص5).

[4] ينظر: العمري، **الانحراف العقدي: أسبابه ومظاهره**، (ص 392).

المطلب الثاني: مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح

المسألة الأولى: معنى العقيدة لغةً:

إنّ مادة مصطلح العقيدة مأخوذة من الجذر الثلاثي عَقَدَ، وهو الربط بإحكام، وتدل على العزم والصلابة[1]، وفيها يقول ابن فارس: "العين والقاف والدال أصلٌ واحد يدلّ على شَدٍّ وشِدّةٍ وُثوق، وإليه ترجعُ فروعُ البابِ كلها"[2].

فكل ما توثّق في القلب بأن انعقد فيه ولم تتخلخل عقدته يدخل في الاعتقاد.

المسألة الثانية: معنى العقيدة اصطلاحاً:

يقصد بالعقيدة في الاصطلاح: "الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك"[3]. وما اطمأنَّ القلب إليه فانعقد التسليم به دون إمكانية أن ينحلَّ من عَقْدِه شيء[4]، وبالمختصر فإنها تعبّر عما يَدين به الإنسان[5].

وجاء في تعريفها أيضاً: ما اطمأنَّ القلب إليه فانعقد التسليم به دون إمكانية أن ينحلَّ من عَقْدِه شيء[6]، وبالمختصر فإنها تعبّر عما يَدين به الإنسان[7].

وإذا قُيدت العقيدة بوصف الإسلام فإنّ العقيدة الإسلامية هي: الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من الغيبيات وأصول الدين، وللعقيدة الإسلامية أسماء أخرى، كالتوحيد والسنة والفقه الأكبر والشريعة والإيمان[8].

---

[1] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج3/ ص 296).

[2] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (ج4/ ص 86).

[3] الأثري، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة**، (ج1/ ص24).

[4] ينظر: البركتي، **التعريفات الفقهية**، (ص149).

[5] ينظر: الحموي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (ج2/ص 421).

[6] ينظر: البركتي، **التعريفات الفقهية**، (ص149).

[7] ينظر: الحموي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (ج2/ص 421).

[8] ينظر: أحمد، **العقيدة الصحيحة وأثرها في حياة الأمة**، (ص5).

المطلب الثالث: مفهوم "الانحراف العقديّ"، وأهم معاييره

العقيدة الإسلامية طريق مستقيم حدده ورسمه لنا الشارع الحكيم؛ قال الجليل تعالى شأنه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ [الأنعام: 153]، أي؛ إنّ هذا هو الطريق السليم المستقيم، فالواجب عليكم اتّباعه لا اتّباع الأهواء والضلالات والشبهات والانحرافات، فيؤدي بكم إلى الاختلاف والفُرقة[1].

أولاً: مفهوم "الانحراف العقدي"

هو قصد العاقل الواعي في مخالفة الفطرة العَقَديّة والميل عنها إلى غيرها، والعمل على إلغاء دورها الفعال في توجيه المسلم إلى رضى ربه، بالميل إلى رضى الشيطان، فيتخذ تعدد الآلهة بدلا من التوحيد، ويعمد إلى التجسيد أو التعطيل بدلاً من التنزيه، في خصومة واضحة للقرآن العظيم والسنة الشريفة[2]. وهذا المعنى أوضح وأكثر تفصيلاً وشمولاً.

ثانياً: معايير اعتبار الانحراف عقدياً

لا يوصف كل مخالف أو ناقد أو متكلم به بالانحراف العقديّ، فينبغي أن تتّسم الشبهة بسمات يتضح من هذه السمات كونها انحرافاً أم لا، ومن أهم هذه السمات: 1. أن تكون الشبهة فوضوية هدامة. 2. أن تستهدف الشبهة أصل الدين وثوابته المتفق عليها. 3. طريقة الخطاب الموجّه، كالدعوة إلى الحرية والتجديد ونقد الموروث ورفع وصاية رجال الدين، وأمثال هذه العبارات التي تُستخدم مطية للطعن في الدين والاعتقاد. 4. تأثر هذه الانحرافات بالفكر المادي، والتقليد الأعمى للثقافات غير المسلمة، في محاولة

[1] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (ج 8/ ص101).

[2] ينظر: عبد الرحمن، **الانحراف العقدي وموقف الإسلام منه**، (ص2572-2573). وينظر: عبد الخالق، **تصور مقترح لتضمين الانحرافات العقدية في محتوى كتب التوحيد**، (ص159).

للنهضة المادية بالتقليد للموروث الثقافي[1]، ويمكن أن يضاف إلى ما سبق من المعايير: 5. التشدد. 6. التفريط.

المبحث الثالث: التعريف بالكتب التي اعتنت بالجانب العقديّ عند البخاري في صحيحه

نثر الإمام البخاري وجمع الأحاديث بترتيبات متنوعة رائعة في صحيحه، ولا تكمن أهمية كتابه الصحيح فقط في الأحاديث التي أخرجها، بل لأنّه أيضاً أودع كثيراً من علمه في التراجم، ففيها من الأسرار والمعاني ما تحيرت بسببه العلماء واندهشت به العقول، وهي تُعدّ من أهمّ مقاصده في صحيحه لأنّه أظهر فيها المعاني الكثيرة المستفادة من المتون [2]، وقد رتب الأحاديث بطريقة تدل أيضاً على فقهه وفهمه وعلمه، فعالج فيها جوانب كثيرة؛ منها: الجانب العَقَديّ، وجاءت هذه الأحاديث منثورة في بساتين متعددة في صحيحه ككتاب العلم والزكاة وأحاديث الأنبياء، لكنه مع ذلك أفرد بعض الكتب وخصصها في جوانب الاعتقاد، فكان ما خصصه للجانب العَقَديّ سبعة كتب؛ هي: باب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان، ثم كتاب بدء الخلق، ثم كتاب أحاديث الأنبياء، ثم كتاب القدر، ثم كتاب الفتن، ثم كتاب التوحيد، وفيما يلي تعريف بهذه الكتب السبعة:

المطلب الأول: باب بدء الوحي

صدّر البخاريّ كتابه الصحيح بهذا العنوان، فأورد فيه سبعة أحاديث، ولعله افتتح جامعه الصحيح بهذه المقدمة؛ مراعاة للترتيب الزمني للأحداث، التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنّه لم يطّرد منه هذا الصنيع في كل كتابه الصحيح، بل راعى كذلك فيه الأهمية بحسب ما يراه هو[3]، وقد يكون هذا التصدير لهدف آخر؛ كأن يقال بأن كل ما نحن مأمورون به فمرجعه الوحي، حتى إننا نلتزم بالإيمان في حدود ما يأتينا به الوحي[4].

---

[1] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 261)، وينظر: المباركي، الانحراف العقدي: آثاره ونتائجه، (ص4).

[2] ينظر: الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج1/ص 6).

[3] ينظر: العدوي، **النور الساري في شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص16).

[4] ينظر: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص101).

وقد ابتدأ الإمام البخاري هذا الباب بقوله: كيف كان بدء الوحي؟ ومعناه: كيف كان مبدأ ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، فأثبت أنّه كان بالوحي وتوسُّطِ الملَك، وهو بهذه البداية يثبت أننا أخذنا الحديث عن النّبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخذه عن جبريل عليه السلام، وهو أخذه عن الله جل في علاه[1]، وهذا يناسب بدء الكتاب به، ومن المناسبات مناسبة كتاب بدء الوحي مع ما جاء بعده من كتب، ومناسبة الحديث الأول من كتاب بدء الوحي مع كل ما بعده، ومناسبة اختيار الحديث الأول، وهو حديث الأعمال بالنيات. يقول الكاندهلوي: "إن المصنف صدّر ببدء الوحي، ثم ذكر الإيمان، ثم العلم، ثم الطهارة؛ لأنه جمع في هذا الكتاب وحي السنّة التي هي ينبوع الشريعة، وكان الوحي لبيان الأحكام الشرعية، صدّره بحديث الأعمال، والعمل يحتاج إلى العلم، والعلم لا يعتبر به إلا بعد الإيمان، فلذا عقّب الوحي بالإيمان"[2]، وفيه دلالة على أن التحصين العقدي يبدأ بالاعتصام بما جاء به الوحي، وأنه لا بد من النّية في الثبات على الاعتقاد السليم، وأن طريق ذلك هو العلم.

المطلب الثاني: كتاب الإيمان

ذكر البخاري في هذا الكتاب أربعة وأربعين باباً وأورد فيها خمسين حديثاً، ويظهر أنّه أراد أن يتبع كتاب بدء الوحي بكتاب الإيمان؛ لأنّه قصد الإيمان بهذا الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم[3]، وقد قدَّم كتاب الإيمان على بقية الكتب لأنّ الإيمان ملاك الأمر كله وأصله، إذ الباقي مبني عليه مشروط به، وبه النجاة في الدارين[4]، كما أنّ الإيمان هو أول واجب على المكلف، وهو مبدأ كل خير علماً وعملاً[5].

---

[1] ينظر: الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج2/ص 266).

[2] الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج2/ص 270).

[3] ينظر: العدوي، **النور الساري في شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص16).

[4] ينظر: الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص 69).

[5] ينظر: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص101).

وقد جاء عمل البخاري في هذا الكتاب تأصيلاً لحقيقة الإيمان ودرجاته، ولحقيقة التحصين العقدي، وكان أحد أهدافه في هذا الكتاب: الردّ على المرجئة[1] والخوارج[2] وبعض المعتزلة[3]، ويتضح هذا الأمر عند الاهتمام بالتراجم التي قررها في هذا الكتاب، فكان أولها: "باب الإيمان وقول النّبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس. وهو قول وفعل ويزيد وينقص"[4]. فردّ على المرجئة القائلين بأنّ الإيمان اعتقاد ونطق فقط، ورد على الخوارج القائلين بأنّ الأعمال أجزاء لحقيقة الإيمان داخلة في ماهيته؛ فإذا فات الجزء فات الكل، ورد كذلك على بعض المعتزلة الذين قالوا بالمنزلة بين المنزلتين وأن الفاسق لا هو مؤمن ولا كافر[5]، وقد أرجأ البخاري باب "اتباع الجنائز من الإيمان" إلى أواخر كتاب الإيمان، لأن أمر الجنائز من أواخر أحوال الدنيا[6].

المطلب الثالث: كتاب بدء الخلق:

المراد به ابتداء المخلوقات، فذكر فيه ستة عشر باباً، أورد فيها من الأحاديث مئة وخمسة وثلاثين حديثاً. أما مناسبة كتاب بدء الخلق لما قبله؛ فنجد ابن حجر يذكر فيها: "إنّما ذكر بدء الخلق عقب كتاب الجهاد؛ لأنّ الجهاد يشتمل على إزهاق النفس، فأراد أن يذكر أن هذه المخلوقات محدثات وأنّ مآلها إلى الفناء، وأنّه لا خلود لأحد"[7]، وقد يكون المقصد من وراء هذا الكتاب: إثبات أنّه ليس شيء سواه تبارك وتعالى قديماً، وأنّ كل ما عداه مُحدَث مخلوق[8].

وجاء عمل البخاري في هذا الكتاب في سبيل التحصين العقدي في إثبات وترسيخ المعتقد الحق، بأنّ الله تعالى هو الأول ولا شيء قبله والآخر ولا شيء بعده وكل شيء خَلْقُه، فابتدأ البخاري الكتاب بباب: "ما

---

[1] الخوارج: قوم من المبتدعة يجمعهم القول بالتكفير بالذنْب ويَجعلون ما ليس ذنْبا ذنْبا. وهم أول جماعة منحرفة في الاعتقاد ظهورا في الإسلام، وكان أول بذرتهم ذو الخويصرة التميمي في عهد النبوة الشريفة، وبلغت أوج ظهورها في عهد علي رضي الله عنه. ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص83-89).

[2] المرجئة: قوم من المبتدعة قالوا بأن الإيمان قول بلا عمل، فلا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وكان ظهورهم في الكوفة في أواخر عصر الصحابة. ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص328-345). وينظر: الخطيب، **الفرق الإسلامية**، (ص64).

[3] المعتزلة: جماعة من فلاسفة المسلمين، وهم امتداد للقدرية حيث قالوا بقولهم في أن الإنسان هو القادر على الكسب دون أن يكون لله في ذلك صنع وتقدير، كما قالوا بقول الجهمية بنفي الصفات ونفي رؤية الله تعالى، والقول بخلق القرآن، وقد استفحل أمرهم في عهد الدولة العباسة. ينظر: الخطيب، **الفرق الإسلامية**، (ص64).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، (ج1/ص10).

[5] ينظر: الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج2/ص 319).

[6] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج1/ ص 108).

[7] ابن حجر، **(هدي الساري) مقدمة فتح الباري**، (ص471).

[8] ينظر: الكنكوهي، **لامع الدراري على جامع البخاري**، (ج7/ص334).

جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده}"[1]، ليدلل على أن الله هو الأول ولا أول قبله، وقد ذُكِر ضمن هذا الكتاب الأحوال إلى الحشر، وشبهه في "فيض الباري" بأنّه بالنسبة لكتب الأحاديث أقرب إلى سفر التكوين من التوراة[2].

المطلب الرابع: كتاب أحاديث الأنبياء

اشتمل الكتاب على مائة واثنين وستين حديثا موزعة على خمسة وخمسين باباً، وقد أعقب كتابَ بدء الخلق كتابُ أحاديث الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء ظهروا مع بدء خلق البشرية، فالبخاري في كتاب بدء الخلق، قدّم خلق الدواب على خلق البشرية في الترتيب[3]، وقد رتّب البخاري أبواب الكتاب على الترتيب الذي رآه وإنْ خالف فيه جمهور المؤرخين، لأنه مجتهد في التاريخ وله رأيه[4]، وهو في هذا الكتاب يعمل على التحصين العقدي في الإيمان بالأنبياء وما يتعلق بهم مما ورد فيه ذكر لهم من الأخبار.

المطلب الخامس: كتاب القدر

ذكر الإمام البخاري في كتاب القدر ستة عشر باباً، أورد فيه: ستة وعشرين حديثاً. أما مناسبته مع ما كتاب الرقاق قبله وكتاب الأيمان والنذور من بعده فيقول ابن حجر فيها: "ولما كان الذكر والدعاء سبباً للاتعاظ ذكر المواعظ والزهد، وكثيرا من أحوال يوم القيامة، ثم ذكر ما يبين أن الأمور كلها بتصريف الله تعالى، فقال كتاب القدر وذكر أحواله، ولما كان القدر قد تحال عليه الأشياء المنذورة قال كتاب النذور، وكان النذر فيه كفارة فأضاف إليه الأيمان، وكانت الأيمان والنذور"[5]، وهذا الكتاب خصصه للتحصين العقدي في عقيدة القدر.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده} (ج4/ص 105).

[2] ينظر: الديوبندي، **فيض الباري على صحيح البخاري**، (ج4/ ص299).

[3] ينظر: ابن حجر، **(هدي الساري) مقدمة فتح الباري**، (ص 471).

[4] ومن أمثلة ما خالف فيه أهل التاريخ: أن جمهور المؤرخين ذهبوا إلى أن إدريس عليه السلام من أجداد نوح عليه السلام، لكن البخاري قدّم ذكر نوح على إدريس، إشارة إلى أن إدريس عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام، ودليله في ذلك قول إدريس للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج: "قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح" البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، (ج1/ص 78/ح ٣٤٩)، ولو كان من أجداد نوح لقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. ينظر: الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج4/ص 393).

[5] ينظر: ابن حجر، **(هدي الساري) مقدمة فتح الباري**، (ص 473).

وقد جعل البخاري أول حديث في الكتاب: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما" الحديث[1]. ويرى الباحث أنّ مناسبة ذكر هذا الحديث في ابتداء كتاب القدر أنّ الإنسان منذ بدء خلقه كان خلقه قدراً، وهذا أقدم ما يمكن للإنسان تصوره عن قدَر نفسه، فلما كان أول قدر كل إنسان هو ما يكون عند خلقه، ناسب أن يكون أول حديث في الباب هذا الحديث، وقد ختم الكتاب بباب: {وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}.

وكان آخر حديث أخرجه في الكتاب، الحديث: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "رأيت النّبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، ينقل معنا التراب، وهو يقول: والله لولا الله ما اهتدينا" الحديث[2]، وبراعة اختتام الكتاب في الحديث الأخير كانت في قوله: إذا أرادوا فتنة أبينا[3]، وهي ترتبط بالتحصين العقدي بمعنى: أنّ من الفتنة اختلال الإيمان بالقدر، ونحن أبينا هذه الفتنة والانجرار خلفها وأغلقنا الباب عليها، فإنّ الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً[4].

المطلب السادس: كتاب الفتن

أورد البخاري في كتاب الفتن ثمانية وعشرين باباً، أخرج فيها ثمانية وثمانين حديثاً. أما مناسبته مع ما قبله وبعده من الكتب، فإنّ ما قبله كتاب التعبير، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]، فناسب أن يكون بعده كتاب الفتن، وكان من الفتن ما يرجع فيه إلى الحكام، فهم الذين يسعون في تسكين الفتنة غالبا، فأتبعه بكتاب الأحكام، وذكر أحوال الأمراء والقضاة[5].

وجعل البخاري أول كتاب الفتن: باب ما جاء في قول الله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، وما كان النّبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الفتن"[6]. وهذه البداية جاءت ليقول: إنّ الفتن ليست

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، باب {وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}، (ج8/ص 122/ح 6620).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، باب {وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}، (ج8/ص 127/ح 6620).

[3] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج13/ ص 544).

[4] ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، (ج4/ص 128/ح 3304).

[5] ينظر: ابن حجر، **(هدي الساري) مقدمة فتح الباري**، (ص 473).

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، (ج9/ص 46).

مختصة بالظالمين، بل الكل يفتن ويختبر، ثم تدرج رحمه الله في مسألة الفتن، من الفتن الأقل قوة والتي لها علاج، إلى الفتن الأشد قوة ولها علاج، حتى وصل في الختام إلى الفتنة التي لا يمكن للناس علاجها ولا يدانِ لأحد عليها، وختم بها بقوله: "باب يأجوج ومأجوج"[1]، وذكر فيه أحاديث عن يأجوج ومأجوج، وهي الفتنة التي لا قِبل للناس بها، والتي يخلّص الله تعالى الناس منها، فضلاً وكرماً منه جل شأنه.

وتظهر براعة الاختتام عند الإمام في آخر حديث في كتاب الفتن، تحت باب يأجوج ومأجوج، الفتنة التي لا طاقة للناس بها، فأخرج الحديث عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل عليها يوما فزعا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه. وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث"[2]. ويقول ابن حجر معلقا على براعة الاختتام أنها: في استدلاله بقول: "أفنهلك وفينا الصالحون؟"[3]. فالمنهج القويم للتعامل مع الفتن التي تكون مظنة الهلاك: العمل باجتهاد كي نكون من الصالحين، وبالتوازي مع ذلك فلا بد من التخلص من الأدران والخبث، وهذا يحث على دوام العمل على التنقية من الشوائب.

المطلب السابع: كتاب التوحيد

أخرج البخاري في هذا الكتاب مئة واثنين وتسعين حديثاً وزعها على سبعة وخمسين باباً. وقد وردت تسمية الكتاب في بعض الروايات بكتاب التوحيد والرد على الجهمية[4] وغيرهم، وهذا من استكمال المنهج في الرد على الفِرَق المعاصرة له، لأنّه رد على المرجئة في كتاب الإيمان، وعلى الخوارج في كتاب الفتن، وعلى

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، (ج9/ص 61).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، (ج9/ص 61/ح 7135).

[3] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج13/ ص 544).

[4] الجهمية نسبة إلى أول من قال بها: جهم بن صفوان، وزعموا أن الكفر بالله هو عين الجهل به، كما زعموا ان الإيمان والكفر محلهما القلب ولا شأن للسان والجوارح فيهما، وأن الإيمان كل واحد لا يتجزأ أو يتبعض. ينظر: الأشعري، أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق، (ت: 324هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، المحقق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ – 2005م، (ج1/ ص114).

الرافضة في كتاب الأحكام. أما المراد بقوله: وغيرهم: فَهُمُ القدرية[1]، ومعلوم أنّ المعتزلة امتداد لهم[2]، وهذا الكتاب يمكن أن يُعدّ من أصول التحصين العقدي، فهو يختص بالتوحيد الحق الذي مدار التحصين العقدي عليه.

وقد عكس الإمام الترتيب المعروف عند العلماء بالابتداء بالعقائد ثم الأحكام، ولعله أراد بهذا الترقي لختم الكتاب بالغاية الأشرف والمقصد العظيم وهو التوحيد[3]. وجعل كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة لأنّ جميع الأحكام راجعة إليهما، وختم بكتاب التوحيد لأنّه أصل العصمة، وكان من أواخر الأمور التي يظهر فيها الفلاح والخسران ثقل الموازين فجعل آخر تراجم الكتاب: باب قول الله تعالى {ونضع الموازين القسط}، فبدأ أول الصحيح بحديث الأعمال بالنيات في الدنيا، وختم بوزن الأعمال يوم القيامة، في إشارة إلى أنّ ثقل الأعمال وخفتها متعلق بالنّية[4]، أما مناسبة آخر حديث في الصحيح كله وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"[5] فإنّ التسبيح عند اختتام العمل والكلام مشروع[6]، وقد يكون من باب تذكير القارئ بالموت، وأن يعمل على تثقيل ميزانه بذكر الله تعالى[7].

---

[1] القَدَريّة: هم الذين ينفون القدر ويقولون: لم يَسبِق به علم الله ولا تقديره ولا يعلمه إلا بعد وقوعه والعياذ بالله. وسموا بالقدرية من باب الاستدلال بالشيء على الضد، ولأنهم بحثوا كثيرا في القدر. وكانت نشأتهم في البصرة في أواخر عهد الصحابة في حدود سنة 70هـ، وقد أخذوا عقائدهم من النصرانية والمجوسية. ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص315-327).

[2] ينظر: الحوشان، **مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري**، (ص54).

[3] ينظر: الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج25/ ص 96).

[4] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج13/ ص 542). وينظر: الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج6/ص 839).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {ونضع الموازين القسط}، (ج9/ص 162/ح 7563).

[6] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج13/ ص 544).

[7] ينظر: الكاندهلوي، **الأبواب والتراجم لصحيح البخاري**، (ج6/ص 838).

الفصل الثاني

أسباب الانحراف العقديّ، ومظاهره

ينبغي البدء بتحديد أسباب الانحراف العقدي ومظاهره لما لها من أهمية، وكون مثل هذه القضية لم تكن لتخفى على خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تمّ استقراء أحاديث صحيح البخاري، لتحديد الأسباب الرئيسة للانحرافات العقدية وبيان مظاهرها من خلاله.

المبحث الأول: الأسباب الذاتية للانحراف العقديّ

الأسباب الذاتية للانحراف العقدي متعددة؛ وذلك بسبب طبيعة البيئة التي يعيش فيها الإنسان. وقد تتبع الباحث الأسباب الذاتية المؤدية إلى الانحراف في العقيدة، فوجدها ترتكز على سببين؛ هما: الجهل والهوى.

وفي السنّة النبوية ما يؤسس لفهم هذين السببين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ [آل عمران: 7] ثم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم"[1]. واتّباع المتشابه اتّباع عن جهلٍ بالمُحكَم لخفاء دلالة المتشابه على المعنى، أمّا الذين في قلوبهم زيغ فهم الذين انحرفوا عن الصواب واتبعوا أهواءهم في الانغماس في المتشابهات دون ردها إلى المحكمات[2]، فقد أخبرنا النّبي صلى الله عليه وسلم بالسببين الرئيسين للانحراف وحذرنا ممن يتمثلون بالسببين ودلّنا على وجوب الابتعاد عن شبهاتهم وانحرافاتهم.

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، (ج6/ص 33/ح 4547).

[2] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج 3/ ص 161).

المطلب الأول: الجهل كونه سببا ذاتيا للانحراف العقدي

المسألة الأولى: مفهوم الجهل وحقيقته في السنّة المطهرة

أولاً: مفهوم الجهل

الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خِلاف العِلْمَ، والآخر الخِفّة وخِلاف الطُّمَأْنِينة"[1]، فقد يأتي الجهل بمعنى عدم العلم، وقد يأتي بمعنى الطيش والسَّفَهْ أو التعصب والهوى[2]، وقد فصّل الدكتور صلاح الخالدي في مسألة الجهل، فكان ختام ما ذهب إليه أنّ الجهل قد يكون مقابلاً للعلم وهو: (الجهل الفكري أو العَقَديّ)، وقد يكون بمعنى الخِفّة والطّيش وهو: (الجهل السلوكي)[3].

ولتوضيح ذلك أكثر يمكن أن يقال: إنّ مَن لم يَعلَم أمراً يُسمى جاهلاً، ومَن عَلِمه وقصد عدم اتّباعه يسمى جاهلاً أيضاً، وهذا الأخير يمكن أن يسمى بصاحب الهوى. ولو رَدَّ الباحث كل أسباب الانحرافات العقدية أو جُلها إلى هذا السبب، لما بالغَ؛ فإنّ الجهل أساس كل ضلالة، والجاهل بربّه لن يجد ما يُشعل في قلبه حب الله، أو ما يحُثه على طاعته ورضاه، ومِثله الجاهل بنبيه صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: دلالة السنّة النبوية على الجهل

إن المتتبعَ سيرةَ سيد الأكرمين محمد صلى الله عليه وسلم يجده كثيراً ما كان يحذّر من الجهلَ ويذمّه ويعالجه بكل ما أوتي من قوة، واهتم بالعلم وحضّ عليه في مواطن كثيرة، وجعل لأهل العلم مكانة خاصة رفيعة في الدنيا والآخرة، فالعلم هو الطريق الذي سيوصل صاحبه إلى معرفة الله تعالى وعبوديته على الوجه الأمثل بإذنه تعالى[4]. ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما أنهما قالا: قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ بين يديِ الساعة لأيّاماً يَنزِل فيها الجهل، ويُرفَع فيها العلم،

---

[1] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج1/ ص 489).

[2] هذا التقسيم يمكن فهمه من كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى. ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج22/ ص 356).

[3] ينظر: الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (ص103).

[4] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية–**، (ص67–77).

ويكثر فيها الهرج"، والهرج القتل[1]. وما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الله لا يَنزِع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يُسْتَفتَون فيُفتُون برأيهم، فيُضِلون ويَضِلون"[2]. والحديث الثاني واضح الدلالة على المقصود الذي في الحديث الأول؛ فإنّ نزول الجهل ورفع العلم لا يكون بنزع العلم وإنما بموت العلماء وتصدي الجهال للإفتاء بين الناس، وأيضاً فإنّ انتشار الجهل يؤدي بالضرورة إلى ضعف الفهم في الدين، وانتشار البدع والانحرافات.

المسألة الثانية: أهم مظاهر الجهل التي تجعله سبباً من أسباب الانحراف العقدي

إنّ معرفة مظاهر الانحراف أمرٌ ضروريٌّ في تحديد السبب وفي بيان طرق علاجه، وأهم المظاهر التي تجعل الجهل سبباً من أسباب الانحراف العقدي هي: تجنّب السؤال عما يجول بالفكر من شبهات عقدية، وعدم التثبت من الأخبار، والجهل بالمقصد الشرعي، وتجاوز حدود العقل، والجهل بمدى الاستفادة من الأمم المحيطة بالمسلمين، والتسرع في إصدار الأحكام، والانغماس في الخرافات[3].

المظهر الأول: تجنب السؤال عما يجول في الفكر من شبهات عقدية

لم يمنع النّبي صلى الله عليه وسلم أحَدا من الصحابة أن يسأله عن أي شيء يجول في فكره، حتى لا يستغل الشيطان ذلك فيحوله إلى هاجس فشبهة توقعه في طريق الانحراف، بل أنّه حثهم على أن يسألوه عن كل ما يمكن أن يشكّوا فيه حتى يبدده لهم، ومن ذلك ما رواه عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّ أهل اليمن قالوا له: "جئناك نسألك عن هذا الأمر[4]. قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذِّكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض"[5].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (ج9/ص 48/ ح 7062).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، (ج9/ص 100/ح 7307).

[3] ينظر: السفياني، **الانحراف العقدي، بداياته وأماكن ظهوره في عهد الصحابة رضي الله عنهم**، (ص 406).

[4] أي: عن بدء الخلق. ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج6/ ص 288).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده}، (ج4/ص 105/ح 3191).

والشاهد هنا: التقرير النبويّ لسؤالهم مع أنّه عن أمور غيبية في بدء الخلق مما أثار فضولاً أو شكّاً عند بعضهم، فعالجه بأن أوضح لهم إجابة ما يتساءلون عنه.

وقد تنبه البخاري لهذه المسألة ولكيفية علاج النّبي صلى الله عليه وسلم لها فأفرد كتاباً بعد كتاب الإيمان وأسماه كتاب العلم؛ لأنّ الإيمان دون علم سيودي بصاحبه غالباً إلى الانحراف. وقد ذكر الصويلحي أنّ البخاري بدأ صحيحه بكتاب (بدء الوحي)؛ لأنَّ الوحي أصل الإيمان، ثم ثَنَّى بكتاب (الإيمان) لأنّه مقصود الوحي ولا يُقبل عمل إلا بإيمان، ثم ثلّث بكتاب (العلم)؛ لتعلق صحة الإيمان بالعِلم السليم[1].

لكنّ فتح باب السؤال لَم يكن على مصراعيه، فالسؤال لِمن يخالجه الشك أمر مطلوب، وفي المقابل فقد ذمّ النّبي صلى الله عليه وسلم كثرة السؤال، فروى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"[2]، فالكراهة هي في البحث فيما لا دليل فيه فيتتبعها وتصير مطلبه وهذه هي القيل والقال بكثرة الكلام، وكراهة السؤال إما سؤال الناس أموالهم أو كثرة السؤال في المتشابهات من أمور الدين، وذمّ هذا لأنّه قد يُفضي إلى وقوع الإنسان في الزيغ والتشكك، وكراهة إضاعة المال بالإسراف والتبذير ومجاوزة الحد في ذلك[3].

والناظر إلى عموم الفِرَق المنحرفة في الاعتقاد التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، يجد أنّها اكتفت بجانب من النّصوص الشرعية وبنت عليه عقائدها، وكثير من أهل هذه الفِرَق لم يتكلفوا عناء سؤال أهل العلم عما يختلج في عقولهم وصدورهم، فقد قامت المرجئة بإهمال نصوص الوعيد وأخذوا بنصوص الوعد، وفي مقابلهم قامت فرق الخوارج والحرورية والمعتزلة فعملوا بالنقيض؛ فقالوا بنصوص الوعيد وأسقطوا نصوص الوعد، وكلتا الفرقتين جانَبَتا الحق، فالحقّ بالجمع بين نصوص الوعد والوعيد من غير إسقاط لشيء منها

---

[1] ينظر: مصيلحي، **سيل الأقلام بفوائد من كتاب العلم من صحيح الإمام (صحيح البخاري)**، (ص9).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى {لا يسألون الناس إلحافا}، (ج2/ص 124/ح 1477).

[3] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، (ج2/ص 806- 807).

وتفسير بعضها ببعض[1]. ويظهر هنا أنّ تجنب السؤال عما يجول في الفكر من شبهات عقدية، يعمل على غمس الإنسان في الجهل غمساً، مما يجعله يضِل في عقيدته وينحرف.

المظهر الثاني: عدم التثبت من الأخبار

أقر النّبي صلى الله عليه وسلم سؤال الصحابة على التثبت، سيما في القضايا العقدية ومن ذلك سؤال ضمام بن ثعلبة عن شخص النّبي صلى الله عليه وسلم ونسبه، ومثال ذلك ما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: "بينما نحن جلوس مع النّبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النّبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سَلْ عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم" الحديث[2].

ووجه دلالة الحديث أنّ ضماماً الصحابي السائل رضي الله عنه تأكد من أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم هو محمد، وزاد في التثبت بأن سأله أهو ابن عبد المطلب؟ فتثبت بذلك من شخص النّبي ومن نسبه، ثم سأله فأخذ المعلومة من المصدر، ثم استحلف النّبي صلى الله عليه وسلم على ما سأله عنه ليزداد في التثبت، وفي سياق ذلك علّقَ ابن حجر على الحديث بقوله: "وفيه: الاستحلاف على الأمر المحقق لزيادة التأكيد"[3]، وقد أجاب النّبي الكريم صلى الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة على ذلك كله وأقره عليه. ومن ثَم فإنّ إيراد البخاري للحديث السابق في كتاب العلم دليل على أنّ عدم التثبت من الأخبار يورث الجهل ولا ريب؛ فهو أحد مظاهره.

---

[1] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج14/ ص 498).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، (ج1/ص 23/ح 63).

[3] ابن حجر، **فتح الباري**، (ج1/ ص 153).

ومن نتائج عدم التثبت من الأخبار: التوقف بين الأخذ والرد وهذا لا بأس به، أو ترك الخبر للخوف من كذب الخبر أو المُخبِر، أو الأخذ به دون تثبت، وكلاهما مآله إلى الجهل، وكلا الأمرين يؤديان إلى ترك جزء من العقائد أو إضافة عقائد جديدة، فكلاهما يؤديان إلى الانحراف العقدي.

المظهر الثالث: الجهل بالمقصد الشرعي

ربّما أدى الجهل بالمقصد الشرعي إلى إعطاء العقل أكثر مما يستحق من صلاحيات، ومن الأمثلة على الجهل بالمقصود الشرعي: ما أسفر عنه التفكر في المقصود من الأسماء والصفات الإلهية، وكيف جرّ الجهل بجانب منها إلى إطلاق العنان للعقل ليتفكر فيما لا طاقة له به، فجاءت المُجَبِّرة[1] فقالوا: إنّ الله لا يقدر على الظلم. وهذا زيغ عن المُحكم من الآيات والحديث، أمّا أهل السنّة فيقولون: نثبت لله ما أثبته لنفسه، فهو كامل القدرة والمشيئة والعدل، واضعٌ كل شيء مكانَه الأنسب، وهو قادر على الظلم، لكنّه سبحانه منزّه عن ذلك، لا يفعله لأنّه المستحق للتنزيه فقد حرّم الظلم على نفسه[2].

وقد وردت الكثير من الأحاديث النبوية التي تدل على أسماء الله وصفاته جل وعلا، ومقاصد الشرع من إبرازها في سياقات متنوعة، فمن ذلك: صفة النفْس لله تعالى[3]، وصفة العلم[4]، وصفة الحياة والقيومية[5]، ولتوضيح المسألة يكتفي الباحث بمثال واحد فقط، وهو ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النّبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق ومحمد

---

[1] المجبِّرة أو الجبرية: القائلون بأن الإنسان مجبور في أفعاله ولا اختيار له ولا قدرة، فهو كالريشة المعلقة في الهواء تتحرك بفعل الريح فقط، وأن كل عمله مقدر عليه من الله، وكل ما هو مقدر لا بد حاصل شاء الإنسان أم أبى، وقالوا أيضا بنفي صفات الله تعالى، فلا يجوز أن يوصف بصفة يصح أن يتصف بها أحد من خلقه؛ لأن هذا يوهم التشبيه. ينظر: الغرابي، **تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين**، (ص21).

[2] ينظر: الغرابي، **تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين**، (ص21). وينظر: عامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، (ص83).

[3] ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، هو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي". البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {ويحذركم الله نفسه}، (ج9/ص 120/ح7404).

[4] ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله". البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا}، (ج9/ص 116/ح7379).

[5] ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون". البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {وهو العزيز الحكيم}، (ج9/ص 117/ح7383).

صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرت، وما أسررتُ وما أعلنت، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت، أو: لا إله غيرك"[1].

ووجه دلالة الحديث ذِكره صلى الله عليه وسلم بعض أسماء الله تعالى وصفاته ما يؤسّس به لمعانٍ عميقة أرادها من سياق حديثه، فقد أثبت هذه الأسماء والصفات، فأزال جانب الجهل بها، ثم أسّس للعلم بالمقصود منها لإزالة الجهل بالمقصد، وإنّ الفهم الصحيح للأسماء والصفات والتمثل بها يجعل المسلم دائم التعلق بربه جل جلاله، ودائم العمل بمقتضى هذه الأسماء والصفات، فلمّا علموا أنّ الله تعالى قريب سميع بصير لم يكن من داعٍ لأن يُرهقوا أنفسهم برفع الصوت في الدعاء، ولم تفارق أذهانهم صفات البصر والقرب والسمع في أن يتجنبوا المعاصي، وبما أنّه النور سبحانه تعالى فلا تُطلب الهداية إلا منه، وبما أنّه قيّم السماوات والأرض فلا تُطلب الحاجات إلا منه ولا يُخشى على الرزق بعد هذا العلم، ولا داعي لقبول الذل لأن الله تعالى هو الملك وهو ولي المؤمنين، وهكذا كان النّبي صلى الله عليه وسلم يُفهِم الصحابة المقصد من وراء الصفات[2].

المظهر الرابع: تجاوز حدود العقل

حينما يعطي الإنسان عقله أكثر من حدوده لغروره بنفسه فإنّك تجده يضل ضلالاً كبيراً، ولعل هذا أحد أهم الأسباب التي نتجت عنها المذاهب الفكرية القديمة والمعاصرة، فالملاحدة على مر الأزمان ادّعوا بأنّ هذا الكون ليس له إله يصرّف شؤونه، وقال غيرهم من أهل الربوبية[3]: إنّ الإله موجود لكنه خَلَق الخَلْق وتَرَكَهم ولم يتدخل في شؤونهم. والداروينية التي تعتقد أنّ الطبيعة خَلَقت الكون وتخبطت فيه خبط عشواء، وأن لا شيء ثابت في الوجود؛ لا الدين ولا الأخلاق ولا التقاليد، ومِثلهم مَن ينكرون اليوم الآخر أو الملائكة أو

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}، (ج2/ص 48/ح1120).

[2] ينظر: الزهراني، **منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الأسماء والصفات**، (ص 38-39).

[3] يقوم المذهب الربوبيّ على الإيمان بوجود خالق للكون نظّمه بقوانين، كحال الساعة التي يصنعها صاحبها ثم يتركها إلى نظام عملها الذاتي. ينظر: عامري، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، (ص 727).

الرسل والكتب، فكُلُّهم أطلقوا العنان للعقل بلا حدود، وهذا المظهر يمكن التعبير عنه بـ: الاعتماد على العقل الملطخ بالشبهات، بعيدا عن نور الشرع والنقل[1]، ممّا آل بأصحاب الشبهات إلى إنكار الرسل والكتب السماوية.

ومما يدلّ على أنّ تجاوز حدود العقل يضلّ صاحبه ما أخرجه البخاري بسنده عن معاذ: "أنّ امرأة قالت لعائشة أتجزي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النّبي صلى الله عليه وسلم فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله"[2]. فإذا كان العقل وحده يودي بالمرء إلى الإنكار على الأحكام الثابتة، فكيف لا ينكر كل ما لا يوافق عقله أو هواه؟ لأنّ الحكم الذي تسأل عنه المرأة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها حكم ثابت، لكنّ المرأة أطلقت لعقلها العنان بالتفكر في عدم إجزاء العمل وأنه لا يكفي، فبينت لها عائشة رضي الله عنها أنّ هذا هو التقرير النبوي للحكم وهو تشريع الله تعالى، فإن كنت ستُطْلقين العَنان للعقل وتهملين النقل فإنك ستصيرين كالحرورية الخوارج، الذين جاءوا إلى آيات الله تعالى فأوّلوها بغير وجه حق، وجاءوا إلى آيات وردت في شأن الكافرين فأنزلوها على المسلمين. ومن ينحرف في هذا ويحرر عقله من الحدود فإنه سيضل أيضاً في عقيدته؛ لأنه سيجعل عقله حَكَما على النّصوص الصحيحة فيرفض من العقائد ما لا يوافق عقله فيهوي به إلى الجحيم.

إنّ إعمال العقل في الدين، ومحاولة الوقوف على مراد الله تعالى من النّصوص الشرعية لا ينكره الشرع ما دام ضمن الضوابط بلا إفراط ولا تفريط، فالإسلام لم يهمل دور العقل ولم يدعُ إلى تحييده، بل على العكس من ذلك؛ دعا إلى استعماله في التفكر والتفكير المنطقي السليم والقويم في ظل السنن الكونية، والذي لا شكّ في أنّه سيوصل كل ذي لبّ إلى الله الحكيم العليم، قال تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

[1] ينظر: الزاملي، **الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة دِرَاسَةٌ عَقَدِيَةٌ**، (ص 428).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة، (ج1/ص 71/ح 321). أحرورية: الحروري نسبة إلى حروراء وهي قرية بالعراق، وهم طائفة من الخوارج كان ابتداء خروجهم بها، ويقال لجماعتهم الحرورية، وكان ذلك بعد التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما. ينظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، (ج1/ ص115)، وينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (المقدمة/ ص104).

وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ [آل عمران: 190][1]، فالإسلام جاء بتحرير العقل والحث على التدبر في هذا الكون، ورفع من قدر أهل اعلم[2].

المظهر الخامس: الجهل بمدى الاستفادة من الأمم المحيطة بغير المسلمين

يميل كثير من الناس إلى التسليم بكل ما يتم معرفته دون تمحيص في كثير من الأحايين، مع علمنا السابق أنّ عدونا الأزلي هو الشيطان، ومَن ركب خيله وصار من رَجِلِه، كلهم يبتغون إفساد المجتمع والنأي بنا عن طريق ربنا جل شأنه، ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"[3]. ووجه دلالة الحديث أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم حذّر المسلمين من التقليد الأعمى لغيرهم من اليهود والنصارى، وهذا التقليد يكون أساسه التسليم بصدق ما ينقلونه للمسلمين، فالمسلم الذي يتلقّفُه منهم دون تمحيص يقع فيما حَذّر منه النّبي صلى الله عليه وسلم، ويشمل التحذير كذلك أقوالهم في العقائد، فإنّ من يأخذ منهم ويترك ما عنده من الخير يكون كَمَن يدخل معهم جحر الضب ويترك الفسحة التي يملكها، وقد جاء التمثيل بجحر الضب لضيقه ورداءته، وهذا المعنى مفهوم من النّص[4]. وقد شمِل التحذير اتّباع اليهود والنصارى بشتى صوره، وقد ورد الخطاب بالتحذير من غيرهم بروايات أخرى، كالتحذير من الفرس والروم[5].

ومما لا شكّ فيه أنّ استقاء الأخبار من أهل الشرك والأوثان والتأسي بهم وبأهل الكتاب وغيرهم، له دور بالغ في نشر الانحرافات الفكرية والعقدية، فعلى سبيل المثال: من الإسرائيليات ما ينطوي على عقائد فاسدة تفسد في مضمونها عقائد المسلمين، ففيها ما يصف الله عز وجل بما لا يليق من تجسيم وتشبيه، وفيها ما

---

[1] وهناك مزيد كلام وتفصيل في شأن العقل وحدوده، في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

[2] ينظر: القرضاوي، **موقف الإسلام من العقل والعلم**، (ج82/ ص 407).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ج4/ص 169/ح 3456).

[4] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج6/ص498).

[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك". البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم، (ج9/ص 102/ح 7319).

ينفي عصمة الأنبياء ووصفهم بصفات لا تليق بهم، وتتهمهم بأشنع الفظائع التي يترفع عنها الإنسان العادي، فضلا عن أن يترفع عنه نبي[1].

كان أحد أسباب ظهور الفرق العقدية والفكرية التأثر بموروثات غير المسلمين من عقائد وممارسات، فالقدرية والمعتزلة والجبرية وغيرهم لما احتكّوا بثقافات مَن حولهم دون أن يكون التحصين العقدي كافياً عندهم أوجد ذلك عندهم شبهات تسببت بانحرافهم[2]. لذلك فإنّ عدم التزام ضوابط معينة في الأخذ والرد مما يَفِد إلينا من غير المسلمين يغرقنا في الجهل ويجعلنا لا نعلم مقدار ما نأخذه أو نرده، فلا بأس من أخذ ما يصلح الحال في أمور الدنيا، لكنّ العقائد والعبادات والأخلاق لا تؤخذ إلا من الإسلام وهو خير الهَدي[3]. ومثال ذلك: ما وقع فيه الجهمية من تعطيل الصفات؛ فإنّ الجهمية إنّما أخذوا مقالتهم من اليهود، ورافق ذلك جهل الجهم بالسنة واشتغاله بعلم الكلام وتركه مجالس العلماء، وكان مع جهله يجلس للمناظرات، فلما عجز عن التصدي للشبهات اعتنقها لجهله بدلا من أن يسأل بها خبيراً[4].

المظهر السادس: التسرع في إصدار الأحكام

إنّ العجلة والتسرع بإصدار الأحكام دون تمحيص وتدقيق يدلّ على الجهل، وهو أيضاً نوع من السّفه والطّيش وعدم التريّث، مما يجعل الإنسان مطية العجلة التي مآلها الندامة. وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يعجل بالقرآن، فقال تبارك اسمه: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: 114]، وهذا في شأن النّبي الحبيب صلى الله عليه وسلم وفي شأن تعلم القرآن، فما بالنا بنا نحن؟ وفي شؤوننا نحن؟

ومما يدلّ على التحذير من التسرع والعجلة من السنّة النبوية ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مرّ النّبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني فإنك لم

[1] ينظر: المعايطة، **العقيدة الإسلامية**، (ص289).

[2] ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص30-31).

[3] سيأتي مزيد إيضاح لمسألة عدم ضبط التأثر بالأمم المحيطة بالمسلمين في الأسباب الخارجية للانحرافات العقدية.

[4] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج5/ ص20). وينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص350-351)..

تصب بمصيبتي. ولم تعرفه. فقيل لها: أنّه النّبي صلى الله عليه وسلم. فأتت باب النّبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[1]. فالمرأة المكلومة فقدت عزيزاً لها فلم تستطع الصبر عند الصدمة الأولى، فكان جوابها للنبي صلى الله عليه وسلم منوطاً بالعجلة، فلما تسرعت أخطأت، والشاهد تمهّل النّبي صلى الله عليه وسلم وتجنب الرد عليها، "خوفاً من مؤاخذة الله لها لسوء ردها عليه لجهلها به، وحشمة منه لذلك، ولحلمه عنها وصبره على أذاها وعذره لها إذ لم تعرفه، ولعلها لم تكن رأته قبل ذلك، أو لعظيم حزنها لم تظن أنّه النّبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت قبلُ تعرفه"[2].

ويدلّ على ضرر الاستعجال أيضاً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[3]. فالغضب يعمي القلب والعقل ويدلس الفكر، وهو بهذا يتجاوز خطوط الحلم والأناة، إلى طوفان من التسرع والعجلة، وهذا التسرع يؤدي أحياناً إلى الانحراف العقدي.

المظهر السابع: الانغماس في الخرافات:

عملت الأديان الوضعية على استغلال الخرافات وتطوّرتها من أجل السيطرة على الأتباع، بينما تميز الإسلام عنها بأن حاربها وعمل على تحصين العقل المسلم منها لأنّها ستؤدي إلى الانحراف عن العقيدة السليمة[4]، ومن ذلك: نهي النّبي صلى الله عليه وسلم عن التمائم أو القلائد التي تُعَلق لجلب نفع أو دفع ضُرّ من حسد وغيره، ونَهيه أيضاً عن السّحر وجعله من الكبائر، وتبديده لما كان سائداً في الجاهلية من أنّ الخسوف والكسوف يكونان لموت عظيم أو ولادته، كما أنّه أزال من أذهانهم ما يكون مَدخلاً للخرافات:

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، (ج2/ص 79/ح 1283).

[2] القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج3/ص 369).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (ج8/ص 28/ح 6114).

[4] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص80).

كالعدوى والطيرة والهامة[1]، ومما يدلّ على ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى، ولا طِيَرة، ولا هامة، ولا صَفَر"[2].

كان العرب في الجاهلية يعتقدون أنّ العدوى تنتقل وحدها، وأنّ الأمراض تعدي من تلقاء نفسها، فنفى ذلك النّبي صلى الله عليه وسلم وعلقه بمشيئة الله تعالى، وهذا التوجيه على اعتبار أنّ (لا) هنا نافية، وهناك توجيه آخر على اعتبار أنّ (لا) هنا ليست نافية وإنما ناهية، وعلى هذا التوجيه يكون المعنى من باب الأمر النبوي، فكما أنّ الأمراض تنتقل بالعدوى إلا أنّ ابتداء أمرها قد قدّره الله تعالى دون عدوى، ويكون المطلوب من هذه الجملة النهي عن أن يسبب بعضكم لبعض العدوى[3]، وهذا المعنى يلتئم مع الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يوردَنّ مُمرِض على مُصِحّ"[4]، وهذا هو قوله: لا عدوى. أما الهامة فمن أباطيل العرب قبل الإسلام أيضاً، فقد كانوا يعتقدون أنّ عظام الموتى تصير هامة فتطير. أما قوله: لا صَفَر، فالصَّفَر من خرافات أهل الجاهلية، إذ كانوا يعتقدون أن هناك حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وكانوا يقولون أنّها أعدى من الجرب[5]. وقد كان من خرافات بعض الناس قديماً وحديثاً: الطِّيَرة؛ وهي استشعار الفأل السيئ عند حدوث أمر ما أو رؤيته أو سماعه، فيتراجع عما كان ينويه من العمل، وإذا أراد السفر فرأى بوماً أو غراباً فاستشعر الشؤم ولم يخرج لسفره[6].

وقد كذّب صلى الله عليه وسلم أيضاً الكهانة[7] والشعوذة وقراءة الأبراج ونفى حقيقتها؛ لأنّها تنبني على الخداع البصري أو العقلي، وهذا هو شأن الخرافات ففيها استخفاف بالعقول[8]، وعليها يتأسس جانب من الانحراف العقدي. ودليل ذلك ما روته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ قالت: "سأل أناس النّبي صلى

---

[1] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص80–82).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب لا هامة، (ج7/ص 135/ح 5757).

[3] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج3/ص 176).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب لا هامة، (ج7/ص 138/ح 5771).

[5] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ص 2118–2120).

[6] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج3/ص 180).

[7] الكهانة: ادعاء علم الغيبيات. ينظر: ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، (ج19/ص 83).

[8] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية–**، (ص 89–90).

الله عليه وسلم عن الكُهّان، فقال: إنّهم ليسوا بشيء. فقالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقا. قال: فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وَلِيّه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة"[1]، وقوله لهم: (ليس بشيء) يعني أنّه ليس بشيء يعتمد عليه إذ لا حقيقة له[2].

وهذه الأمثلة أدلّة على الجهل الذي يرمي صاحبه في أحضان الشبهات عَلِم ذلك أم لم يَعلم، فادّعاء الكهان والسحرة والعرافين علم الغيب هو من الخرافات التي حذر منها النّبي صلى الله عليه وسلم، ونهى عنها؛ لأنّه ينبني عليها انحراف في العقيدة ودخول صاحبه في الشرك، لأنّ علم الغيب اختص به الله تعالى وليس ذلك لأحد غيره، ودليل ذلك ما رواه عبد الله بن عمر أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر"[3].

المطلب الثاني: اتّباع الهوى من الأسباب الذاتية للانحراف العقدي

لا شكّ في أنّ اتباع الهوى أمر خطير، وفي هذا المطلب سيقوم الباحث بتتبع أهم ما يتعلق به.

المسألة الأولى: مفهوم اتّباع الهوى ودلالة القرآن الكريم والسنة المطهرة على خطره:

أولاً: مفهوم اتّباع الهوى:

"الهاء والواو والياء: أصلٌ صحيح يدلّ على خُلُوٍّ وسقوط"[4]، فللهوى معاني متعددة يمكن أن تدلّ على هذا العنوان الكبير، لكنْ عند إطلاق الكلمة فإنّه يقصد بها: ميل النفس إلى شهواتها بما يخالف الشرع[5]. "وربما كان الرجل عالماً بالأمر بصيراً به لكنّه يخالفه لا لجهله، وإنما لهواه وظلمه، بحيث ينصرف عن الحق إلى

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، (ج9/ص 162/ح 7561).

[2] ينظر: الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج21/ ص35).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، (ج2/ص 33/ح 1039).

[4] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج6/ ص15).

[5] ينظر: الخالدي، **الهوى** (دراسة موضوعية للمصطلح القرآني)، (ص 460).

الباطل"[1]، وهذا شأن صاحب الهوى عندما يداخل الهوى قلبه، فإذا أُشرِب حب الهوى لن تنفع معه النصيحة ولن يُجدي معه البرهان، والأدهى من ذلك أنّه لن يكترث بمَن قد خالَف[2].

ثانياً: دلالة السنّة النبوية على خطر اتّباع الهوى:

يشكّل الهوى خطراً كبيراً على الأمة كلها؛ فالهوى كما يصفه الشاطبي: "اتّباع الهوى أصل الابتداع"[3]، فهو من أمراض القلوب التي يمكن أن يصاب بها العالم والجاهل، مع فارق قوة الإيمان، وفارق حظ النفس في الإنسان، ويعبِّر الهوى عن طغيان الشهوات على العقل والفكر، حتى إنّ مَن طَغَت عليه شهوته لا يريد أن يؤمن باليوم الآخر لئلا يَلقى حساباً أو جزاء.

والحسد والكبر من شهوات النفس، والطمع في الدنيا وعدم الرغبة في زوال نعيمها من الشهوات، وهذا دَيدَن الطغاة الظلمة، الذين لا يرجون موتاً ولا نشوراً، وأيضاً فإن حبّ التسلق والتملق لأصحاب الشبهات يُعمي صاحبه عن النظر في ثبوت اليوم الآخر، ومن أدلة ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: "كان رجلٌ نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفَظَتْه الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لَمّا هَرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألْقَوْه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنّه ليس من الناس فألقَوه"[4]. فهذا صاحب الشهوة والهوى ركب الموج للتملق، فكان الخسران نصيبه، وهذا شأن المتسلقين المتملقين لأصحاب المنافع ممن يَحكُمون بغير دين الله تعالى، ويظلِمون الناس.

---

[1] السفياني، **الانحراف العقدي**، (ص 406).

[2] ينظر: الشاطبي، **الاعتصام**، (ج2/ ص 778).

[3] الشاطبي، **الاعتصام**، (ج2/ ص 588).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ج4/ص 202-203/ح 3617).

ولا يكون العبد مسلماً حقاً إلا إذا كان هواه تابعاً لما جاء به النّبي صلى الله عليه وسلم[1]، وابتعد عن تسليم نفسه لهواه، لأنّ من سمات النفس البشرية أنها عجولة ولا تشبع، وهذه الرغبات والشهوات تسوق الإنسان إلى غير ما يرضي الله تعالى، لأنه عَطّل الضوابط وألغى المدارك التي من خلالها يستقي من المَعين الصافي[2].

المسألة الثانية: أهم مظاهر اتّباع الهوى التي تجعله مِن الأسباب الذاتية للانحراف العقدي:

إنّ مظاهر اتّباع الهوى متعددة، لكنّ الذي يؤدي إلى الانحراف العقدي يعود إلى الأصول الآتية: وضع الأحاديث على النّبي صلى الله عليه وسلم، والتعصّب للنفس أو البلد أو المذهب أو الأشخاص، والغلوّ في الدين والأشخاص، وعبادة المال، وشهوة السلطة، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

المظهر الأول: وضع الأحاديث على النّبي صلى الله عليه وسلم:

هذا المظهر الغريب العجيب الذي دفع بعض الجهلة إلى دسّ الأخبار على النّبي صلى الله عليه وسلم، وهذا عقابه أليم وعاقبته شديدة وهي التّوعد بنار جهنم، وهذا يستدلّ عليه من حديث علي بن أبي طالب عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تَكذِبوا علَيّ، فإنه من كذَب علَيّ فلْيَلِج النار"[3]. وبما أنّ النّصّ واضح الدلالة على خطورة هذه الجريمة وعقابها الشديد، كان الأجدر أن لا يسعى أحد لنيل ذلك، لكنّ الهوى وما أدراك ما الهوى، والنّفس وحظ الشيطان، لعبت في نفوس ضعاف الإيمان فأودت بهم إلى المهالك، حتى قال بعضهم: "(نحن نكذب له لا عليه)، وهذا الاستدلال في غاية السخف؛ فإن النّبي صلى الله عليه وسلم لا يحتاج شَرْعه إلى كذابين ليروجوه"[4].

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝﴾ [النساء: 65]، فالواجب كمال التسليم والانقياد لكل ما أمر ونهى، دون أين يتعارض ذلك مع زبالات الأذهان وشبهاتها. ينظر: ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ج1/ ص 228).

[2] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص 84).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، (ج1/ص 33/ح 106).

[4] الطحان، **تيسير مصطلح الحديث**، (ص115).

ولا يخفى خطر الروايات الموضوعة وما أودت إليه من انحرافات في عقيدة المسلمين الصحيحة، لذلك يقول الألباني: "وقد أدى انتشارها إلى مفاسد كثيرة، منها ما هو من الأمور العَقَديّة الغيبية، ومنها ما هو من الأمور التشريعية"[1]. ويكمن هذا الخطر في أنّ وضع الأحاديث على النّبي صلى الله عليه وسلم يزيد على الدين ما ليس منه، ورَدّ الأحاديث الصحيحة يُخرِج من الدين ما هو منه[2].

ومن الأحاديث الموضوعة في العقيدة: ما وضعوه على النّبي صلى الله عليه وسلم نقله عن رب العزة قوله: "ما وسعني لا سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن"[3]، ومثله ما وضعوه على النّبي صلى الله عليه وسلم نقله عن رب العزة أيضاً: "كنت كنزاً لا أُعْرَف، فأحببت أن أُعْرَف، فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي، فبي عرَفوني"[4]، وكذلك ما وضعوه على النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إنّ الله خلق العقل فقال له: أقبِل، فأقبَل. ثم قال له: أدبِر، فأدبَر. فقال: وعزتي وجلالي ما خلقتُ خَلقاً أشرف منك، فبِك آخذ وبك أُعطي"[5]. وهذه أحاديث موضوعة في العقائد، تزيد في الإخبار عن ربنا تعالى شأنه ما ليس بثابت، ومثل هذا الأمر عظيم الخطر على عقيدة المسلم [6]، ويوافق ذلك وضع الحديث تعصبا للمذهب الفقهي أو العَقَديّ، ومثاله ما وضعته الرافضة على النّبي صلى الله عليه وسلم من وصايته بالخلافة لعلي رضي الله عنه[7].

---

[1] الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، (ج1/ص47).

[2] ينظر: الشوبكي، **أثر الأحاديث الموضوعة في العقيدة**، (ص 946).

[3] ينظر: السيوطي، **الزيادات على الموضوعات، ويسمى (ذيل اللآلئ المصنوعة)**، (ج2/ ص794).

[4] ينظر: الهروي، **الموضوعات الكبرى**، (ص 273).

[5] ينظر: الفَتَّني، **تذكرة الموضوعات**، (ص 28).

[6] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج18/ ص123).

[7] ينظر: الشوبكي، **أثر الأحاديث الموضوعة في العقيدة**، (ص 935).

المظهر الثاني: التعصب للنفس أو البلد أو المذهب أو للحزب أو الأشخاص[1]، وتقديس الدولة الحديثة، وتقديس الحدود الوضعية، والقوانين الوضعية التي استَبدَلت قوانين الدين[2]

ويدخل في هذا الجانب أيضاً: تقديس العَلمانية[3] وغيرها من المذاهب الفكرية واعتبارها إلهاً يُعبد، بل وتقديمها على الأوامر الإلهية عند التعارض[4].

والسبب الرئيس الذي يجعل التعصب مذموماً ومنهياً عنه؛ هو: أن الإنسان بتعصبه يصبح لا يرى الحق إلا إن خرج من فم من يَدين له بالعصبية حتى ولو كان باطلاً، ويرى الباطل عند كل من لا يَدين له بالعصبية وإن كان هو الحق المبين، فيصير ذلك مدخلاً رئيساً في التقليد الأعمى، حتى أنّه يقدم ذلك على أوامر الله تعالى ونواهيه، لذلك وقف النّبي صلى الله عليه وسلم موقفا حازما من التعصب فنهى عنه وعَدّه من أمر الجاهلية وتبرأ منها[5]، وظهر ذلك فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا في غَزاة، قال سفيان مرة: في جيش، فكسع[6] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنّها منتنة"[7]. ودعوى الجاهلية منتنة لكونها مستخبثة، فهي تثير التعصب على غير وجه الحق، والتقاتل على الباطل، وتجر

---

[1] لا يقصد الباحث من هذا الكلام: كراهية حب الوطن أو القبيلة، لكن الإسلام جاء برابطة أقوى من هذه الروابط وهي رابطة الدين، مع الإبقاء على محبة الوطن والقبيلة، أما التعصب المقصود فهو مثل ما كان من العصبية الجاهلية للقبيلة، وتقديمها على الدين ورفعها على درجة الأخوة في الدين. ينظر: برايم، **حفظ الوطن والانتماء إليه بين الحريات والرفض العقدي**، (ص 164). ملحوظة: اسم الباحث مضبوط وهو محاضر في إحدى جامعات كردستان العراق.

[2] لا يقصد من هذا القوانين التنظيمية لشؤون الحياة اليومية، كقوانين السير وما إلى ذلك، بل المقصود كقوانين المواريث وتحريم تعدد الزوجات وإباحة الشذوذ الجنسي وما إلى ذلك. ينظر: الحقوي، **التوضيح الرشيد في شرح كتاب التوحيد**، (ج2/ ص 425).

[3] العلمانية أو العالمانية: ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism)، ولا صلة لها بلفظ "العلم" ولا بمشتقاته إطلاقا، والترجمة الدقيقة للكلمة الإنجليزية هي (اللادينية) أو (الدنيوية)، بمعنى: ما لا يتصل بالدين بل ويضاده، أما العلمانية كمذهب فكري فهو يعبر عن حركة اجتماعية هدفها صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا فقط. ينظر: الحوالي، **العِلمانيّة – نشأتها وتطوّرها وآثارُها في الحيَاة الإسلاميّة المُعاصِرَة**، (ص22).

[4] ينظر: قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، (ص16).

[5] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص82–84).

[6] الكَسْع هو أن يضرب بيده على شيء، أو برجله، ويكون أيضا إذا رماه بسوء. ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج5/ ص 177). وينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (المقدمة/ ص179).

[7] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين}، (ج6/ص 154/ح 4905).

صاحبها إلى النار[1]. وينساق هذا النهي عن العصبية القبلية إلى النهي عن عموم العصبية بأي شكل كانت إلا لدين الله وحرماته[2].

ومن الحقائق أنّ التعصب آفة الكثيرين وبلاء متجدد عبر العصور، يصم آذان المستمعين ويغلف قلوبهم ويغلق عقولهم، فلا يوافق المتعصب من يدعوه إلى الحق الذي أدلته واضحة بينة، والمتعصِّب المقصود هو من لا يتبع الدليل، وإنما يتبع ما يتعصب له حتى لو ثبت له خلافه، وهذا خلل تربوي يقدح في الإيمان والإخلاص[3].

المظهر الثالث: الغلو في الدين وفي التعامل مع الأشخاص:

من مقاصد الشرع تخليص الناس من الغلو والتعصب، لأنّ التعصب للأشخاص قد يرفعهم لمقامات الألوهية، ومثاله تلك الأوثان التي عبدها قوم نوح عليه السلام، فهي "أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصُبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدت"[4].

وبلا ريب فإنّ الغلو والتعصب كانا من أسباب انحراف أهل الكتاب، وهما بلا شكّ أسباب في انحراف بعض الفِرَق الإسلامية، فمن تعصب لعلي كفّر غيره من الصحابة، وقابَل هذا التعصب من تعصب لمعاوية وكفّر علياً رضوان الله على الصحب أجمعين. وفي مكان آخر غالى بعضهم في الوعيد فخلّدوا المسلمين في النار، وغيرهم غالى في الوعد حتى نفَوا بعض الوعيد، وغيرهم غالى في التنزيه حتى نفى الصفات، وبالمقابل غالى غيرهم في الإثبات فوقعوا في التشبيه والتجسيم[5]، ولو أنّهم اتبعوا هَدي النّبي صلى الله عليه وسلم لما ضلوا وأضلوا، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إنّ الدِّين يسر، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلَبَه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا

---

[1] ينظر: القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (ج6/ص560/ح2490).

[2] ينظر: السندي، **حاشية السندي على سنن الترمذي**، (ج3/ص 488).

[3] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص 78).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب سورة نوح: ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، (ج6/ص 160/ح 4920).

[5] ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص29).

بالغَدوَة والرَّوْحة، وشيء من الدُّلْجَة"[1]، ودلّ الحديث على النهي عن التعمق في الأعمال الدينية بطريق الشِّدة، والنهي عن ترك الرفق، فمن فعل عجز وانقطع ثم غُلِب، وكل من يتكلف في أمور الدين فسينقطع، وليس المقصود منع طلب الأكمل في العبادة، بل جاء النّهي عن الإفراط المؤدي للمِلال أو المبالغة، وجاء كلامه صلى الله عليه وسلم مخاطباً المسلم وكأنّه مسافر إلى مقصد، فنبّهه على أوقات نشاطه؛ لأنّ المسافر لا يقدر على النشاط ليل نهار، بل ينشط في أوقات ويرتاح في أخرى، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يبين للمسلمين خطورة الغلو والتشدد [2]، حتى أنّه نهاهم في مواطن عديدة عن المغالاة في شأنه، ومن ذلك: ما رواه عمر رضي الله عنه أنّه سمع النّبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تُطروني[3] كما أطرَت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله"[4]. وقد غضب النّبي صلى الله عليه وسلم لما علم بمفاضلة ناس من المسلمين له على موسى ويونس عليهما السلام مع انتقاص هذين العظيمين فنهى عن ذلك، وهو ما رواه أبو هريرة مرفوعاً: "من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب"[5]، وكل هذا لئلا يرفعوه إلى مقام الألوهية[6]، ومن باب أولى أن لا يُرفع أحد آخر إلى هذه المقامات.

ولأهمية هذا المظهر نجد البخاري أفرد له باباً وترجمة، فضرب نفس المثال الذي استعمله القرآن الكريم تأسيا به، فترجَم الباب بما يأتي: باب "قوله: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا}. قال أبو عبيد: كلمته: كن فكان. وقال غيره: {وروح منه} أحياه فجعله روحاً. {ولا تقولوا ثلاثة}"[7]. ثم أتبع الترجمة بحديث النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (ج1/ص 16/ح 39). المشادة: المغالبة. سددوا: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط. قاربوا: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه. أبشروا: أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل. استعينوا بالغدوة: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة بالفتح سير أول النهار. والروحة بالفتح السير بعد الزوال. والدلجة بضم أوله وفتحه وإسكان اللام سير آخر الليل، وقيل سير الليل كله. ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج1/ ص 95).

[2] ينظر: ابن هبيرة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، (ج7/ص 325).

[3] الإطراء: الإفراط في المدح بالباطل. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج15/ص 6). وينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (المقدمة/ ص 79).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، (ج4/ص 167/ح 3445).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {وإن يونس لمن المرسلين}، (ج6/ص 124/ح 4805).

[6] الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص1561).

[7] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، (ج4/ص 165).

محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنّة حقّ والنّار حقّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"[1]. فلا ريب في أنّ الغلوّ يُهلك عقيدة المرء ويلوّث فطرته التي فطره الله عليها، حتى يصبح الغلوّ إلهاً يُعبد من دون الله فهو من صور الهوى، بينما الاعتصام بمنهج النّبي صلى الله عليه وسلم منجاة وأي منجاة.

المظهر الرابع: عبادة المال:

للمال أثر عظيم في نفوس البشر، وهو من الشهوات التي فطر الله تعالى نفوسهم على حبها وزُيّنت لهم، فقال جل وعلا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: 14]. وقد عبّر القرآن عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبة، وهي مذمومة إذا لم تكن منضبطة بالاعتدال، وإلا فإنّ الرجل يحمله حبّه الأعمى للدنيا وتعلقه بالزعامة المؤقتة والمال الزائل على طمس معالم الحق وترك الإيمان، وليس المقصود من الآيات منع هذه الشهوات ومنع حبها المنضبط بالاعتدال، وإنّما الممنوع المبالغة في الحب والإسراف في الشهوات، فتطغى حينها على عقيدة الرجل ودينه ويُهمل بسببها آخرته[2].

وهذه الأمور إذا تزينت بزينة الشرع فهي مطلوبة، أما إذا خُلِعَ عنها حجاب العقيدة والدين فبئست والله الزينة، فإنّها تصير وبالاً على صاحبها، فيصير همه جمع المال وإنفاقه دون أن يبالي من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وهذا الأمر الخطير حذّرنا منه النّبي صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "ليأتيّن على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام"[3]. وهذا عندما يقع فإنّه يدلّ على قلة الدين وحب الدنيا وإيثارها، وقوله: ليأتين يقضي بأن الأمر لا بد سيحصل[4].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم}، (ج4/ص 165/ح 3435).

[2] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (ج3/ص153).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون}، (ج3/ص 59/ح 2083).

[4] ينظر: الأمير الصنعاني، **التنوير شرح الجامع الصغير**، (ج9/ ص202/ح 7512).

فلا بأس في المال في الأصل، لكنّ ما يجعله وبالاً هو البعد عن الانضباط، فيعمي صاحبه فيصير أوليّة عنده لا بد من السعي خلفها ليل نهار وبكل وسيلة ممكنة، فمتى أصبح المال هو الأول والآخر حتى لو باع دينه وعقيدته وخالف شرع ربه بحفنة من الدنيا فهو عبد له. ومخالفته لدينه تكون بالتحايل على أوامر الشرع كتحريم الربا، ومخالفته لعقيدته قد تكون بخيانة المسلمين من أجله، فيوالي الكافرين ويَخرج من الإسلام كله من أجل محبته، ومصداق ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "تَعِسَ[1] عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخَمِيصَة[2]، إن أُعطِي رضي وإن لم يُعَط سَخِط، تَعِس وانْتَكَس[3]، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش[4]، طوبى[5] لعبد آخِذٍ بعِنان فَرَسه في سبيل الله، أشْعثَ[6] رأسُه، مغبَرَةً قَدَماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة[7] كان في السَّاقة، إن استأذن لم يؤذَن له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّع"[8]. والشاهد من الحديث أنّ من لا يهمه إلا المال فإنه يصير عبداً له، ومن يركض خلف الموضة يصير عبداً لها وللمظاهر الفاسدة الزائلة، ويقول ابن القيم في شرح الحديث: "فسمى هؤلاء الذين إن أُعطُوا رضوا وإن مُنِعوا سَخِطوا عبيداً لهذه الأشياء؛ لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها. فإذا شغف الإنسان بمحبة صورة لغير الله، بحيث يرضيه وصوله إليها وظَفَره بها ويُسخِطه فوات ذلك، كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك"[9].

وقول النّبي صلى الله عليه وسلم (وإذا شيك فلا انتقش): دعاء على من أصابته شوكة في رجله بأن لا ييسّر الله له من يعينه ويزيلها له؛ لأنّه من عبدة المال، وهذا الدعاء عليه عقاب له، والخير كل الخير لمن يعمل بما يتحصل له على خيري الدنيا والآخرة، فإنْ كان الخير في الحراسة فإنك تجده مشتغلاً في الحراسة

---

[1] تعس: تعثر وانكب فِيهِ. ينظر: ابن الجوزي، **غريب الحديث**، (ج1/ ص108). وتعس: شقِيَ وانكب على وجهه، وتعثر فلا يفيق من عثرته وهلك. ينظر: ابن حجر: **فتح الباري**، (ج6/ ص 82).

[2] الخميصة: ملاءة من صوف أَو خَز، معلَّمَة، فَإن لم تكن معلَّمة فَلَيْسَتْ بخميصة، وسميت لرقتها ولينها وَصغر حجمها إذا طويت. ينظر: الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، (ج2/ ص167).

[3] انتكس: أي انقلب على رأسه. ينظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (ج5/ ص115). وانتكس: إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى. ينظر: ابن حجر: **فتح الباري**، (ج6/ ص 82).

[4] شيك: أصابته شوكة. أما انتقش: دعاء عليه أن لا يقدر على نزع شوكته بالمنقاش. ينظر: أبو إسحاق الحربي، **غريب الحديث**، (ج1/ص 312).

[5] طوبى: **(فعلى)** من الطيب، ويقال: طوبى من أسماء الجنة، وقيل: شجر تظل الجنان كلها. ينظر: الهروي، **الغريبين في القرآن والحديث**، (ج4/ ص 1191).

[6] الشعث أن يتفرق الشعر، فلا يكون متلبدا رجل أشعث. ينظر: أبو إسحاق الحربي، **غريب الحديث**، (ج2/ص 588).

[7] الساقة جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. ينظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (ج2/ ص 424).

[8] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، (ج4/ص 34/ح 2887).

[9] ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (ج2/ ص149).

دون أن يلتفت إلى غير الخير، وإن وجد الخير في أن يسوق الجيش ويحميهم فعل ذلك دون أن يُلقي بالاً لغير ما فيه خير لدينه ودنياه، ودون أن يسعى للشهرة والأضواء فتجده دائم التواضع، وهؤلاء في الحديث حث النّبي على التشبه بهم ودعا لهم بالجنة، فطوبى لهم بعملهم هذا[1].

المظهر الخامس: شهوة السلطة الموصلة إلى الغيّ:

السلطة الحقيقية في الإسلام إنّما هي لله وحده، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154]، فعلى كل من يسعى إليها أن يطبق شريعة الله العليم الحكيم، فإذا فعل ذلك كانت له خيرا وفيرا في الدنيا والآخرة، فقد روى أبو هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم قوله: "سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل" الحديث[2].

ولخطر أثر السلطة في النفوس فإنّ النّبي صلى الله عليه وسلم حذّر من الحرص عليها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة"[3]، فالحرص على المكاسب السياسية ظاهر في جعل الناس يسفكون دماءهم ويستبيحون حرمات الله ويتبرؤون من عقيدتهم من أجلها، وذمٌّ طلبها لا يشمل من هو أهل لها[4]. وهذه الشهوة تجرُّ من يحبها إلى بذل الغالي والنفيس من أجل محبوبه، فمحبّها لن يجد بأسا في التبرؤ من دينه شريعة وعقيدة وأخلاقاً من أجل مكاسب دنيوية، مع علمه بأنّها أمر زائل لا محالة.

وكما تكون السلطة السياسية وبالاً على صاحبها أحياناً فإنّ الدينية مثلها، فمن أدّى حقها وابتغى وجه الله رَفَعه، ومن ابتغى استغلالها ليتحصل على مكاسب دنيوية فقد خان الأمانة التي بين يديه، وقد قال ربنا عز وجل فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا

---

[1] ينظر: ابن حجر: **فتح الباري**، (ج6/ ص 83).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، (ج2/ص 111/ح ١٤٢٣).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، (ج9/ص 63/ح ٧١٤٨).

[4] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج8/ ص 218).

يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: 77]، فهؤلاء استغلوا معرفتهم بالتوراة فأنكروا أمورا وأثبتوا غيرها فحرّفوها، فخانوا العهود واستغلوا سلطتهم الدينية من أجل المنفعة الدنيوية، ومن أجل الترؤس والارتشاء وغير ذلك، فكان عقابهم كما نصّت عليه الآية[1].

وقد كان من الفِرَق الإسلامية من انحرفت طلباً للرياسة السياسية، فالخوارج إنما ابتدأت فِرقة سياسية قبل أن تستغلّ ذلك فتكفّر النّاس، حتى إنّها فيما بعد انحرفت في عقيدتها[2]، ومِثلهم الشيعة الذين ابتدأوا فرقة سياسية حاولت الوصول للسلطة[3]، فما كان منهم إلا أن قالوا بتكفير جلّ الصحابة ودسّوا الأحاديث في الوصاية لعليّ وذريته، ثم دمجوا استغلال السلطة السياسية بالدينية بأن ادعوا عصمة الأئمة وعصمة القائم بأعمال الإمام مِن بعده، كي يكون الناس من حولهم عبيداً لهم ورهناً بإشارة منهم، وكذلك من ضلّ من الصوفية يدعو أتباعه لتصديق كل ما يقول[4].

[1] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (ج3/ ص268).

[2] ينظر: عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، (ج1/ص54).

[3] ينظر السقاف، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، (ج5/ص 331).

[4] ينظر: وينظر: السقاف، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، (ج2/ص 64).

المبحث الثاني: الأسباب الخارجية للانحراف العقديّ

تمثل الأسباب الخارجية للانحراف العقدي نتاج تأثر الإنسان بالمجتمع الذي يعيش فيه وما يعجّ به من أفكار، ومنها ما يكون فيه من الشُّبَه الشيء الكثير، والتفصيل فيما يأتي:

المطلب الأول: أثر غياب دور الأسرة في التحصين العقدي

المسألة الأولى: خطورة غياب دور الأسرة في التحصين:

الأسرة عماد المجتمع واللبنة الأساسية له، وعند غياب دورها في التحصين العقدي تنشأ الاضطرابات الفكرية والعقدية لدى أفرادها، وتصير ميداناً للأفكار الدخيلة والعقائد الضالة الباطلة والسلوكيات المنحرفة، فإذا جَهِل رب الأسرة معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، فلِمَن سيترك الإجابة عن تساؤلات أبنائه وزوجه في هذا الباب؟ والمرأة بالمثل، لأنّ الجهل بمعاني الأسماء والصفات الإلهية قد تكون نتيجته العداء، عداء المخلوقات النّاقصة لربها الحليم العظيم، وعلى الجهة المقابلة توجد المعرفة[1] والمحبة، فمعرفة المسلم بمعاني أسماء ربه وصفاته يؤدي به إلى محبته بكل تأكيد.

ويكون دور الأسرة بالرقابة والإرشاد والنّصح، والأسرة التي تتجنب ذلك وتهمله تصير خائنة للأمانة، ومصداق ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النّبي صلى الله عليه وسلم قوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول"[2]. ومِن فَهم البخاري لهذه المسألة أنّه أورد الحديث في كتاب النكاح، وأخرج الحديث تحت باب ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]، ومناسبة الحديث مع الترجمة ظاهرة متطابقة؛ لأنّ من ضمن رعية

[1] تجنب الباحث إطلاق لفظ العلم هنا، لأن المعرفة أقل درجة من العلم من حيث الشمول، قال تعالى: سمحوَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمَاسجى [طه: 110].

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب {قوا أنفسكم وأهليكم نارا}، (ج7/ص: 26/ح 5188).

الرجل أهله ونفسه وهو مسئول عنهم، وقد أُمِر بالحرص على تجنيبهم الوقوع في النار، وأُمِر بامتثال الأوامر والنّواهي الإلهية فيهم وتعليمهم ذلك[1].

المسألة الثانية: مظاهر غياب دور الأسرة في التحصين العقدي

عندما يغيب دور الأسرة الفعال في التحصين العقدي والإرشاد الفكري تكون الأسر غالباً مشوهة العقيدة والسلوك، وهذا الأمر الخطير يحتاج إلى بيان أهم المظاهر التي تجلّي خطورة غياب دور الأسرة وتأثير ذلك في ظهور الانحراف العقدي، وهذه المظاهر كالآتي:

المظهر الأول: جهل بعض الأسر بأصولَ عقيدتها

بما أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فإنّه يصعب على الأسرة التي تجهل أصول عقيدتها أن تبني بناءً صالحاً متماسكاً في المعتقد والدين. وهذه مسئولية عظيمة تقع على عاتق الأسرة أو الوالدين بالتحديد، ودليلُ ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدَانه وينصّرَانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها"[2]، وهذا يعني أنّ الأسرة المسلمة يمكن أن تكون سبباً في ضلال أبنائها إن لم تقم على تربيتهم على الدين الحق، فإنّ الإنسان يولد على فطرة سليمة ترشده إلى حقيقة وجود الله تعالى، لكنّ ذلك مرتهن بخلو محيطه من الآفات التي تَنخُر فطرته[3]، وأنّى لنا بمحيطٍ خالٍ من الفتن والشبهات والشهوات! ففي ظل البيئة المحيطة بالإنسان يكون الثِّقل في الأساس على عاتق الأسرة التي يجب عليها أن تظلل أفرادها بالعناية، وتحيطهم بالوقاية، فالمعنى الذي يريده النّبي صلى الله عليه وسلم: أنّ الأصل أن يولد كل البشر على فطرة سليمة وطبع قد تهيأ ليقبل دين الله، فلو تُرك بالفكرة وحدها لاهتدى إلى الحقّ ولم ينتقل إلى

---

[1] ينظر: ابن حجر: **فتح الباري**، (ج9/ ص 254).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، (ج8/ص 123/ح 6599).

[3] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج8/ص 150).

غيره، وذلك لحُسن الحق والعقيدة السليمة في الفطرة، وإنّما الذي يجعل الفطرة تضطرب هي المؤثرات الخارجية والآفات المحيطة[1].

وهذا المظهر يوجب على الأسرة أن تجعل لأفرادها –راعياً ورعية– منهاجاً معيناً في العلم، يجعلها تُلِمّ بأصول العقيدة، وإلا فكيف سيُعرَف الحق من الضلال؟ ويدخل في هذا الباب كل أصول الاعتقاد بأن يعلّم الأب أبناءه حُسن التوكل على الله وحسن الظّنّ به، وأنّه تعالى بيده مقاليد كل شيء، وأن يعلمهم أركان الإيمان التي علمنا إياها جبريل عليه السلام في الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: "كان النّبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث"[2].

المظهر الثاني: غياب رقابة الوالدين أو أحدهما تجاه أبنائهم

من وظائف الوالدين متابعة الأبناء متابعة حثيثة، خاصة تلك الفترة التي يبدأ فيها الأبناء بالانفتاح على المجتمع الخارجي، وإنّ غياب هذا الدور يمثل بداية السقوط بشتى مجالاته، ومنها الانحراف العقدي والفكري، خاصة أنّ الساحة العالمية اليوم تعجّ بالأفكار والمعتقدات المنحرفة، وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[3]، فإنّ هذه المسؤولية تحتّم على كل أب وأم أن يراقبا بنيان أسرتهما، ويحافظا عليها من التنكيل والهدم، وأن يحذّرا أسرتهما من المعاول الهدامة والفخاخ المرصودة.

ومما يأسف له المرء في حاضرنا المعاصر: أنّك تجد أنّ كلا الوالدين في العمل، أو أنّ أحدهما منغمس في العمل وحده، وبغياب الرقابة تُفتح أبواب الشيطان فيسرح بذهن الأولاد كما يشاء، ونرى اليوم أنّ من يربي أولادنا الحضانات سواء كانت مأمونة أم غير مأمونة، أو تربيهم الجوالات والإنترنت دون رقيب ولا

[1] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج1/ ص 716).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (ج1/ص 19/ح 50).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}، (ج9/ص 62/ح 7138).

حسيب ويكون أحدهم كمن فقد والديه، لذا فإنّ الشرع حثّ على كفالة اليتيم والعطف عليه؛ لأنّ احتواء اليتيم يحميه من شراك الأعداء في دينه ودنياه، ومن باب أولى فإنّ تفعيل دور الرقابة الأسرية واحتواء الأولاد كفيل أن يحميهم ويحصنهم من بأس العدو وشبهاته.

ثم إنّ غياب التفاعل الأسري والرقابة الأبوية على الأولاد يورث بينهم الجفاء، بينما زرع المحبة في القلوب من أهمّ ما يوجب التفاعل، فالوالدان إذا زرعا المحبة في أبنائهم فإنّ المقابل عادة من أبنائهم هو استقبال النّصح واستقبال تصحيح الأخطاء والأفكار الفاسدة، ألم تر أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع المجتمع كله برفق ولين؟ وكان يختص بالرفق واللين أبناء المسلمين عامة، ويختص المقربين منه من صغار السن ما يعلقهم بمحبته صلى الله عليه وسلم، وهذا المنهج أساسي في الدعوة إلى الله، فما بالنا في دعوتنا لأسرتنا؟ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم"[1]، حتى إنّ البخاري أخرج هذا الحديث تحت باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

واليوم نسمع شكاوى الآباء من أبنائهم، وصور العقوق زادت، حتى إنّ الآباء لا يعلمون بأنّ البداية كانت من عندهم، وأنّ السبب في ذلك غياب دورهم في المتابعة الحثيثة والنصح والإرشاد والاستماع.

ويندرج تحت هذا المظهر: عدم تخصيص وقت لتربية الأسرة، فالابتعاد عن تربيتها يؤدي إلى نشوئها متفككة لا وشائج بينها، ويكون مصدر معلوماتها وتربيتها في كل شؤونها من الخارج، وكيف بنا ونحن أمام نموذج النّبي محمد صلى الله عليه وسلم في حياته الأسرية، فهو في مهنة أهله يعينهم ويشاركهم ويرعاهم، ومع أنّه النّبي والإمام والقائد فإنّه لم ينسَ أنّه الزوج والأب.

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (ج8/ص: 7/ح 5997).

ومن ذلك ما رواه الأسود بن يزيد قال: "سألتُ عائشة، ما كان النّبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة". ونرى البخاري أخرج الحديث في ثلاثة مواضع: أخرجه في باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج[1]، وفي باب خدمة الرجل في أهله[2]، وفي باب كيف يكون الرجل في أهله[3]، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يخصص وقتاً لخدمة أهله ورعايتهم والإجابة عن أسئلتهم الدينية[4].

وكان اهتمام النّبي صلى الله عليه وسلم بالغاً في الجانب الأسري، وكان مع حضوره بجسمه وروحه ينوّع في أساليبه مع أسرته، فبالهدية والمزاح واللعب والكلام الطيب وضرب المثال والأساليب كثيرة، ومثال ذلك ما رواه أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها"[5]، وأمامة رضي الله عنها حفيدته صلى الله عليه وسلم ونحن لسنا منشغلين أكثر منه صلى الله عليه وسلم، لكنّه لعلمه بأهمية هذا الدور تجده يفرّغ من الوقت ما يمضيه معهم، ومن الوقت ما يمضيه مع أولاد المسلمين ومع بقية فئات المجتمع فلم يهمل منها أحداً، فهو يعلم أنّ وجوده بينهم يعني تحصينهم في العقيدة والسلوك. وقد روت أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: "أُتِيَ النّبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خَميصة[6] سوداء صغيرة فقال: من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد[7]،

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، (ج1/ص 136/ ح676).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله، (ج7/ص 65/ح5363).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، (ج8/ص 14/ح 6039).

[4] ينظر: المعايطة، **العقيدة الإسلامية**، (ص:136-137).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، (ج1/ص 109/ح 516).

[6] الخميصة: ثوب أسود أو أَحْمَر لَهُ أَعْلَام. نخبة من اللغويين، **المعجم الوسيط**، (ج1/ص 256). وهي ملاءة من صوف أو خَز معلَّمَة، فإن لم تكن معلَّمة فَلَيْسَتْ بخميصة، وسميت لرقتها ولينها وَصغر حجمها إذا طويت. ينظر: الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، (ج2/ ص167).

[7] أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، اسمها أَمَة وكنيت بولدها خالد بن الزبير بن العوام، وقد تزوجها الزبير فكان لها منه خالد، وعمرو ابنا الزبير، وقد وُلِدَت بأرض الحبشة ثم قدمت المدينة مع أبيها بعد خيبر. ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح البخاري**، (ج10/ ص 280).

فأُتِيَ بها تُحْمَل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: أبْلِي وَأَخْلِقِي [1]، وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد، هذا سناه[2]"، وسناه بالحبشية حسن[3]،

لكنْ وفي ظل الحياة التي يعيشها أبناء هذا العصر، صار البعيد قريباً والقريب بعيداً، مع أنّ الأَولى أن تأخذ الأسرة وقتاً مستقطعاً من الجري خلف الدنيا، للتقرب من الأولاد ومعرفة احتياجاتهم، وريّ بذور العلم والأدب والأخلاق فيهم بماءِ حُسن الخُلُق والرفق واللين، وغرس المعتقد السليم في قلوبهم. أمّا من أهمل هذا الجانب فقد يستيقظ يوماً فيجد أنّ أولاده عندهم من الشبهات والانحرافات العقدية ما لا قِبَل له به ولا يعلمه إلا الله.

المطلب الثاني: التقليد والتبعية العمياء من الأسباب الخارجية للانحراف العقدي

المسألة الأولى: أثر التقليد والتبعية العمياء في الانحراف العقدي

يأتي التقليد الأعمى بأضغاث من الشبهات التي يلوكها ويبصقها صاحب كل شبهة، وتزداد المصيبة عندما يعتنق المسلم أفكارهم ويروّج لها وهو يظن بنفسه خيراً، ويظن بهم خيراً، وقد حذّر النّبي صلى الله عليه وسلم من التبعية والتقليد المذموم، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لتتبعن سنن من قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"[4]. وهذا الإخبار منه صلى الله عليه وسلم هو بمقام الذم له والتحذير منه[5]، وفيه ما يدلّ على التحذير من الوقوع في التبعية والتقليد الأعمى، لأنّ هذا التقليد يودي بصاحبه إلى المهالك في دينه وعقيدته.

---

[1] أبلي: من بَلِيَ، و (بلي) الثَّوب بلَى وبلاء رثَّ وَالدَّار وَنَحْوهَا فنيت. نخبة من اللغويين، **المعجم الوسيط**، (ج1/ص71). أخلقي: أَخْلَقَ الشَّيءُ وخَلِقَ، إذا بَلِيَ. ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج2/ ص214). أما (أَبْلِي وَأَخْلِقِي): فهي دعاء بطول العمر، ومعناه: عيشي فخرَقي ثيابك وارقعيها. ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج5/ ص232).

[2] سناه: قِيلَ: سَنَا بالحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ، وَهِيَ لغةٌ، وتُخَفَّفُ نونُها وتشددُ، وَفِي رِوَايَةٍ: سَنَهْ سَنَهْ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخرى: سَناهْ سَناه، مخفَّفاً ومشدَّداً فِيهِمَا. ابن منظور، **لسان العرب**، (ج14/ص 406).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، (ج7/ص 148/ح 5823).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ج4/ص 169/ح 3456).

[5] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم**، (ج8/ص 163).

وقد تعددت أسباب التقليد الأعمى؛ فقد يكون لهوى الانحراف في نفس المقلِّد، وقد يكون لضعفه دينياً أو دنيوياً فابتغى العزة في غير دين الله، وقد يتأثر المرء دون إدراك منه وذلك لكونه ابن بيئته أو ابن أسرته التي نشأ فيها.

المسألة الثانية: أهم مظاهر التقليد والتبعية العمياء في كونها من أسباب الانحراف العقدي

المظهر الأول: تقليد أهل الكتاب والثقافة الإغريقية في عقائدهم وتجسيد الآلهة وتعددها

وغير ذلك من التصويرات التي نشاهدها ونسمعها ونقرؤها من سيل الشبهات والانحرافات على الأجهزة الذكية والقصص والكتب التي تدس في وجدان من يشاهدها السخرية بالإله وأنه غير جدير بكونه إلهاً، وهذه المسألة متجددة في العصور. وقد حذّر النّبي صلى الله عليه وسلم مما يفِد من الثقافات الضالة المنحرفة، ومن ذلك تحذيره من التصاوير؛ لأنّ فيها مضاهاة لخلق الله تعالى، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم"[1]. وإذا كان هذا في شأن مَن يصوِّر ما يضاهي به خلق الله، فكيف بمن يصور الله جل وعلا؟! والتحذير من هذه المصائب واجب على كل المسلمين، وتقليد هذه الثقافات الضالة يعني الموافقة عليها وتكثير سواد أصحابها وهذا شأن خطير، لأنّ الإنسان مع مَن كثّر سوادهم، وفاعل ذلك لا يأمن أن يحل به غضب الله وسخطه[2].

هذا التقليد الأعمى لهم أورثنا الاحتفال برأس السنّة الميلادية والمتعارف عليه بالاحتفال بيوم الميلاد المجيد، وهذا التقليد لأهل الكتاب يُدخل المسلم المقلِّد في طيات عقائدهم، فالاحتفال بهذه المواسم من أعيادهم يعني موافقتهم والرضا بما يقولون ويفعلون، فهم يحتفلون في يوم الميلاد المجيد بولادة الرب عندهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فكيف يكون من الإيمان موافقتهم على ذلك؟ والنّبي صلى الله عليه

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، (ج7/ص 167/ح 5951).

[2] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج7/ ص 292).

وسلم نهى عن موافقتهم، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"[1].

ثم إنّ تقليدهم صدّر إلينا قَصْر صفات الله تعالى على ثلاث[2]، وإذا رجعنا إلى صحيح البخاري، نجده قد اهتم بهذا الجانب فأفرد كتاباً من الجامع أسماه: (كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم). وهذا الاهتمام سببه كثرة الكلام في هذه المسألة في عصره، إذ كثرت الشبهات والفِرَق الضالة والمذاهب الفكرية المنحرفة، وكان أسوأ ما قال به الكثيرون: نفي الصفات، فجعل كتاب التوحيد بمثابة الكتاب المختصّ في الردّ على شبهات منكري الأسماء والصفات.

وقد ضلّ المبتدعة من أدعياء التصوف بتقليدهم أهل الكتاب وأهل الأوثان، ومن ذلك أنّ لباس الصوفية مأخوذ عن لباس كهان النّصرانية، واتخاذ زوايا للعبادة دون المساجد إنما هو تقليدٌ نصراني حتى إنّ أول من بنى زاوية للصوفية أمير نصراني، كما إنّهم تأثروا بعقيدة حلول اللاهوت في الناسوت، وتأثر الصوفية أيضاً بالعقائد الهندية في مسألة الفناء والحلول ووحدة الوجود وتعذيب النفس، وتأثروا أيضاً بالفكر الفلسفي اليوناني[3]. فتقليدهم الأعمى لأهل الشرك أدخل في عقائدهم ما لا أصل له في ديننا، فانحرفوا في عقيدتهم وضلوا الطريق، مع العلم بأنْ ليس كل الصوفية مشوا على هذا المنوال، بل إنّ منهم وسطيون بقوا على طريق الحق[4].

وممن تأثر بهم الصوفية أيضاً: الرافضة، يقول ابن خلدون: "وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب الخضاب، (ج7/ص: 161/ ح 5899).

[2] ينظر: ابن تيمية، **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق**، (ج1/ص 219).

[3] ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص290-295).

[4] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج11/ ص 18).

مذهب الآخر. واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين"[1].

المظهر الثاني: تقليد دعاة الإلحاد[2]

هذه المسألة المتجددة في كل عصر نبّه عليها رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[3]. وهذا الحديث يدلّ على أنّ الملحدين ودعاة الكفر إنّما يستغلون بعض الظواهر المشاهَدة من خلال الحواسّ لإنكار وجود الله تعالى فهم يدسّون السم في العسل، والحديث يدلّ على أنّ الانجرار وراء شبهة التسلسل سيوصل في النهاية إلى إيجاب خالق لله –تعالى الله عن ذلك– فيستدلّ الشيطان وأتباعه بآثار الخلق وحُسن الصنعة ليسألوا سؤالاً يشتبه على المستمع: من خلق الله؟ فالوقوف هنا دون الانجرار خلف السؤال هو محض الإيمان[4]، فالشيطان وأنصاره يختارون هذا الطريق ليستغلوا هذه الظواهر لإضلال الناس كافة والمسلمين خاصة.

وقد يأتي هذا القول نتيجة تقليد الضعيف للقوي أو كما أسماها ابن خلدون: ثقافة الاقتداء بالغالب[5]، وهذا الغالب قد يكون غالباً سياسياً أو عسكرياً أو فكرياً، والمغلوب على النّقيض منه، فالضعيف فكرياً سيقلد القوي فكرياً، وقد يكون التقليد نتيجة ردات فعل إنكارية على أحداث واقعية يرى الضعيف فيها غياب الإله –حاشاه تعالى– عن ساحات المصائب الموجودة.

فضعف المسلمين في التحصيل العلمي في أصول دينهم وعقائدهم، وفي أمور دنياهم، حدا بالضعفاء منهم عند تعارض بعض العلوم ظاهرياً مع القرآن الكريم، أو تعارض بعض النظريات العلمية مع ظاهر القرآن

---

[1] ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، (ج1/ ص 620).

[2] الإلحاد في اصطلاح المعاصرين نوعان: إلحاد قوي يؤمن دعاته بأن الله غير موجود، وإلحاد ضعيف وصاحبه لا يؤمن بوجود الله. ينظر: عامري، **براهين وجود الله**، (ص 61–62).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[4] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج1/ ص 433).

[5] قال ابن خلدون: "المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده". ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، (ج1/ ص184).

الكريم، أن يرجحوا النظريات العلمية على اعتقادهم الغيبي، حتى وإن كان مصداقه ظاهراً في القرآن والسنّة الصحيحة. بينما منهج المسلم الحقّ اتهام نفسه وعلمه عندما يتعارض مع الدليل الصحيح، ومثال ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رجلاً أتى النّبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ"[1]. وهذا يظهر منه أنّ السائل رأى من ظاهر الحسّ المشاهَد ما يتنافر مع قول النّبي صلى الله عليه وسلم، فما كان من النّبي الحبيب إلا أن أكّد له المقولة ليثبت له أن الوحي لا يمكن أن يأتي بما هو خاطئ، وذلك عند قوله: صدق الله وكذب بطن أخيك.

إنّ تقليد دعاة الإلحاد لا يأتي بالخير، فهو شَرَك من شراك الشيطان، يرميه الشيطان أمام المسلم ليصدّه عن دينه، فيُزيّن له الشبهات ويجمّلها له حتى يرى أنْ لا حق إلا هي، ويُضل به مَن يجهل أصول العقيدة.

المظهر الثالث: الغلو في التعامل مع الصالحين وتقديسهم:

لا زالت هذه المسألة منذ القديم تتجدد في أزمان وأماكن متعددة، وقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قائلاً: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْد، أمّا وَدّ: كانت لِكَلب بدَوْمَة الجَنْدَل، ... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا فلَم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبِدَت"[2].

فمسألة تقديس الأشخاص موجودة منذ القديم، والدافع إلى تكرارها على مر العصور أسباب منها التقليد والتبعية العمياء، لأنّ أصحاب هذا الانحراف لمَّا رأوا تقديس النصارى لعيسى عليه السلام غبطوهم على ذلك، لِما رأوا لذلك من حلاوة في الروح عند من لم يجد حلاوة الإيمان في قلبه، وهذا دليل ضعف في أصول اعتقاده، وهذه المسألة تنبَّه لها رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم، حتى لا يقع المسلمون في تقديسه في حياته أو بعد وفاته، فلم يترك موقفاً إلا نبَّه عليه، ومثال ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها:

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، (ج7/ص: 123/ح 5648).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ودا ولا سواعا، (ج6/ص 160/ح 4920).

"أنّ أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[1].

هذه القضية التي يتساهل فيها بعض الناس قد أوصلت الشيعة إلى تقديس الأئمة عندهم ورفعهم إلى مقامات الألوهية، والمسألة ذاتها مَن جعلت قسماً من المتصوفة يُغالون في أوليائهم، وليست القضية بعيدة عن كثير من الفِرَق القديمة والحديثة؛ فإنّ المبتدعة والمشركين من عبدة الأصنام والضالين من المسلمين يظنون بعض ما يستغربونه كرامات وليّ من أولياء الله، كأن ينعقد السروال عند القبر من تلقاء نفسه، وما يفعل ذلك إلا الشيطان ليُضلهم بما يرون فليقرأ الرائي آية الكرسي فإن التوحيد يطرد الشيطان[2].

المطلب الثالث: مخالطة أهل الأهواء والبدع من أسباب الانحراف العقدي

المسألة الأولى: التأثر بأهل الأهواء والبدع من أسباب الانحراف العقدي

إنّ الإنسان لا يعدو كونه مؤثراً أو متأثراً بمن حوله، وهذا التأثر أو التأثير يحصل بوعي أو بغير وعي، فالإنسان ابن بيئته قد ينشأ على أمر فيه ضلال وانحراف، ولا ينتبه إلى انحرافه إلا بعد حين إن انتبه هو له أو نبّهه أحد عليه، وكان هذا قديماً أمراً يشقّ على الناس علاجه، فكيف بنا اليوم في ظل انتشار الإنترنت الذي يبيع الكل فيه ويشتري ما يريد ويشتهي ليس فقط السلع وإنما حتى الأفكار والأهواء، ومع انتشار الأجهزة الذكية بين كل الفئات العمرية، حصل التشوه العقائدي بسماع أهل الشبهات والأهواء وانتشار ثقافتهم العوجاء.

وإنّ عملية الاختلاط بغير المسلمين والأخذ منهم عملية مرنة، فهي ترتكز على أخْذ ما ليس عند المسلمين وهي سلاح ذو حدين، فأخْذُ ما فيه نفع أمر مطلوب، لكنّ أخْذ ما فيه ضُرّ أمر مذموم، فلا يُعقل أن يختلط بالحَسَن القبيح، وممّا لم يدركه أصحاب الشبهات لمّا أخذوا من غير المسلمين أنّهم أخذوا القيم

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، (ج1/ص 93/ ح 427).
[2] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج11/ ص 293).

عنهم، وأخذوا الغيبيات منهم، وأخذوا ما يتعلق بالله من غير المسلمين، مع أنّ ما عند المسلمين من هذه الأمور لا يضاهيه شيء في النّقاء مما عند غيرهم[1]. وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل} الآية"[2]. لماذا؟ لوجود احتكاك مباشر بين المسلمين وأهل الكتاب آنذاك، فأخبر النّبي صلى الله عليه وسلم عن خطر تصديقهم في كل شيء، ودلّنا على ألا نصدقهم ولا نكذبهم فيما ليس عندنا فيه دليل، يقول الخطابي: "فلا نصدقهم لئلا نكون شركاء معهم فيما حرفوه وبدلوه منه، ولا نكذب به فلعله يكون صحيحاً فنكون منكرين لما أُمِرنا أن نؤمن، ونقول: آمنا بما أنزل الله من كتاب"[3]. وينسحب ذلك على كل أهل البدع والأهواء والانحرافات العقدية، فمخالطتهم تعني سماع ما لديهم من اعتقاد، وتصديقهم في الانحرافات يجعلنا مثلهم في انحرافهم وفق قانون التأثر والتأثير.

وهذا الاحتكاك بين المسلمين والمشركين قد أثّر منذ القديم، فإنّ أحد أسباب ظهور الفِرَق الفكرية منذ العصور الإسلامية الأولى، كان بسبب احتكاكهم المباشر مع الفرس والروم وأهل الكتاب، الذين كانوا يلقون شبهاتهم صباح مساء، فتأثر بها من تأثر، فقال بعضهم بالقدَر وقال بعضهم بالتناسخ، وغيرهم أنكر الألوهية أو النبوات، وأخَذ الجعد بن درهم بدعة تعطيل الصفات من اليهود وأسس لفكرة الجهمية[4].

ويُفهم بالضرورة لما سبق أنّ من السنّة ترك مخالطة أهل البدع والاطّلاع على كتبهم، وترك جدالهم والاستماع لأقوالهم[5]. ويُستثنى من الحثّ على هجران أهل البدع مَن كان أهلاً لجِدالهم وتبيين الحقّ لهم، فإنّ منهم من غرّته المقولات الرّنانة، ومنهم من تربّى عليها وهو لا يعلم حقيقتها، فوجب على أهل العلم تبيينها لهم، وكيف يكون ذلك دون مخالطتهم؟

---

[1] ينظر: الشريفين، **الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي الشريف**، (ص204).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا}، (ج6/ص 20/ح 4485).

[3] الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص 1802).

[4] ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص30).

[5] ينظر: ابن قدامة المقدسي، **لمعة الاعتقاد**، (ص 40-42).

المسألة الثانية: أهم مظاهر التأثر بأهل الأهواء والبدع التي هي من أسباب الانحراف العقدي

تتعدد مظاهر التأثر بأهل الأهواء والبدع، ولكن ليست كل مخالطة فيها ما يُنكر عليها، فالتزام الضوابط في التعامل معهم يرسّخ مفاهيم أصول العقيدة عند المسلم، فيأخذ منهم ما يفيده ويلتزم الحدود فلا يأخذ منهم أي أمر اعتقادي، فالمطلوب في هذه المسألة البحث عن أهم مظاهر المخالطة التي تسبب الانحراف العقدي، وهي كما يأتي:

أولاً: تعريب الكتب الثقافية والفلسفية القديمة[1] التي تم تعريبها في ظل الدولة العباسية، ثم طلبها المعتزلة والقرامطة والجهمية وأقبلوا عليها وتأثروا بها أيما تأثر، ولمّا اعتنقوا جزءاً من أفكارها وحاولوا أَسْلَمَتها ظهرت فرقهم المنحرفة وأفكارهم التي انطوت على كبير شر[2].

وقد عَمِل المنهج النبوي الكريم على ترشيد الأخذ من الثقافات المحيطة وزيادة العطاء لهم، فإنّ ملوَّث الأفكار وحامل الأفكار العفنة لا يمكن أن يكون محصّناً ضد الشبهات[3]، وقد روى أبو هريرة أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل} الآية"[4]، والمقصود هو الحذر من الأخذ عنهم دون تمحيص وتثبت[5]، ويُستثنى مِمن يُكره له القراءة في كتبهم مَن هو أهل للرد عليهم، فيقرأ لهم ليرد على بدعهم وانحرافاتهم، لا أن يكون ممن يثيره الفضول.

ثانياً: العيش بين ظهرانيهم مع وجود البديل: وقد قال ربنا جل وعلا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء: 97-98]، وسبب نزولها ما رواه أبو الأسود أنّه قال: "قُطِع على أهل المدينة بعثٌ، فاكتُتِبْتُ فيه،

---

[1] ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص31).

[2] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج2/ ص 84).

[3] ينظر: الشريفين، **الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي**، (ص 205).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا}، (ج6/ص 20/ح 4485).

[5] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح البخاري**، (ج8/ ص 170).

فلقيت عكرمة فأخبرته، فنهاني أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس: أنّ أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثّرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأتي السهم فيُرمَى فيصيب أحدَهم فيقتله، أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ "[1].

وغرض عكرمة من منعه أنّ الله ذمّ هؤلاء لتكثيرهم سواد المشركين مع أنّهم بقلوبهم لم يؤيدوهم ويوافقوهم، فنهاه عكرمة عن اتّباع الجيش المقصود كي لا يكثر سوادهم مع علمه بأنّه لم يقصد موافقتهم[2]. ويُستثنى من هؤلاء من لم يقدر على الهجرة فهو معذور ومستثنى بالنص نفسه[3].

والمفهوم هنا أنّ من وجد بديلاً عن القعود بين ظهراني أهل البدع والأهواء فعليه أن يهاجر من بينهم إن استطاع، فهو ببقائه يكثّر سوادهم ويعينهم على باطلهم وانحرافهم، أما من لم يستطع فهو مستثنى بنص الآية الكريمة، فالخطر المترتب على البقاء بينهم خطر عظيم، فإن كان بينهم وبين المسلمين حرب جعلهم أهل الأهواء دروعاً بشرية. وإن لم تكن بينهم مناوشات وحروب فإن المسلمين وأولادهم سيذوبون شيئاً فشيئاً في عقائدهم وانحرافاتهم، خصوصاً في ظل ضعف المسلمين في حاضرنا المعاصر.

المطلب الرابع: حقيقة تربص أعداء المسلمين بهم وكونها من أسباب الانحراف العقدي

المسألة الأولى: تربص أعداء المسلمين بهم من أسباب الانحراف العقدي

لا يزال أعداء الإسلام يدسون الدسائس للمسلمين ويكيدون ويمكرون ليل نهار، وقد قال ربنا عز شأنه: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: 46]، ومكرهم له صور متعددة، أحدها دسُّ السم في العسل ببث الشبهات بين بعض صور الحق، فإذا بالفقير يُرخِي سمعه وبصره بدلاً من أن يسأل أهل العلم والذكر، وعلى سبيل المثال فالشيعة الروافض يُحلّون لأنفسهم وضع الأخبار عن وعلى أهل البيت، وكان أصل ذلك عندهم ما وضعه الزنادقة والذين منهم ابن

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم، (ج9/ص 52/ح 7085).

[2] ينظر: البِرْماوي، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، (ج12/ ص88).

[3] ينظر: ابن الملقن، **الإعلام بفوائد عمدة الأحكام**، (ج1/ ص 204).

سبأ الذي أسس لهم بدعة الرفض، ووضع على النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه أوصى لعلي رضي الله عنه بالخلافة، وبهذا فقد ضلوا في اعتقادهم وأدخلوا في دين الله ما ليس منه وكفروا بكتاب الله وسنة رسوله في سبيل أهوائهم[1].

إنّ ملف دسائس الأعداء ومكرهم ملف حافل وسفر ضخم على مر التاريخ الإسلامي، وإنّ تاريخ الإسلام يحوي كماً كبيراً من الأمثلة على ذلك، ولو ذُكر مثال واحد لكفى في ذلك، وهو نقض يهود بني قريظة العهد من النّبي صلى الله عليه وسلم وتحالفهم مع المشركين في غزوة الخندق[2]، ولم تنتهِ الحرب بين الحق والضلال بوفاة النّبي صلى الله عليه وسلم فهي أبدية ما دام الحق والضلال موجودين؛ لخوف أهل الضلال والباطل من الحق أبد الدهر[3].

المسألة الثانية: أهم مظاهر تربص أعداء المسلمين بهم، وكونها سبباً للانحراف العقدي:

أولاً: المتربصون ممن يعيشون داخل المجتمع المسلم من غير المسلمين:

يعيش في كَنف المجتمع المسلم مع المسلمين منافقون يُحدِثون فتناً وشبهات كثيرة، وتعيش طوائف أخرى من غير المسلمين، فاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم ممن لا يريدون دخول الإسلام، يمكنهم أن يحيَوا بين المسلمين بعقود أهل الذمة، ولهم حقوق وعليهم واجبات، وهذا يؤدي إلى التأثر والتأثير، فعند مخالطة غير المسلمين للمسلمين وما يرونه منهم من حسن الخلق وسلامة الطريق فإنهم قد يتأثرون بهم ويدخلون الإسلام، لكن هناك من هم على غير ذلك، فمنهم من يملأ العَداء قلبه، فيبقى في محاولاته للتأثير على المسلمين، ويُعِدّ الخطط ويكيد المكائد لذلك الهدف.

ولذلك فإنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما حذر من أفعال أهل الكتاب، فقد روت عائشة رضي الله عنها: "أنّ أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم،

---

[1] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج22/ ص 367).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، (ج5/ص 112/ح 4122).

[3] ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (ج2/ص 933).

فقال: إنّ أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[1]. والنصارى كثيرو التعظيم لقدّيسيهم، وقد عمَدوا إلى بعض جهال المسلمين فأقنعوهم بأنّ هذا قبر مسلم عظيم فأخذوا ذلك منهم وعبدوا القبر وعظموه، حتى إنّ بعض جهلة المسلمين تأثر بالنصارى فصار يزور كنائسهم، ويتبرك برهبانهم، ويُعَمّد أبناءه عندهم وهو يظن أن هذا من الإسلام[2].

ثانياً: المتربصون من أهل الكفر والبدع والأهواء من خارج المجتمع المسلم

عداء أهل الكفر للإسلام والمسلمين جعلهم يحاولون دسّ الفساد في اعتقادات المسلمين، وقد ذُكر فيما سبق أنّ دسائس اليهود أدت إلى تكوين فِرقة الشيعة، وأمثلة الدسائس كثيرة في تاريخ المسلمين، ومثال ذلك في العصر الإسلامي الأول: ما رواه كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة المخلفين عن غزوة تبوك، والقصة طويلة أذكر منها موضع الشاهد للاختصار، يقول كعب ابن مالك: قال: "فبينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشأم[3] ممن قَدِم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد؛ فإنه قد بلغني أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحقْ بنا نواسِك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجَرتُه[4] بها"[5]، فقد استغل ملك غسان هذه الحادثة ليستقطب كعب بن مالك رضي الله عنه لأنّه يعلم أنّه من الشعراء فيستعمله في هجاء المسلمين، وليستغل الحادثة ليرده عن دينه ولعله وجد في الحادثة ثغراً يدخل به إلى المسلمين فطمّعَ كعباً بالمال والجاه، لكن لصدق

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، (ج1/ص 93/ ح 427).

[2] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج27/ ص 460-461).

[3] النبط في اللغة الماء الذي ينبع من قعر البئر بعد الحفر. ينظر: ابن منظور. **لسان العرب**. (ج7/ ص 410)، ونبط أهل الشام ونبيطها وأنباطها: نصاراها الذين عمروها. ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج8/ص 280).

[4] السجر له ثلاثة أصول في اللغة وهي: الملء والمخالطة والإيقاد. ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج3/ ص 134)، والمعنى المقصود في الحديث: سجرتُه أحرقتُه. ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج8/ص 280).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، (ج6/ص 3/ ح 4418).

كعب وقوة عقيدته آثر العذاب الذي يعيش فيه على أن يترك المسلمين، وآثر جوار حبيبه صلى الله عليه وسلم ففاز وربح[1].

أما في واقعنا المعيش فإنّ سيطرة قوى الكفر العالمية في أيامنا جعلتهم يتفننون في الكيد للمسلمين، فقد كانت حروبهم السابقة على الإسلام السياسي والعسكري في معظمها ضد المسلمين، أما حربهم في هذا العصر فهي حرب على أصل الدين فإنهم قالوا: نصنع للإنسان ما يُشبع رغبته الروحية بأن نشبعها اعتماداً على حضارات سابقة كاليوغا والشعائر الجاهلية من تصفيق وتصفير، فقالوا نجعل منها وجبات سريعة روحية تشبع له رغبته وجوعته الروحية فينتهي الأمر وينتهي الدين. لكن اصطدمت هذه الفكرة بأنّ الدين المعتبر هو الدين السماوي، وهذا خارج عن التصنيع البشري الذي كانوا ينادون به، إذ الأديان لا بد أن تكون من أصل سماوي. ثم ما لبثوا أن أوجدوا بديلاً وحلاً لهذه المشكلة بأن أوجدوا الديانة الإبراهيمية، فقالوا: وجدنا أنّه لم يبق على الأرض الآن إلا ثلاث ديانات: الإسلامية والنصرانية واليهودية وكلها مرتبط بإبراهيم عليه السلام وكلهم يعتقدونه إمامهم، فأنشأوا ديناً جديداً بأن أخذوا من الأديان الثلاثة تجميعات مما يناسبهم هم، ودمجوه مع بعضه ليُشبع الجَوعة الروحية عند من يريد التدين، ونزعوا منه كل ما يدعو إلى الكراهية كالجهاد وكفر غير المسلم، ونزعوا منه كل ما يدعو إلى القداسة كقداسة الأسرة فنادَوا بالقضاء عليها فأنشئوا ما يسمى زورا بقوانين حماية الأسرة، ومع أن أصل فكرة الديانة الإبراهيمية من بريطانيا إلا أن أمريكا اعتنقتها وأجبرت الدول العربية عليها[2].

[1] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج8/ ص 121).

[2] ينظر: ولد الددو الشنقيطي، **هل دخلنا أعنف حرب على الدين في تاريخ الأمة؟**

المبحث الثالث: الأسباب المنهجية العلمية للانحراف العقديّ

يكون السبب الرئيس لانحراف الإنسان عن الشِرعة أحياناً آلياتُه في بناء المنهج العلمي المتكامل، فإذا سار الإنسان في طريق العلم خبط عشواء بلا رؤية محددة صار كحاطب ليل[1]، لا يدري أحطباً يجمع أم أفاعي، ولا شكّ أنّ ترتيب المعطيات بالشكل الصحيح يُسفر عن نتيجة صحيحة، فإذا كانت المقدمات صحيحة في ضوء الأدلة كانت النتائج صحيحة.

المطلب الأول: ضعف التكوين العلمي في تلقي المعطيات

المسألة الأولى: الضعف في تلقي المعطيات:

يُعّدّ ضعف التكوين العلمي في تلقي المعطيات سبباً هاماً من أسباب الانحراف العقدي، وانعدامه من باب أولى، ويمكن قياس ضعف التكوين من خلال مصادر التلقي للمتلقي والتي يُقصد بها: "المناهل والموارد التي تؤخذ منها التشريعات والعلوم والمعارف، وفق ضوابط وقواعد معيّنة"[2]. وهذه المناهل ما هي إلا الكتاب والسنة، فهما أصلا التلقي والاحتجاج والمعرفة في الشرع[3]، أما فيما يتعلق بغير العلوم الإسلامية، فيضاف إلى القرآن والسنة: العقل والحواس والفطرة، وهذه هي مصادر تلقي المعلومات عند الإنسان[4]. وتبرز العلاقة بين مصادر التلقي وبين ضعف التكوين العلمي للتلقي في الجهل بكون هذه المصادر وحدها هي التي تؤخذ منها القواعد العقدية والشرعية، وهذا أدى إلى اعتبار الكشف والإلهام والرؤى كمصادر معتبرة تؤخذ منها العقائد والشرائع عن بعض الصوفية[5]. وأدّى الخلط بين مصادر المعرفة الشرعية ومصادر المعرفة العامة إلى جعل العقل والحواس والفطرة حُكّاماً على العقائد، مما أودى بصاحب هذا الخلط والضعف إلى الانحراف في أصول العقيدة.

---

[1] ينظر: الميداني، **مجمع الأمثال**، (ج2/ص 265).

[2] الحربي، **جهود علماء التفسير في الرد على المعتزلة في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال**، (ص348).

[3] ينظر: الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**، (ج2/ ص 40).

[4] سيأتي مزيد توضيح لمصادر التلقي في المطلب الثاني من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

[5] سيأتي تفصيل عنها في مظاهر الانحراف في مصادر التلقي من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

أولاً: إنّ المصدر الأول لتلقي المعلومات عند المسلمين هو القرآن الكريم ويليه السنّة الصحيحة، ويمكن التعبير عنهما بـ (النقل)، فأما القرآن الكريم فهو: كلام الله المعجز، المنزل على النّبي صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر[1]، وهو الكلام الذي نزل بالخطاب الإلهي للبشر، وهو مدار الأحكام الشرعية من أوامر ونواهٍ وأصول اعتقاد، فهو دستور المسلمين الذي يقود الأمة إلى ربها[2]، والقرآن الكريم كله مقطوع بصحته؛ إذ كله من عند الله العظيم الذي تكفل بحفظه لمّا قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

ثانياً: السنّة النبوية وهي المبينة للقرآن الكريم الموضّحة لما جاء فيه من أحكام، وهي التطبيق العملي للقرآن الكريم[3]، وقد قال تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44]، لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم هو أعلم الناس بمراد الله تعالى من الآيات، وهو الأكثر حرصاً على اتّباع القرآن، وهو أفصح العرب وأفهمهم للسان[4]. وهي المنقولة إلينا جيلاً بعد جيل، منها المتواتر ومنها الآحاد، أمّا من حيث الصّحة فمنها الصحيح الثابت عن النّبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما هو دون ذلك كالضعيف والموضوع.

ثمّ إنّ الخلل في تلقي المعطيات من مصادرها أدّى لظهور انحرافات عقدية وفكرية، وظهرت على إثره فِرَق متعددة كالمعتزلة الذين جعلوا العقل حاكماً على النقل، فحَسّنوا ما حسّنه العقل وقبّحوا ما قبّحه حتى لو خالف النقل[5]، ومع أنّ هذا الأمر يَدخل في جوانب من الاستدلال على المعطيات، إلا أنّه يَدخل في التلقي أيضاً، إذ إنّ الخلل هنا يكون بسبب الخلط بين مصادر التلقي الشرعية والعامة، فمن جعل العقل من مصادر التلقي الشرعية فإنّه قد يقدّمه على النّصّ الشرعي، كما فعل عمرو بن عبيد[6] لما ادّعى أنّ سورة

---

[1] ينظر: عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، (ج1/ ص60).

[2] ينظر: البعداني، **مصادر التلقي سلامة فهمها وأثره في الوقاية والانحراف الفكري**، (ص 195).

[3] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج17/ ص 432).

[4] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (ج4/ ص 684).

[5] ينظر: القرني، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (ص6).

[6] عمرو بن عبيد: أبو عثمان بن باب البصرة، كان من أهل البدع ويَكذِب في الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: العقيلي، **الضعفاء الكبير**، (ج3/ص 277).

المسد قد حُرّفت، فلما سُئِل عنها أكانت هكذا في اللوح المحفوظ ادّعى بأنّها لم تكن كذلك، بل كانت هكذا: تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب[1].

المسألة الثانية: مظاهر ضعف التكوين العلمي في تلقي المعطيات:

المظهر الأول: تقديم العقل على النقل:

ينتهي تعارض العقل مع النّقل على أحوال هي: أولاً: كون النقل[2] صحيحاً صريحاً، وفي هذه الحالة فإنّه المقّدَّم حتماً على العقل، أمّا من حاد عن هذا المنهج كالخوارج والجبرية والقدرية والمعتزلة فقد قدّموا نظريات العقل على صحيح النقل في مسألة أو مسائل. ثانياً: كون النقل صحيحاً لكنّه غير صريح وحينها يكون الاجتهاد سائغاً دون تقديم العقل على النّقل لأنّ النّقل ثابت الصحة. ثالثاً: كون النّقل حديثاً ضعيفاً أو لم يصحّ، فإنّ باب الاجتهاد وإعمال بقية مصادر التلقي الأخرى وخصوصاً العقل يكون هو الدليل.

وقد ظهر تقديم العقل على النقل في الفلسفات الوافدة مع علم الكلام في الجانب المذموم والتي كان تأثيرها كبيراً في سلوك الفِرَق المنحرفة مسالكهم كالجهمية والمعتزلة، ومع أنّ منهج الإسلام لا يتعارض مع العقل بل علاقته مع العقل تكاملية[3]، إلا أنّ تغليب العقل على النّصوص، وجعله هو الحكم والمقياس للمفاضلة، هو ما أودى بهؤلاء وغيرهم إلى الانحراف، مع ما رافق هذا من الهوى والجدال المذموم، فكانت النتيجة: ميل هذه الفِرَق إلى تأويل الآيات والأحاديث، لتتماشى مع ما يريدون، فخاضوا في مسائل الأسماء الصفات، فنفوا صفات لله أثبتها الله لنفسه، ظناً منهم أنّهم بهذا يقدّسون الله، وينفون عنه التشبيه[4].

وبما أنّ العلاقة بين النقل والعقل تكاملية، فإنّ العقل المتجرد عن الهوى له في مواجهة الانحرافات العقدية أساليب متعددة؛ منها: اتّباع ما يسمى بدلالة الالتزام[5]، ومثل هذا مستنبط بوضوح من كتاب الله عز وجل

---

[1] ينظر: المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (ج 22/ص 129).

[2] من المسَلّم عند المسلم أن القرآن كله ثابت صحيح، فالمقصود حين يُقال: نقلٌ صحيح هو السنة النبوية، وهكذا حين يُقال نقل غير صحيح فالمقصود به السنة.

[3] ينظر: القضاة، **العقل والنقل**، محاضرة يوتيوب.

[4] ينظر: المعايطة، **العقيدة الإسلامية**، (ص 351).

[5] هي: أن يطّرد ترابط بين شيئين بحيث إذا تأملت أحدهما تصورت الآخر، كدلالة صوت صفارة الإسعاف، على وجود حدث خطير فيه جرحى. ينظر: البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، (ص40-41).

إذ قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: 37]. والشاهد هنا أنّك تعبد خالق الأشياء ولا تعبد الأشياء، فإذا عرفت ذلك صار لزاماً عليك أن تعبد الخالق لا المخلوقات[1]، وحينما يختل هذا الميزان فإنّ تقديم العقل على النّقل يسبب الانحراف، وذلك بطغيان القناعات العقلية على صحة الدليل وقوته، وحينها يَعبد صاحب الانحراف ما يظنه نافعاً له كأن يرى الشمس تفيده فيعبدها من دون الله، مع أنّ وجودها دالّ قوي على وجوده تعالى.

وفي جانب آخر تجد من يقدّم العقل على النقل قد انحرفت عقيدته واختلّ فكره، وهذا ما يؤول إليه المرء عند اختلال منظومة التلقي، فإنّ الفِرَق المنحرفة كالمعتزلة والمرجئة والروافض فسّروا القرآن بمعقول رأيهم مع إهمال السنّة النبوية، وبهذا أعطوا للعقل سلطة جعلوه بها إلهاً على النّقل[2] ولهذا تجد المعتزلة والخوارج ينكرون أحاديث الحوض[3] على سبيل المثال، كالحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإنّي على الحوض"[4]، وأنكر المرجئة أحاديث منها الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النّبي صلى الله عليه وسلم: "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور"[5]، وما هذا منهم إلا لأنّهم جعلوا العقل حاكماً وفضلوه على النّقل، فقالوا بأنّ الإيمان قول بلا عمل[6].

---

[1] ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (ج3/ ص1855).

[2] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج7/ ص 119).

[3] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج11/ ص 467).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، قول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة}، (ج9/ص 132/ ح 7441).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، (ج1/ص 14/ ح 26).

[6] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص 78).

المظهر الثاني: تقديم الوجدان والقلب على العقل والنقل

كما كان منهج الفلاسفة في تصدير العقل على أنّه المتحكم والحَكَم، جاء غيرهم بتقديم القلب والعاطفة، فنشأ بسبب ذلك غلو الشيعة في أهل البيت، وهذا الغلو مرده ما وجدوه في قلوبهم من تعظيم ومحبة في شأنهم، وكذلك فيما بعد ظهرت الصوفية، فمن ضل منهم تجده قدّم كل عاطفة على النقل، حتى المنامات وحديث النفوس كلها صارت حكما عند المنحرفين في العقيدة على دين الله، حتى إنّهم من تقديسهم للأولياء والصالحين أو بالأحرى من يظنونهم كذلك جعلوا أقوالهم مقدمة على النقل من قرآن وسنة، لأنّ هؤلاء من المنحرفين في الاعتقاد يدّعون أنّهم يرون النّبي في المنام فيأمرهم بأوامر ويحط عنهم أخرى، ويصحح لهم المعتقدات والأحكام[1].

وبهذا ضلّ هؤلاء وانحرفوا؛ حيث وجدوا في قلوبهم من حب الاتّباع ما يحثّهم على تقديم أوامر الشيخ أو الإمام أو الولي على ما ثبت من قرآن وسنة، حتى وإن كان ذلك مخالفاً لعقولهم، فالوجدان عندهم مقدّم على العقل والنقل[2]، وحتى يكون ذلك سائغاً بحق فإنهم ادّعوا العصمة لهؤلاء، سواء في ذلك أصرّحوا بهذا أم لا، وهم بهذا يدّعون النبوة لمن جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "أنا خاتم النبيين"[3]، وبهذا كان ضلال هؤلاء من باب التعظيم القلبي لمن اتّبعوهم فضلّوا ولم تسلم عقيدتهم من الانحراف.

المظهر الثالث: ابتكار مصادر جديدة للتلقي

من الانحراف في مصادر التلقي أن يبتكر أهل الشبهة والانحراف مصادر جديدة للتلقي، لإضفاء شرعية على الانحراف العقدي الذي تلبّسوه، ومن ذلك ما ابتكره بعض الصوفية[4] وغيرهم، فجعلوا من مصادر

---

[1] ينظر: الشاطبي، **الاعتصام**، (ج1/ ص 330).

[2] الحربي، **المدرسة الصوفية: مصادرها ومقوماتها المنهجية**، (ص 380).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، (ج4/ص 186/ ح 3535).

[4] ليس كل الصوفية قالوا بهذا، فإن من الصوفية من هم في القمة من العلم والصلاح والاستقامة والاعتدال، فبالمجمل فإن كثيرا من علماء المسلمين كانوا من أهل التصوف، إذ التصوف في أصله مطلوب مرغوب، وقد كان في مراحله الأولى عبارة عن المبالغة في الزهد في الدنيا والانقطاع لعبادة الله تعالى. ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص386).

التلقي: الكشف[1]، وليس كل كشف مذموم، فإنّ الله قد يمن على بعض عباده بأنواع من الكشوف، لكنّ المذموم هو جعلها دليلاً على الزيادة والنقصان في دين الله وتحكيمها في الأدلة النقلية. ومصادر الكشف عند من ضلّ من الصوفية: التلقي المباشر عن الله تعالى أو عن النّبي صلى الله عليه وسلم، والتلقي عن الخضر عليه السلام، والإلهام، والهواتف، والفِراسة، والرؤى المنامية، والإسراءات والمعاريج[2]، وهذه دعاويهم لم يجدوا لها احتجاجاً إلا إن ادّعوا أنّ للدين ظاهراً وباطناً، واعتبروا أنّ مصادرهم هذه من الباطن للدين لا من ظواهره، فلما سيطرت عليهم هذه الهواجس انسلخوا من الكتاب والسنة واتبعوا الباطل والخيالات[3]، وفيما يلي تبيان لأهم هذه المصادر المبتكرة:

أولاً: التلقي المباشر عن الله تعالى: يدلّس الشيطان على أحدهم إمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا، فيأخذ منه العلم ومسائل الاعتقاد مباشرة بلا واسطة، وهذا ضلال بيّن[4]، مع أنّ عائشة رضي الله عنها نفت أن يكون حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى ربّه تعالى في الإسراء والمعراج أو في أي وقت آخر، فقالت: "من حدثك أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}، {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب}"[5]، والقائل بجوازه في الدنيا لا يعي بأنّه يزيد في الأنبياء بعد أن ختم النّبي صلى الله عليه السلام النبوات، فكيف يتلقى العبد الأوامر من الله تعالى تلقياً مباشراً في الشرع والاعتقاد ولا يسمى وحياً أو نبوة؟ ويدخل في هذا المظهر ما يدّعيه بعض الصوفية من أنّ الإسراء والمعراج ليست معجزة خاصة بالنّبي صلى الله عليه وسلم، بل عامة لكل من صار ولياً، فكلٌّ منهم له إسراء ومعراج خاص به إمّا بروحه أو بجسده وروحه معا، يَلتقي فيه بالله تعالى–حاشاه– ويأخذ منه التفسير والعقائد والأحكام[6].

---

[1] الكشف: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا. ينظر: الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص 184).

[2] ينظر: الظفيري، **المصادر الداخلية الخاصة في التلقي والاستدلال عند الصوفية**، (ص 8).

[3] ينظر: ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (ج1/ ص119).

[4] ينظر: الكلاباذي، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، (ص44).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب، (ج6/ص 140/ ح 4855).

[6] ينظر: ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، (ص150). وينظر: صادق، **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا**، (ص 292)، وينظر: الظفيري، **المصادر الداخلية الخاصة في التلقي والاستدلال عند الصوفية**، (ص27).

ثانياً: التلقي المباشر عن النّبي صلى الله عليه وسلم: ومشكلة هذه الدعوى أنّها بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وهذا الأمر مع عدم قبوله عقلاً واستحالة حصوله عند صاحب المنطق القويم إلا أنّ البعض يدّعيه، وسبيل ذلك عندهم كثرة الذكر[1]. وهم يتفاوتون في ادّعاءاتهم، فمنهم من يَدّعي أنّه يراه بعينه، ومنهم من يَدّعي أنّه يراه بقلبه، ومنهم يَدّعي أنّه يجتمع به اجتماع أبدان على الحقيقة المادية، ومنهم يَدّعي أنّه يجتمع به روحياً[2]، مع أنّ الأولى برؤيته بعد موته هم صحابته ولم يحصل ذلك معهم، وهم بهذا يبدلون في الدين ويحرفونه، ويخترعون أحاديث وعقائد وأحكام شرعية جديدة، ودليلهم عليها أنّهم سألوا النّبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم كيت وكيت! فهل يكون من رأى النّبي صلى الله عليه وسلم منهم صحابياً أم لا؟[3].

ثالثاً: التلقي عن الخضر عليه السلام: يعتقد بعض الصوفية أنّ الخضر عليه السلام لا يزال حياً، ومنهم من يزعم لقياه والتلقي عنه، مع أنّه لم يدرك النّبي محمداً صلى الله عليه وسلم، ولو أدركه لوجب عليه الإيمان به ولما احتجب عنه ولا عن الجهاد بجانبه، أو لأخبر صلى الله عليه وسلم بخبره وحياته، أما هذا الخبر عن لقائهم بالخضر فهو من الحكايات، فبعضها مبني على الكذب والآخر مبني على الظّنون[4]، ومنها ما يتمثل فيه الجنّي على هيئة رجل صالح فيدّعي أنّه الخضر[5]، وأشد الخطر أنهم يدّعون أنّه يأمرهم بأوامر وينهاهم عن نواهي وصحح لهم من العقائد ويحيطهم علماً بالغيبيات وما إلى ذلك، وقد ينطلي هذا التدليس على المقلّدين والأتباع. مع أنّ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: "اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم"[6]، وبما أنّ الخضر على الإيمان وهو حي فكيف يكون معنى قول الحبيب صلى الله عليه وسلم السابق؟ وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنه

---

[1] برهان الدين البقاعي، **مصرع التصوف**، (ج1/ ص 191).

[2] ينظر: الظفيري، **المصادر الداخلية الخاصة في التلقي والاستدلال عند الصوفية**، (ص13).

[3] ينظر: صادق، **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا**، (ص 223-247).

[4] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج27/ ص101).

[5] ينظر: ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، (ج1/ ص104).

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {سيهزم الجمع ويولون الدبر}، (ج6/ص 143/ ح 4875).

أنّه صلى الله عليه وسلم قال: "أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنّ رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد"[1]، وليس هذا محل الخلاف في مسألة موته لكن الراجح موته عليه السلام[2].

رابعاً: الإلهام والهاتف[3]: والإلهام هو ما وقع في القلب من العِلم من غير استدلال بقرآن أو سنة، والهاتف: سماع خطاب في الأُذُن دون رؤية المتكلِّم، وقد يكون في حال اليقظة أو المنام أو بينهما، فيُسمَع ما يرشد إلى الفضائل والأخلاق والعقيدة [4]، ولم يحَتجّ بهما العلماء لكن احتجّ بهما بعض الصوفيين واعتبروهما من مصادر التلقي[5]، والهاتف له ثلاثة وجوه، أولها وأعلاها وإن كان قليلاً هو خطاب من الملائكة، والثاني: من الجنّ وقد يكون مؤمناً أو شيطاناً. والثالث: الوهم، فقد يخاطب المرء نفسه ويَظُنُّهُ من الخارج، فكيف يَعلم المرء أنّ الهاتف الذي جاءه من أي قسم من الأقسام هو؟[6].

والإلهام منه محمود ومذموم، فقد قال ربنا تبارك اسمه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[الشمس: 7-8]، والآية تدل على التفريق بين إلهام الوحي والوسوسة، فإن كان ما يُلقى في القلب يدلّ على التقوى المستفاد من الكتاب والسنة فهو إلهام الوحي، وما كان على غير ذلك فمن الوساوس، وهذا الفرق مطّرد لا ينتقض[7]، فليس كل إلهام ينكَر، لكن لا ينبني عليه وحده شيء من الأحكام الشرعية أو العَقَديّة، بل يؤخذ فيه ما وافق الكتاب والسنة الصحيحة.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قول النّبي صلى الله عليه وسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محَدَّثون، وإنّه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب"[8]، و"المُحدَّث الملهم يُلقى الشيءُ في رُوعه فكأنه قد حُدِّث به، يَظُنُّ فيصيب ويَخطر الشيء بباله

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب السمر في العلم، (ج1/ص 34/ ح 116).

[2] ولمزيد بيان ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج2/ ص75).

[3] الإلهام في اللغة من لَهَمَ الشيءَ إذا ابتلعه، وكأنه ألقيَ في رُوعه فالتهمه. ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج5/ ص 217). والهاتف من هَتَفَ، والهَتْفُ الصوت. ينظر: ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج6/ ص 32).

[4] ينظر: صادق، **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا**، (ص 286-288).

[5] ينظر: الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص 34).

[6] ينظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (ج1/ ص71).

[7] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج17/ ص 529).

[8] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب، (ج4/ص 174/ح 3469).

فيكون كذلك، وهو منزلة جليلة من منازل الأولياء، ومرتبة عظيمة من مراتب الأصفياء"[1]، وهذه المرتبة لا تتأتى لمن ترك الكتاب والسنة، بل هي ملتصقة التصاق الجلد باللحم، فلم يبلغ عمر رضي الله عنه هذه المرتبة إلا بصدقه وعمق استدلاله بالقرآن والسنة، والضابط المهم في المسألة أنّ الوحي الذي إلى الأنبياء يتصف بالعصمة، بينما الذي لغيرهم ليست له هذه الصفة[2]، فغير الأنبياء لا يدري أنّ ما أحسّ به مِنَ الله تعالى أم من الشيطان، إلا أنّ بعض الصوفية ادّعوا أنّ المعلومات التي تستقر في القلب من الإلهام والهواتف إنّما تكون بواسطة الملائكة، وهم بهذا يستغنون عن العلم والتعلم، فلا يكون أحدهم مؤهلاً لتلقي الإلهام والهاتف إلا بطريق مجاهدة النفس والزهد في الدنيا وكثرة الذِّكر، فمن كان لله كان الله له[3]، وسمَّوا العلم الآتي من طرق الإلهام بالعلم اللَّدُنّي، حتى صار ما يلقيه الشيطان في قلبه يَعُدّه من قبيل العلم اللّدُني الملقى في رُوعِه بالإلهام[4].

خامساً: الرؤى المنامية: هي ما يراه النائم، وهي على ثلاثة أصناف: الرؤى الصادقة: وهذه تقع كما رآها صاحبها، ولا يشترط فيها كونه تقيّاً كي يرى الرؤيا الصادقة، ثم من الرؤى: الأضغاث، وهي عبارة عن تلاعب الشيطان بالنائم، والثالث مصداق حديث النفس، فيرى في منامه ما كانت تحدثه به نفسه في يقظته[5].

وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبّها فإنّها من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنّما هي من الشيطان، فليستعذ من شرّها ولا يذكرها لأحد فإنّها لن تضره"[6]، وفي رواية أنّ الرؤيا يحدث بها من يحب[7]، فإنّ آداب الرؤيا

---

[1] الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص 1571).

[2] ينظر: القرني، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (ص 70).

[3] ينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص399-341).

[4] ينظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (ج3/ ص400).

[5] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج10/ ص 613).

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، (ج9/ص 43/ح 7045).

[7] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، (ج9/ص 43/ح 7044).

إن كانت صادقة حمد الله تعالى والاستبشار بها وأن يحدث بها من يحب لا من يكره[1]، وليس فيها أن يبادر إلى العمل بما فيها، وأن يجعلها في المنزلة فوق أدلّة القرآن والسنة.

ومَن اعتمد على هذه المنامات فعوّل عليها في مطالبه الدينية والدنيوية فقد ضلّ، لأنّه قدّم ما يرَاه في المنام على الأدلة النقلية الصحيحة؛ فهو يزعم أنّه يتلقى هذه المنامات من الله تعالى أو من النّبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أحد مشايخه العالمين بأحكام الدين، وهذا الأمر الخطير لم يحكم به ولم يدعُ إلى الحكم به النّبي صلى الله عليه وسلم، بل الأدهى من ذلك أن القائلين بموثوقية الرؤى وصحة تحكيمها يعتمدون عليها في تقرير شركهم بالله تعالى [2].

المطلب الثاني: ضعف المنهجية العلمية في الاستدلال على النتائج

المسألة الأولى: التوظيف الخاطئ لمصادر المعرفة في الاستدلال على النتائج

إنّ الاستقامة في المنظومة المعرفية مهمة كالإدراك العقلي، وتشبه المنظومة المعرفية الفمَ الذي يستطعم حلاوة الأشياء، فإذا كان الفم عليلاً فلن يستطعم حلاوة المطعم والمشرب، وكذلك الإدراك العليل لا يستطعم حلاوة المعرفة واليقين[3]، ولهذا فليس كل صاحب شبهة يناقَش، بل الذي يناقّش هو من تجمّعت عنده المقدمات العلمية واستطاع تدبرها وفهمها[4]، وإنّ استخدام المقدمات الصحيحة في ظل الوحي يوصل إلى النتيجة الصحيحة، مع العلم بأنّ أيّ إشكالية في النتائج سببها أيّ الطرق هي المعتمدة في تلقي المعطيات، ويأتي هذا المطلب للتفصيل في مسألة الاستدلال المتعلقة بالنتائج. والاستدلال يعبِّر عن مصادر المعرفة عند الناس، وهي تكون بطريق النقل أو العقل أو الحس أو الفطرة، وتفصيلها كالآتي:

---

[1] ينظر: القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج19/ص 311).

[2] ينظر: السعدي، **الهواتف والرؤى والمنامات عند الصوفية (عرض ومناقشة)**، (ص206-210).

[3] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص55).

[4] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج3/ص 310).

أولاً: النّقل

إنّ النّقل أو الخبر المعتمد في الإسلام ليكون من مصادر المعرفة: هو الخبر الصحيح، ويندرج تحته: الوحي الإلهي، وما وصلنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم من سنة صحيحة[1]، ويعتمد النقل على أمرين أساسيين: الثبوت والدلالة[2]، فإنّ الشك قد يأتي عند تعارض النّصّ مع العقل من وجهين: إما أن يشكّ في ثبوت الدليل، وإما أن يصرف الدليل عن ظاهره، فإن كان الدليل قطعي الثبوت كالقرآن بدأ بصرفه عن ظاهره إلى المجاز أو إلى البواطن، وإن كان الدليل صحيحاً ثابتاً وردّه صاحب الشبهة فإنّه لم يردّه إلا لتحكيم العقل وتقديمه على النقل.

ويعتمد الإنسان الأخبار المنقولة إليه كمصدر من مصادر المعرفة، وهذا بالنسبة للإنسان من الضرورة بمكان؛ لأنّه لا يمكن أن يحيط بكل شيء علماً، بل لا بدّ له من مُعِين يعطيه من المعلومات ما يعينه، وهذا من قبيل المُغيَّبات عنه مثل ما يحصل في بلد غير بلده، ومثلها الغيبيات التي لا يمكن أن يعلمها إلا من مصدر موثوق[3]، فالعلم حاصل بالغيبيات التي أخبر عنها القرآن والسنة، كالحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من شيء لم أُرَه إلا وقد رأيتُه في مقامي حتى الجنة والنار، وأوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال، فأما المؤمن أو المسلم لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: محمد جاءنا بالبينات فأجبنا وآمنا، فيقال: نم صالحاً علمنا أنّك موقن، وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلتُه"[4]، ويأتي الانحراف إما بإنكار ما في هذا الحديث الصحيح وأمثاله، أو تأويلها تأويلات لا يحتملها النّصّ كي يتوافق كل ما فيه مع العقل أو الحواس.

ويتشكل الانحراف العقدي باللعب في الأدلة النّقلية، فإنّ طريقة الاستدلال بهذه النّصوص تضع الإنسان على طريق الحق أو طريق الضلال والانحراف والشبهات، فإمّا أن يستدلّ صاحب الشبهة بما لم يَثبت

---

[1] ينظر: سلامة، **الخلل في التعامل مع مصادر التلقي وفهمها**، (ص 2838).

[2] النقل نوعان من حيث الثبوت: ظني الثبوت وقطعي الثبوت. ونوعان من حيث الدلالة: قطعي الدلالة، وظني الدلالة. ينظر: خلاف، **علم أصول الفقه**، (ص 20-21).

[3] ينظر: الشاطبي، **الاعتصام**، (ج2/ ص 832).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ج9/ص 94/ح 7287).

وينكر ما ثبت لكي يبرر انحرافه، وإما أن يستدلّ به على غير الوجه المقصود، فيرجّح دلالة غير مقصودة على الدلالة المقصودة، فيؤدي ذلك إلى إنكار بعض العقائد والأحكام وتقرير أخرى جديدة، وهذا الأمر وقعت فيه بعض الفِرق الإسلامية من الباطنية كالشيعة وبعض الصوفية القائلين بأنّ كلّ نصّ له ظاهر وباطن، فتجدهم يأخذون بما يتناسب مع انحرافاتهم، ويؤوّلون النّصوص بحجة الدلالة الباطنية[1].

ثانياً: العقل

اختلف العلماء كثيراً في تحديد معنى العقل حتى قال الزركشي: "وكثر الاختلاف فيه حتى قيل: إن فيه ألف قول"[2]. ومما يدلّ عليه مفهوم العقل: أولاً: الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية، وهي بالنسبة له كأحد الحواس. ثانياً: العلوم النظرية المكتسبة، وهي المعاني والأفكار الناتجة عن استعمال المعنى الأول. ثالثاً: العمل بموجب العلم، فيقال: فلان عاقل أي: هادئ رزين. رابعاً: بمعنى العلوم الضرورية أو البدهيات العقلية[3].

ويرى الباحث أنّ المعاني المذكورة كلها مقصودة في أماكنها، وأنّ اختلافها اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد، إلا أنّ العقل إذا أريد به مصدر للمعرفة، فإنّ الألصق للصواب أن يُقصد به المعنى الرابع[4]، أي: العقل بمعنى المسلّمات أو البدهيات العقلية، التي اتفق عليها العقلاء، فالعقل بهذا المعنى يعدّ مصدراً أصيلاً من مصادر المعرفة في الإسلام، والمسلّمات العقلية أربع: مبادئ الهوية[5]، وعدم التناقض[6]، والثالث المرفوع[7]، والعلية أو السببية[8]، [9].

---

[1] ينظر: عبد العال، **مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية "الإثني عشرية"**، (ص 2221). وينظر: القفاري، **مقالات الفرق**، (ص 425).

[2] الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، (ج1/ص 115).

[3] ينظر: الغزالي، **المستصفى**، (ص 20).

[4] تجاوز الباحث المعاني الثلاثة الأولى للعقل كونه مصدرا للمعرفة؛ لأن الأول عبارة عن غريزة، فيمكن من خلالها الوصول إلى الحق أو إلى الباطل، فهي ليست دقيقة كمصدر للمعرفة، مع أنها هي مناط التكليف. والثاني: لأن الناس يتفاوتون في فيها تفاوتا جليا، بحسب استعمال الآلة. والثالث: عبارة عن صفة في الإنسان. وهذه الثلاثة كلها لا يمكن أن تكون حكما، فضلا عن أن تكون مصدرا من مصادر المعرفة.

[5] بمعنى أن الشيء يبقى هو هو، ولا يتغير ولا يتبدل، حتى إن طرأت عليها تغيرات داخلية.

[6] هو امتناع الجمع بين النقيضين، ككون الشيء موجودا وغير موجود في الوقت ذاته.

[7] ويعني أن القضيتين المتناقضين لا حل وسط بينهما، فإذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى، ولا ثالث بينهما، فزيد حي أو ميت ولا ثالث لهما ولا حل وسط.

[8] ويعني أن كل سبب لا بد له من مسبب، وكل حادث لا بد له من محدث.

[9] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص66-67).

ولعل السبب الرئيس لضلال بعض الفِرَق السابقة كالقدرية والجبرية كان بسبب تغليب العقل على النقل[1]، وقد سار على نهجهم أصحاب الشبهات بزعم أنّ هذا النّقل يتعارض مع العقل، وهذا فيه تدليس لأنّهم جعلوا العقل بمعنىً واحدٍ، فلا بدّ قبل كل شيء من تحرير محل النزاع وهو: المقصود بالعقل، فإن كان المقصود منه: البدهيات العقلية، فإنها لا تتعارض مع الإسلام في شيء ولله الحمد؛ لأنّ الإسلام لم يجئ بما تحيله العقول، وقد يأتي بما تحار به العقول[2]. وبهذا يتبين أنّ العقل يكون له سلطة على النّصّ إن خالف النّصّ أحد المسلمات العقلية التي يستحيل تخلف أحدها، أما ما سوى ذلك فلا بد من أن يكون هناك خطأ في فهم النّصّ أو أن النّصّ غير صحيح، فلو اجتمع جمع من الثقات وأخبرونا بأنّ الجمل دخل في سم الخياط فلن نأخذ بتوثيقهم في هذا الخبر المستحيل، وهكذا كل حديث خالف المسلّمات وجاء بالمستحيلات وناقض الأصول فهو موضوع[3].

وبهذا فإنّه يظهر أيضاً سوء قول من يرفض الدليل النقلي الصحيح لمعارضته لشيء من العلوم المكتسبة، فإنّ هذه العلوم المكتسبة ليست من المسلمات أو البدهيات العقلية، بل هي علوم مدركة بطريق العقل الذي بمعنى الحسّ، وهو الآلة التحصيلية التي بالمعنى الأول للعقل، والتي أيضاً تتغير من حين إلى آخر حين يثبت بطلانها، فإنكار مثل هذا الأدلة النّقلية يوقع في الانحراف العقدي، لأنّ صاحبه قد ينكر معلوماً من الدين بالضرورة أو ينكر عقائد لا يراها تتفق مع العلم المكتسب.

ومما ورد في شأن المعارضة الظاهرية للعلوم المكتسبة أنّ أبا هريرة رضي الله عنه روى عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا صفر، ولا هامة، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها، فقال: فمن أعدى الأول"[4]. والشاهد من الحديث أنّ الصحابي التبس عليه الاحتجاج بالعقل مع الاحتجاج بالحسّ المشاهد، فهو يرى بحسّه أنّ البعير الأجرب إذا دخل على الإبل فإنّه يعديها، لكن النّبي صلى الله عليه وسلم أوضح له أنّ ذلك إنما هو بأمر الله ابتداءً، وليقطع الشبهة من أصلها سأله عمن يُعدي الأول ليلفت انتباهه أنّ

---

[1] ينظر: أبا حسين، **معجم التوحيد**، (ج3/ ص222).

[2] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج1/ص 147).

[3] ينظر: ابن الجوزي، **الموضوعات**، (ج1/ص 106).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب لا صفر، (ج7/ص 128/ ح 5717).

القول بالتسلسل في التسبب بالعدوى سيوصله إلى أنّه لا بد له من بداية، وهذه البداية تكون من الله تعالى[1]، ويتضح من خلال هذا أنّ العقول تصل إلى مرتبة لا يمكن أن تتعداها، ولو استطاعت تعديَها لاستوت مع الخالق سبحانه وتعالى في إدراك كل ما كان وما هو كائن[2].

ثالثاً: الحِسّ

يعتبر الحِسّ من مصادر المعرفة العامة في الإسلام، إذ يأتي من طريق الحواس مما تجمعه من معلومات من البيئة المحيطة، فينطبع تصورٌ عن الأشياء في الذهن بناء على المعطيات المجموعة[3]، ومن ثم فإنّ فقدان إحدى الحواس يعني فقدان آلة جمع للمعلومات لا يمكن تعويضها، وفقدان الحاسة المقصود هنا يعني الفقدان الحسي الفعلي للحاسة، أو عدم تفعيلها في الاستدلال فتكون كالمفقودة، فقد قال ربنا تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: 21]، فالآية شنّعت على من يملك السمع ولا يستخدمه وفق ما أمر الله به، فوصَفَه الحق تعالى بفاقد السمع[4]، وينطبق مدلول الآية على من لا يقبل بالحِسّ مصدراً للمعرفة[5]، فيقول: حتى لو رأيت الشيء أو سمعت صوته أو لمسته فلا أومن بوجوده، فهم بهذا زعموا أنّ الإدراك الحسي لا يلزم منه أن يكون مطابقاً للواقع المحسوس، لأنّهم يعتقدون بأنّ الحواس تخطئ، وبما أنها تخطئ فإنّ الإدراك الحسي قد لا يكون يقينياً[6].

ومع كل ما سبق ذِكره إلا أنّ الحِسّ لا بد أن يكون له حدود؛ إذ السمع والبصر وكل الحواس محدودة، وبناءً على هذا؛ فإنّ عدم رؤية الشيء ليس دليلاً على عدم وجوده، ومثل ذلك كل الحواس، فعدم الدليل ليس دليلاً على العدم، وعدم الوجدان ليس دليلاً على العدم[7]، ومثال ذلك: عذاب القبر ونعيمه، فإنّ حواس الأحياء لا تدركه، وهذا حدا بأهل الشبهات بأن ينفوا عذاب القبر ونعيمه لأنّ الحواس لا تدركه، مع أنّ

---

[1] ينظر: القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (ج5/ص 621).

[2] ينظر:الشاطبي، **الاعتصام**، (ج2/ص 831).

[3] ينظر: القرني، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (ص 331).

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (ج9/ ص285).

[5] يسمى هؤلاء بالشُكوكيين، وهؤلاء يميلون إلى الشك في إمكان المعرفة بصورة كلية. ينظر: عامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، (ص 66).

[6] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص69).

[7] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص70).

الدليل الصحيح قائم على إثباتها، فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الحبيب صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير"[1]. والشاهد هنا أنّ عدم إدراك الإنسان حقيقة الشيء ليس دليلاً على انعدامه، بل في هذا الحديث ما يدلّ على أن آلات الإحساس البشرية عاجزة عن تلقي مثل هذا الأمر غير المدرَك عند البشر، فحدود الحواس قاصرة عن الإحاطة به.

رابعاً: الفطرة:

الفطرة هي: "الصِفة التي يتصف بها كل موجود في أوّل زمانِ خِلْقَتِه، أي: الجِبِلَّة المُهيَّأة لقبول الدين"[2]، وقد قال ربنا تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: 30]، أي: يا محمد صلى الله عليه وسلم اتّبع الدين القيّم فإنّه يتفق والفطرة التي فطر الله تعالى كل النّاس عليها[3]، وفي شأن الفطرة روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، كما تُنتجون البهيمة هل تجِدون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها"[4]، والمعنى أنّه يولد على طبع متهيئ ليَقبل الدين الحق، فلو تُرك على الجبِلّة للازمَها ولم يفارق الفطرة الدينية، وإنما تؤثر فيه الآفات البشرية فتحرفه عن عقيدته السليمة[5]. لكن ذلك لا يعني أنّ الإنسان يولد وهو يحمل وعياً مباشراً صريحاً بوجود الخالق سبحانه وتعالى، بل المقصود أنّ الإنسان في أصل جِبِلّته مهيّأ لقبول الدين؛ لأنّ حسن الدين ثابت في النفوس، فعليه استغلال الفطرة للبحث عن الخالق الحكيم[6].

وقد اختلفت مذاهب الفِرَق الإسلامية في جعل الفطرة دليلاً على المعرفة، فبعض المعتزلة والأشاعرة[7] نفوا كونها دليلاً، ونفوا أن يولد أحد على الإسلام في الأصل، بل الإنسان هو الذي يجعل نفسه مسلماً أو كافراً، والله دعا إلى الإسلام وأعطى الجميع القدرة على اختياره أو الكفر به، وادّعوا أنّ القول بالفطرة ظلم

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الوضوء،باب حدثنا محمد بن المثنى، (ج1/ص 53/ ح 218).

[2] البركتي، **التعريفات الفقهية**، (ص166).

[3] ينظر: الهلال، **تفسير القرآن الثري الجامع**، (ج 8/ص 511).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، (ج8/ص 123/ ح 6599).

[5] ينظر: ابن الأثير**النهاية في غريب الحديث والأثر**، (ج3/ص 457). وينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص60).

[6] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج3/ ص249).

[7] لم تتفق المعتزلة والأشاعرة على القول بذلك، بل اختلفوا فيما بينهم، فتارة أنكروا الفطرة وتارة أقروها. ينظر: صادق، **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا**، (ص 182).

للناس[1]. ولا شكّ بأنّ إنكار المعرفة الجبِلّيّة الفطرية أمر خطير، وهذا الخطر يتمثل في التصريح بأنّ وجود الله تعالى لا يُعلم إلا بالنظر والاستدلال[2]، ولم يُسّلّم لهم هذا القول فقد قال غيرهم بأن الفطرة دليل على المعرفة، وهذا الذي يترجح بعد النظر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية العطِرة[3]، بل إنّ الحديث عن الفطرة يتصل بالإيمان لأنها تعين على الإجابة عن الأسئلة التي تحير البشر، فلا يزال الناس منذ الأزل يبحثون عن الخالق، ولو لم يكن حضوره في النفس أمراً ضرورياً لما لزمه البحث عنه، ودليل ذلك اللجوء إليه عند الشدائد حتى لو يُعلم وجوده تعالى شأنه[4].

وفي كيفية عمل الفطرة يقول ابن القيم: "ولا ريب أنّ كمال العبودية تابع لكمال المحبة، وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه، والله سبحانه له الكمال المطلق التام من كل وجه، الذي لا يعتريه توهم نقص أصلاً، ومَن هذا شأنه فإنّ القلوب لا يكون شيء أحب إليها منه ما دامت فطرها وعقولها سليمة، وإذا كان أحبَّ الأشياء إليها فلا محالة أنّ محبته توجب عبوديته وطاعته، وتتبعَّ مرضاته، واستفراغَ الجهد في التعبد له والإنابة إليه"[5].

والحاصل أنّ الانحراف بسبب الفطرة يأتي من إنكار وجودها، وهذا يزيد في صعوبة الاستدلال على الخالق لأنّه لم يهيئ نفوس الناس لقبول الحق على حد قولهم، وبهذا يكون للكافر حجّة على الله بأنّك لم تهيئ نفسي لقبول دينك يا رب، وهذا يعدّ سبباً للانحراف عند من يظنّ أنّ الله تعالى خلقه وتركه سدى، فلا حاجة له لقبول أوامر من تركه على تلك الحال.

المسألة الثانية: مظاهر التوظيف الخاطئ لمصادر المعرفة في الاستدلال على النتائج:

---

[1] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج8/ ص378).

[2] ينظر: سفر الحوالي، **منهج الأشاعرة في العقيدة – الكبير**، (ص22).

[3] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج7/ ص 352–361). وينظر: القرني، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، (ص 215–216).

[4] ينظر: عامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، (ص 170).

[5] ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (ج2/ص 1081).

المظهر الأول: التوظيف الخاطئ في الاستدلال بالعقل:

لقد رفع الإسلام من شأن العقل فجعله مناط التكليف وشرط قيام الحجة على صاحبه، وجعله أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها، فحرّم كل ما يضر العقل كالخمر وشبيهاته، وأهل السنّة سلكوا في العقل طريقاً متوسطاً دون إهمال ولا تأليه[1]، ويتجاذب هذا المحور إفراط وتفريط، وهما على التفصيل الآتي:

أولاً: الإفراط: فمن أفرط في إعطاء الصلاحيات للعقل جعله حاكماً على النّقل وعلى النتائج، وظهر أثر ذلك عند المعتزلة الذين زعموا أنّ العقل هو مؤسس للحُسن والقبح وهو الميزان، فالحَسن ما حَسّنه العقل ووجب على الشرع تحسينه، والقبيح ما قبحه العقل، ووجب على الشرع تقبيحه[2]، ومنهج هؤلاء يقوم على إنكار الحديث الذي لا يوافق ما يرونه حسناً حتى لو كان ثابتاً صحيحاً، ويؤوّلون الآيات التي لا تتفق مع الحُسن الذي يجدونه[3]، فهم يطوّعون النّصوص كما تشتهي النفوس بحجة تحكيم العقل، وفي هذا هدم للدين لأنّ أي جانب من الدين يمكن هدمه بطريق العقل القاصر وأهمها أمور الاعتقاد، لأنّ العقل القاصر قد يجد في الشرك شيئاً جميلاً حسناً فلماذا يَقبل بالإيمان المنضبط؟

ولقد رفض أهل السنّة تأليه العقل والإفراط بإعطائه من الصلاحيات ما يجعله حاكما على النّصّ الصحيح الصريح، لأنّ منهجهم قائم على عدم وجود تعارض حقيقي بين النّصوص الصحيحة، وعدم وجود تعارض بين النّصّ الصحيح والعقل القويم[4]، فإن بعض المعتزلة وتبعهم بعض الأشاعرة[5] قد أعطوا للعقل مطلق السلطة، فقدّموه على النّصّ حتى في مسائل العقيدة، وشبهتهم في ذلك أنّ التيقّن من صحة الخبر متعذرة إلا من خلال العقل[6]، ونسي هؤلاء أن الله تعالى قد وهب الإنسان العقل ليفهم الدين لا يعارضه، ولا ليجعل

---

[1] ينظر: الحربي، **جهود علماء التفسير في الرد على المعتزلة في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال**، (ص 365).

[2] ينظر: السفياني، **الانحراف العقدي**، (ص411).

[3] ينظر: سلامة، **الخلل في التعامل مع مصادر التلقي وفهمها**، (ص 2849).

[4] ينظر: ابن تيمية، **الرسالة العرشية**، (ص 35).

[5] إذ ليس كل الأشاعرة يقولون بهذا.

[6] ينظر: الحميديي، **مصادر الأشاعرة في التلقي ومنهجهم في الاستدلال في باب العقيدة**، (ص 154).

عقله الحكم على ما يقول ربنا جل شأنه، أو يقول رسوله صلى الله عليه وسلم[1]، فالعقل إنّما هو تابع للنقل والنقل متبوع[2].

ومثال ذلك ما ورد في قصة صلح الحديبية حيث روى سهل بن حنيف رضي الله عنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلامَ نعطي الدنية في ديننا أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً" الحديث[3]، فانظر كيف كان خطأ بعض الصحابة في تحكيم ما يظنونه من العقل في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف بان لهم فيما بعد أن أمر الله نافذ ولا ينبغي تقديم العقل على نص من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم[4]. فلا بد من السمع والطاعة لكل الأوامر والنواهي حتى وإن كان ما يظهر لنا أن الحكم لا يلتئم مع العقل[5]، مع العلم بأنّ الإسلام جعل موقع العقل من الوحي كمنزلة البصر من نور الشمس، فإن اتصل بالعقل نور الوحي اهتدى، وإلا تخبط في الضلالات والمتاهات[6].

ثانياً: التفريط: فمن فرّط في عقله فقد ضلّ في جانب النقل كذلك؛ إذ صار لا يميز بين صحيح الأخبار وسقيمها، وبين من يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، فلا يجوز أن يظن أحد أنّ تحديد مجالات العقل وضبطه يدلّ على التفريط فيه، فإنّ العقل أحد دعائم الشريعة شريطة أن يكون تابعاً للنّصوص، ولو لم يكن العقل أحد الركائز المهمة لفهم الدين لما أمكن العمل بالدين ولبطل التكليف، لأنه سيستوي حينها في إدراك الدين العاقل والمجنون[7].

---

[1] ينظر: آل الشيخ، **الخلل في منهج الفكر وأثره في الانحراف العقدي** (ص141-142).

[2] ينظر: الشاطبي، **الموافقات**، (ج1/ص 30).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجزية، باب، (ج4/ص 103/ ح 3182).

[4] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج5/ ص 364).

[5] ينظر: الهلال، **تفسير القرآن الثري الجامع**، (ج 7/ص 515).

[6] ينظر: يوسف، **العقل في الإسلام، منزلته ومجالاته وعلاقته بالنقل**، (ص 238).

[7] ينظر: الشتيوي، **مكانة العقل وحدوده في مجال أصول الفقه**، (ص 110-111).

ومما يدلّ على أن تعطيل العقل يودي بالمرء إلى دركات الضلال؛ أنّ الله تعالى استفز عقول البشر في القرآن الكريم بآيات كثيرة تحثهم على التفكر والتدبر العقلي في الآيات الكونية من سماء وأرض وجبال، ودلّهم على عظمة الخالق ليضعهم على طريق التفكر، فوصف لهم عظمة رفع السماء بلا عمد، وتعاقب الليل والنهار، وغير ذلك الكثير[1]، وهذا يعني أنّ من تفكر واستدل بعقله على الآيات فإنه في طريق الحق الذي يوصله للهدى، أما من عطّل عقله واعتمد التقليد واتّباع الهوى فإنه سيضل ويشقى.

لذلك فإنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يستثير عقول الصحابة ليفكّروا ويتفكروا، وكان يستعمل معهم أساليب متنوعة منها السؤال قبل الإجابة كي يحثهم على البحث عن إجابة، ومن ذلك ما رواه زيد بن خالد رضي الله عنه أنّه قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، ثم أقبل علينا فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأمّا من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي"[2]، وفي هذا الحديث دليل على استعمال السؤال لاستنهاض العقل على التفكير وجذب انتباه السامع لأهمية ما سيقال له، فبعد أن استحوذ على أذهانهم بالسؤال وضح لهم مسألة عقدية مهمة تتعلق بالشرك.

فالإنسان إذا عطّل عقله سينتهي به إلى الخرافات، وإلى الغرق في بحر الشبهات، وإلى الانحراف عن العقيدة الغراء، فقد أبطل الله معالم الشرك والوثنية لما فيها من ازدراء للعقول، فجاء الإسلام ليحرر الناس من آثار تعطيل العقول فحصّن عقولهم بالإسلام، ودارت معارك عظيمة لتحرير عقول العباد من كل ما يتصادم والفطرة السليمة، فكيف كانت أحوال الناس قبل الإسلام؟ كانوا يسجدون للأوثان ويتيهون في الضلال، وعاد هذا الحال عند كل من عطّل عقله عن التفكير المثمر[3].

---

[1] ينظر: الحسين، **مكانة العقل في القرآن والسنة**، (ص 7-10).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (ج5/ص 121/ ح 4147).

[3] ينظر: الفهيد، **سماحة الإسلام في حفظ العقل**، (ص131-132).

المظهر الثاني: التوظيف الخاطئ في الاستدلال بالنقل:

عند ثبوت النّقل، تراعى فيه مسائل عند التعارض الظاهري، فإنّ النّقل لا يتعارض مع العقل في الأساس، وهذه مظاهر تبرز كيف توجد الانحرافات مع وجود النقل الصحيح:

أولاً: التأويل: وهو قسمان أحدهما تأويل مستساغ، وهو يعني: "صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن به"[1]. وتأويل بِدعِي وهو: "صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى مرجوح لقرينة فاسدة، كمن يعطل الصفات الإلهية أو يتأولها، ظنا منه أن حملها على ظاهرها يقتضي الجهة أو الحيز أو الجسمية"[2].

ولا شكّ أنّ المقصود بالاهتمام هنا هو التأويل البدعي، والذي يُعدّ بحد ذاته وجها لتحريف النّصوص، فقد دخل أعداء الإسلام من هذا الباب كالفلاسفة والباطنية، فلا تكاد تجد محنة مرت على الإسلام إلا وسببها التأويل الفاسد البدعي[3]، فجعلوه العمود الفقري للفكر الباطني كله، وهذا ما هداهم إليه الشيطان، لأنّهم لم يتمكنوا من الطعن في الإسلام صراحة، فلجأوا لهذه الوسيلة الماكرة، فعملوا على تأويل الأحكام والعقائد كالزكاة والحج والجنة والنار، فأسقطوا حقيقة الإسلام من عقول ونفوس أتباعهم[4]، وعَمل المعتزلة بالتأويل البدعي من باب العدل والتوحيد، وحجتهم في ذلك أنّ الأدلة النقلية إنما جاءت لتوكيد دلالة العقل على الأشياء، فكل ما لا يتفق مع دلالاتهم العقلية رفضوه أو أوّلوه[5].

ويدخل في التأويل البدعي تقديم المجاز على الحقيقة دون دليل أو قرينة، فالأخذ بالمجاز لا بدّ له من ضوابط فمن استغنى عن الضوابط انحرف، مثل من حملوا حقائق الوحي حملاً مجازياً على غير مراد الله، فقالوا عن الصلاة على سبيل المثال، بأنها تعبّر عن: معرفة الأسرار، وعن الحجّ بأنّه: زيارة الشيوخ

---

[1] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج3/ص 55).

[2] السفياني، **الانحراف العقدي**، (ص410).

[3] ينظر: ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (ج5/ ص163).

[4] ينظر: سفر الحوالي، **منهج الأشاعرة في العقيدة – الكبير**، (ص 94).

[5] ينظر: الحربي، **جهود علماء التفسير في الرد على المعتزلة في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال**، (ص 362).

المقدسين[1]، وادعاء أنّ اليوم الآخر إنما يشير إلى تناسخ الأرواح، فإن كان الميت محسناً انتسخت روحه في إنسان آخر، أو إلى حيوان إن كان الميت مسيئاً[2]، ومثل من ادّعى بأنّ المقصود بالإيمان المجاز بمعنى إعطاء الأمان، وهو بذلك نقَل الكفر والعقاب الإلهي من ترك الإيمان إلى ترك الأمان، بمعنى أنّ الإيمان عقد اجتماعي بينك وبين من حولك، وهذا يُعَد من التحريف، ومثله تحريف دلالة الإسلام والكفر[3]، وهذا حمل للعقائد والأحكام على المجاز وسلخ للدين عن حقيقته التي أرادها الله تعالى وجاء نبيه صلى الله عليه وسلم لبيانها وتأكيدها، وهذا أمر مذموم يسوق الفتن والانحرافات الكثيرة[4].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} إلى قوله: {أولو الألباب}. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم"[5]. فإذا كان الذم لمن يبحث عن تأويل المتشابه، فمن باب أولى أن الذم في من يؤّول القطعيات أشد، وهذا لا يخرج عن كونه من باب الجهل أو الهوى، فإذا كان بسبب الهوى فقد أعظم الفرية لأنه حرف الكلم عن مواضعه، وأمّا إن كان بسبب الجهل فلا يعني هذا تكفيره أو الجزم بدخوله النار، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم "أن رجلاً كان قبلكم رغسه[6] الله مالا، فقال لبنيه لما حُضِر: أيّ أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإني لم أعمل خيراً قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني ثم ذُرّوني في يوم عاصف. ففعلوا. فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال مخافتك فتلقاه برحمته"[7]. فهذا الرجل اعتقد اعتقاداً كفرياً بأن شكّ بقدرة

---

[1] ينظر: ابن تيمية، **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، (ص 491).

[2] يرد هذه الشبهة أن العلم أثبت أنّ الحيوانات وجدت على الأرض قبل الإنسان.

[3] هذا من فيديو ليوسف أبو عواد، أحد أعمدة مؤسسة مجتمع، وهو من اتّباع محمد شحرور. ينظر: https://youtu.be/YQl0yDGvXsg

[4] ينظر: ابن قدامة الجماعيلي، **ذم التأويل**، (ص 37).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {منه آيات محكمات}، (ج6/ص 33/ ح 4547).

[6] أي: كثره له. ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (المقدمة/ ص 124).

[7] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب، (ج4/ص 176/ ح 3478).

الله على البعث، لكنه كان مؤمناً جاهلاً فغُفر له، والمتأول الحريص على الدين أولى بالمغفرة من مثل هذا[1].

ثانياً: رد قسم من الأحاديث بحجة تعارض المتواتر مع الآحاد أو بحجة أن حديث الآحاد لا يؤخذ به في تقرير العقائد، مع أن كلا الحديثين صحيح:

في الغالب لا يوجد تعارض حقيقي بين آحاد صحيح وبين متواتر، لكن بعض المتكلمين كالمعتزلة لا يأخذون بحديث الآحاد في العقائد بحجة أنّه ظنيّ الثبوت، ويقولون أنّه إذا ثبت الخبر بخبر الواحد مرة فيلزم من ذلك أن يثبت به دائماً، وإنّ تأثير الاحتجاج بخبر الواحد في النّفوس ضعيف ليس كالاحتجاج بالخبر المتواتر، وحجتهم واهية في ذلك، ويُرَدّ عليهم بأنّ هذا أمر نفسي ويقابله مَن يقول بأنّه يجد في نفسه قوة لخبر الواحد، واحتجوا أيضاً بأن خبر الواحد لو كان يوجب العلم لمَا روعي فيه شرطا الإسلام والعدالة[2].

ومن العلماء من رأى حجية خبر الواحد فانبرى للدفاع عن حجيته، فالبخاري في صحيحه أفرد كتاباً أسماه كتاب أخبار الآحاد، وجعل أول أبوابه: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، وجعل أول حديث فيه ما رواه عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنّه قال: "أتينا النّبي صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبَة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقاً، فلما ظنّ أنّا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا، سألَنَا عمن تَرَكْنا بعدنا فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم" الحديث[3].

[1] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج3/ص 231).

[2] ينظر: الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، (ج2/ص32).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، (ج9/ص 86/ ح 7246).

والشاهد أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم أجاز لهم أن يدْعوا أقوامهم إلى الإيمان، وأن يَنقلوا لهم الأحكام وهم آحاد، فإذا كان ذلك كذلك فقد جاز الأخذ بخبر الآحاد في العقائد كما جاز ذلك في الأحكام، وقد كان أول من قال بحجية خبر الآحاد الشافعي[1] وتبعه من بعده البخاري[2].

ومن سيئات ترك الأخذ بخبر الآحاد أنّ القائل به يترك جانباً كبيراً من جوانب الدين، وهو تفريط في الأدلة النقلية الثابتة، ولو كان القائل بها استوعب أنّ الرسل والأنبياء كانوا آحاداً يُبعثون لأقوامهم لما قال ما قال، وحتى لو أنّه قال باستثناء الأنبياء لأنهم مؤيَّدون بالوحي، فإن سيرة حياة النّبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده زاخرة بأحداث وأحاديث كان الشاهد فيها على الأحكام والعقيدة آحاد المسلمين وقد قَبلوا ذلك من بعضهم.

[1] ينظر: الشافعي، **الرسالة**، (ص 401-403).

[2] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج13/ص 234-235).

الفصل الثالث

قواعد التحصين من الانحراف العقديّ في ضوء صحيح البخاريّ

يَعُجّ العالم بمؤسسات تحرص على نشر الانحرافات العقدية بكافة الوسائل والسبل، وهي ليست بمعزل عن التي كانت تتعرض لها الأجيال السابقة وبخاصة جيل الصحابة الكرام، لهذا فإنّ المنهج النبوي في علاج الانحرافات الفكرية، سيكون هو السبيل لعلاج كثير من الانحرافات العقدية المعاصرة. وإنّ التعامل مع هذه الانحرافات لا يكون فقط بسرد الأدلة على عدم صدقها[1]، بل إنّ تفنيدها يحتاج مهارةً وإتقاناً وفنّاً، تُستقى من المنهج النبوي، مع العلم بأنّه لا يوجد ضابط محدد لكل الشبهات والانحرافات؛ لأنّ مجالها خيال فاسد أو معاندة للحق ولا ضابط لهما، بل هما بحسب ما يخطر على النفس من خيالات ومعاندات[2]، وقد جاء منهج النّبي صلى الله عليه وسلم في صرف الشبهات وعلاج الانحرافات مرتكزا على ثلاثة محاور[3] كالآتي.

المبحث الأول: القواعد النبوية الوقائية في التحصين من الانحراف العقديّ

المبحث الثاني: القواعد النبوية العلاجية في التحصين من الانحراف العقديّ

المبحث الثالث: القواعد النبوية المهاريّة في التصدي للانحراف العقديّ

المبحث الرابع: آليات التحصين من الانحراف العقدي في عصرنا الحاضر

---

[1] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 259).

[2] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 261).

[3] هذا التقسيم استفاده الباحث من كتاب: سابغات، ينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص55-89).

المبحث الأول: القواعد النبوية الوقائية في التحصين من الانحراف العقديّ

اتّبع النّبي صلى الله عليه وسلم مع الصحب الكرام مجموعة من القواعد التي تقي اعتقادهم من الانحراف، في استباق منه لظهور الشبهات والانحرافات، كي تكون العقيدة بحقٍّ صمام أمان لصاحبه من أن تعلق به أية شبهة أو انحراف، وفيما يلي توضيح لأهم هذه القواعد:

المطلب الأول: قاعدة تعزيز اليقين بأصول الإسلام

يُقصد بها: تثبيت الإيمان في القلب وترسيخ الثقة به، وتأصيل الثوابت الدينية، وذلك ببناء منهجية الاستدلال وتنظيم العقل والمعرفة لدى المسلم. وأصول الإسلام المقصودة هي: وجود الله تعالى، وصدق النّبي صلى الله عليه وسلم، وصحة القرآن الكريم، وضرورة الدين ومحاسن الإسلام[1]. ولا شكّ بأنّ اتّباع قاعدة تعزيز اليقين قد جعلت من الصحب الكرام كالرواسي في عقيدتهم لا تهزهم العواتي لمَّا وجدوا العزة بدينهم[2]، فتعزيز اليقين بأنّك على الحق المبين أمر مهم مطلوب؛ لأنّ البقاء على العقيدة السليمة يحتاج إلى إيمان صلب وثقة لا تهتز، وعلم وفهم وفطنة وذكاء[3]، وقد قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]، وهذه العزة تورث الثبات على الحق، فإن من يريد أن يتعزز فليتعزز بما عند الله لأنّه وحده صاحب العزة[4].

وقد عزّز النّبي صلى الله عليه وسلم اليقين بأصول الإسلام في قلوب الصحابة، واتبع معهم في سبيل ذلك آليات متنوعة بحسب الظروف والأحوال والسائل، فاستعمل لكل منهم ما هو أصلح له وأقرب إلى قلبه لقبول الحق، وصولاً بهم إلى اعتقاد راسخ تتحطم على جداره كل الشبهات. ولذلك فإنّ ما سيذكره الباحث مما يشتمل عليه تعزيز اليقين لا يمكن أن يكون ترتيباً للأهمية أو للخطوات العملية، بل ما يشتمل عليه

---

[1] ينظر: مركز صناعة المحاور، **دلائل أصول الإسلام– المستوى الأول**، (ص7–8).

[2] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 266).

[3] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام، منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها (1)**، (ص48).

[4] ينظر: حوّى، **الأساس في التفسير**، (ج8/ ص 4573).

تعزيز اليقين من معالم قد يختلف ترتيبها بحسب المخاطَب، وقد كانت هذه المعالم من خلال السنّة النبوية كما يأتي:

أولاً: تعزيز اليقين بربوبية الخالق سبحانه وتعالى:

ينبغي على المربي التركيز على تعزيز جانب العقيدة مبتدئاً بتوحيد الربوبية، ويُقصد به: الاعتقاد الجازم بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت وهو المدبّر المتصرف بهذا الكون[1]، ويُعَدّ هذا أساس التوحيد وغايته[2]، وقد سلك النّبي صلى الله عليه وسلم طرقاً عدة في سبيل تعزيز اليقين بربوبيته تعالى عند الصحابة منها التنبيه على ما كان مسطوراً في الكتابين المسطور والمنظور[3]، وبالتركيز على ضم الجانبين معاً، كان تعزيز اليقين في ربوبية الخالق سبحانه، وللتمثيل على هذا فإنّ السنّة النبوية زاخرة بذكر آيات قرآنية في تعريف الناس بخالقهم وبأسمائه وصفاته، وتقريبهم منه سبحانه.

ومثال ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "قال النّبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن"[4]، ومن أغراض هذه السورة الجليلة: إثبات وحدانيته تعالى فلا شريك له ولا ولد، وإثبات ربوبيته فلا يقصد لقضاء الحوائج إلا هو، وأما فضائلها فتتحصل بالإكثار من تلاوتها وتدبر معانيها[5]، ولقد وظّف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات لتعظيمها في نفوس الصحابة، ودعاهم للمداومة على تلاوتها لما فيها من معاني جليلة منها: أنّها تعزز اليقين في ربوبية الخالق الحكيم وتقوي محبته في القلب، وتشوّق النفس إلى معرفته سبحانه، فتورث يقيناً بأنّ الله لم يترك الناس سدىً هملاً لا راعي لهم، وتثبت في نفوسهم وجود خالق حكيم، مما يجعل المسلم حصيناً بالتوحيد ضد أي انحراف قد يتعرض له، ويستدعي هذا اليقين منهم الوصول إلى عبادة التفكر، وهي النقطة الآتية إن شاء الله تعالى.

---

[1] ينظر: ابن جبرين، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ج1/ص11).

[2] ينظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ص 1061).

[3] المسطور القرآن الكريم، والمنظور الكون وما فيه.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب فضل {قل هو الله أحد}، (ج6/ص 189/ح 5015).

[5] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج30/ ص 612).

وقد اهتمّ البخاري بتعزيز اليقين بروبية الخالق سبحانه، فجعل أول الجامع: كتاب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان، لتعزيز اليقين بأن أساس الإيمان هو الوحي. ومع أنّه نثر أحاديث كثيرة في الكتاب في شأن تعزيز اليقين ككل، إلا أنّه أيضاً خصّص فيه كتاباً من الجامع في تعريف الناس بربهم وتعزيز يقينهم به، فأسماه: كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم[1]. وهذا الاهتمام سببه كثرة الكلام في هذه المسألة في عصره، إذ كثرت الشبهات والفرق الضالة والمذاهب الفكرية المنحرفة، وكان أسوأ ما قال به الكثيرون: نفي الصفات، فجعل كتاب التوحيد بمثابة الكتاب المختص في الرد على شبهات منكري الأسماء والصفات. إذ جعل أول ترجمة له في إثبات كل التوحيد، ثم بدأ بالتفرع إلى الأسماء والصفات.

ثانياً: عبادة التفكر:

التفكر هو: "تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدَرَك المطلوب"[2]، فالتفكر فيه إعمال للفكر واستحضار للقلب، للبحث عن المقصود من وراء الأشياء، بالنظر الدائم والتأمل العميق في الدلائل والآيات. وعبادة التفكر تكون بالتدبر العميق في آيات الله القرآنية والكونية لا في ذاته سبحانه؛ فإنّه سبحانه فوق القدرة على ذلك فلا نظير له ولا شبيه، إذ التفكر مبناه على القياس؛ والقياس في حقه ممتنع[3]، والقصد من وراء التفكر تعزيز اليقين بوجود الخالق وبضرورة عظمته وكماله سبحانه.

ومن الأحاديث التي جمعت بين آيات التفكر وتعزيز اليقين، وبين تأثره صلى الله عليه وسلم بالعظمة الإلهية كتطبيق عملي أمام الصحابة: ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "بت في بيت ميمونة والنّبي صلى الله عليه وسلم عندها، فلمّا كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد فنظر إلى السماء، فقرأ: {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}"[4]، والآيات هذه واضحة المقصود على الإشارة إلى ربوبيته تعالى، وعلى ضرورة التفكر في مخلوقاته تعزيزاً لليقين بضرورة

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، (ج9/ص 114).

[2] الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص63).

[3] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج 4/ ص 39-40).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء، (ج8/ص 48/ح 6214). وإن الآيات التي استحضرها وتفكر بها صلى الله عليه وسلم هي: سمحإِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ 190 ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ 191سجى [آل عمران: 190-191].

وحدانيته، وضرورة الخشوع والخضوع والتسليم له سبحانه، مما يعزز في المسلم جانب الحماية العقدية من أي انحراف أو شبهة دخيلة، وقد نبع تفكره صلى الله عليه وسلم من صدق تسليمه ومحبته لله، فالتفكر العميق في الآيات والدلائل هو طريق مهم لخشوع القلب وتليين العريكة، والوصول إلى حقيقة وجود الخالق وبعث اليقين في القلب[1]، ويُدرَك هذا بالانطلاق بالعقل والحواس إلى أقصى الحدود التي يُقدَر عليها، ويرافق ذلك التأمّل في كل شيء، وإعادة النّظر مرة تلو أخرى، حتى يجتمع العقّ والقلب على نتيجة مفادها تحصيل المعاني الإيمانية العميقة، فيتثبت يقيناً من ضرورة وجود الله تعالى. ومن التفكر التدبر في قصص الأمم الغابرة ومصائرها، وهذا يورث في قلب المسلم مخافة الله تعالى ويقينه بأنّ طريق الحق هو طريق الله تعالى وحده[2].

وعلى النّقيض فإنّ من يعطل التفكر يصير فارغاً في جوانب متعددة يملأ وقته بالملهيات التي زينتها له الشياطين ليصدوه عن التفكر لِما علموه من أهمية هذه العبادة الجليلة في تعزيز اليقين[3]، حتى إنّ الشطان إذا وجد الإنسان قد يتفكر بحق اليقين فسيحاول أن يصرفه عن التفكر المحمود إلى التفكر المذموم، بأن يزين له التفكر في الله الجليل، ومما ورد في شأن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بَلَغَهُ فليستعذ بالله ولْيَنْتَهِ"[4]، فهذا من مداخل الشيطان التي يدلس فيها على المسلم ليصرفه عن حقيقة التفكر الممدوح إلى الاشتغال بما يشوشه ويربكه لعلم الشيطان بأثر التفكر الممدوح في تعزيز اليقين[5].

---

[1] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج1/ ص 127)، وينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج10/ ص281).

[2] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية–**، (ص95–96).

[3] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية–**، (ص 99–101).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[5] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص1512).

ثالثاً: التركيز على صدق النبوة ودلائلها

لا يمكن بحال من الأحوال أن يخلق الله تعالى الخلق ثم يتركهم همَلاً لا راعي لهم، ومن سبُل الرعاية التي كفلها الله تعالى للناس: إرسال الرسل لهم، وتعزيزهم بوسائل شتى كالكتب والمعجزات تثبت أنّهم مرسَلون من عنده تعالى، فإنّ إرسالهم دون علامات تدل على صدقهم نقص في جميع الفِطَر والله منزه عنه[1].

فوجود أنبياء يدْعُون إلى الله تعالى ويُعَرّفون الخلق به ضرورة حتمية، وبعثَ النّبي صلى الله عليه وسلم ليس حدثاً فرداً، ليكون غريباً نادراً، بل هو على العكس من ذلك؛ ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام بما يُعدّ شاهداً علمياً يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها[2].

ومن شدة تنبّه البخاري لهذا الأمر أنّه جعل في كتاب المناقب[3] ما يعزّز اليقين بنبوة محمّد صلى الله عليه وسلم، فأورد دلائل كثيرة على معجزات مادية تدلّ على صدقه، ومما يدلّ على ذلك ما راوه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوَضوء فلم يجدوه، فأُتِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بوَضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، وأمر النّاس أن يتوضئوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم"[4]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال "انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال النّبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا"[5]. فهذه المعجزات الحّسية وغيرها الكثير مما عايشه الصحابة أورث فيهم اليقين الراسخ بصدق نبوته محمد صلى الله عليه وسلم وأنّه على الحق، وانعكس أثر ذلك في حياتهم خالية من أكدار الشبهات والانحرافات، فتجدهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا يزالون على أثره، يقتدون به ويستنّون سننه، ولا يتهمونه في شيء مما كان أخبرهم عنه، حتى تجد عبد الله بن مسعود يحدّث عنه فيقول: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: "أن خلق أحدكم

---

[1] ينظر: ابن تيمية، **النبوات**، (ج2/ ص889). وينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج3/ص 330).

[2] مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، (ص87).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، (ج4/ص 177).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، (ج1/ص 45/ح 169).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر، (ج4/ص 206/ح 3636).

يجمع في بطن أمه أربعين يوما وأربعين ليلة"[1]. ومثله أبو هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: "هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش"[2]. فهم موقنون تمام اليقين بصدق كلامه صلى الله عليه وسلم، ولم ينقلب تصديقهم لشك حتى بعد وفاته.

رابعاً: الاهتمام بتزكية النفس

يُقصد بتزكية النّفس: تطهيرها من الشرك وما يتفرع عنه، وتحقيقها للتوحيد وما يتفرع عنه، وتخلّق النفس بأسماء الله تعالى الحسنى، مع الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل العبودية لله وحده والتحرر من دعوى الربوبية لغيره سبحانه وتعالى[3]. وتكون تزكية النفس بتخلية القلب من الشوائب والانحرافات العقدية، وتحليته بالتوحيد والعبادة والأخلاق الحميدة، لأنّ ذلك يعزز جانب اليقين. وهذا يستدعي من المربي أن يكون عالماً بأمور كثيرة، منها: أمراض النّفوس، وكيفية إصلاحها، ويتطلب منه أن يكون عارفاً بنفوس أصحابه، وعارفا بقلوبهم وأمراضها، وبما يصلح حالها وما يضرها وينفعها.

ومن الأمثلة على تزكية النّفس من السنّة النبوية ما رواه حارثة بن وهب الخزاعي عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر"[4]. ففي الحديث التحذير من الكِبر وهو معصية إبليس الأولى، وهو من الأمراض القلبية التي جاء التحذير منها في مواطن متعددة، وفي هذا الحديث يغلب على الظّنّ أنّ أكثر أهل النّار من هؤلاء المتكبرين الغليظين[5]. وهذا الوصف لهذا الخلق الذميم والمرض القبيح، جعل الصحابة يفرّون منه فرارهم من الأسد، فلم تؤثر عنهم هذه الصفات مجتمعة، واهتموا كثيراً بتخليص أنفسهم منها، فزاد بذلك قربهم من الله تعالى بحسن أخلاقهم، وصاروا نجوماً في حالكات الليالي.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين}، (ج9/ص 135/ح 7454).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ج4/ص 199/ح 3605).

[3] ينظر: حوى، **المستخلص في تزكية الأنفس**، (ص153).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الكبر، (ج8/ص 20/ح 6071). والعتل: الشديد في كل شيء وهو هنا شديد الفحش. ينظر: نخبة من اللغويين، **المعجم الوسيط**، (ج2/ ص 583). والجواظ: الفظ الغليظ المختال. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج7/ص 439).

[5] ينظر: البِرْماوي، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، (ج15/ ص108).

ومن الأمثلة أيضاً ما رواه النّعمان بن بشير عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1]. ويظهر من الحديث اهتمام النّبي صلى الله عليه وسلم بالقلب بهدف زرع الخشية فيه مع مراقبة النفس، ولا يعني هذا الفزع والهلع بل يعني الأمن النفسي في ظل خشية الله تعالى، ولذلك تجد ابن القيم في شرح الحديث يقول: "وأما حسم الجأش[2] فهو قطع اضطراب القلب، المتعلق بأسباب الدنيا، رغبة ورهبة، وحباً وبغضاً، وسعياً. فلا يصحّ الزهد للعبد حتى يقطع هذا الاضطراب من قلبه، بأن لا يلتفت إليها، ولا يتعلق بها في حالتي مباشرته لها وتركه، فإنّ الزهد زهد القلب، لا زهد الترك من اليد وسائر الأعضاء، فهو تخلي القلب عنها، لا خلو اليد منها"[3].

ولِعِلم البخاري بأهمية التزكية فقد أولاها اهتماماً بالغاً لأهميتها في تعزيز الإيمان وثباته، فخصص جزءاً من كتاب الأدب في هذا الجانب، فذكر فيه جملة من الأخبار في التحذير من أمراض القلوب وعلاجها والوقاية منها، حتى أنّه خصص في الجامع كتاباً أسماه: كتاب الرقاق، أبرز فيه كثيراً من الوجدانيات والمسائل القلبية. ولم ينسَ من خلال الجامع أن يبث قصص إسلام الصحابة، والتي كانت بدورها جزءاً أساسياً في تقوية الإيمان في قلوب بقية الصحابة، لما لها من أثر بالغ في النفوس، فكان كتاب فضائل الصحابة، وكتاب مناقب الأنصار جهدا يليق بهذا الجانب.

خامسا: تلمّس حلاوة الإيمان وإبراز دورها في تعزيز اليقين

أظهر النّبي صلى الله عليه وسلم هذا الجانب بين الصحابة وحثهم على الوصول إليه، إذ هو متعلق بالقلب الذي هو مستقر الإيمان، فوجّههم إلى تذوّق حلاوة الإيمان، وركز على تثبيت المصطلح: حلاوة الإيمان، ليكون شعاراً مختصراً يسهل حفظه، ويهمهم كثيراً تطبيقه والمداومة والحفاظ عليه. ومن الأمثلة على اهتمام النّبي صلى الله عليه وسلم بالحث على تلمس حلاوة الإيمان: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ج1/ص 20/ح 52).

[2] هو ثبات القلب وقوته والسيطرة التامة على النفس وعدم الانفعال.

[3] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (ج2/ ص 20-21).

النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[1].

وهذا الحديث يبين كيفية الشعور بحلاوة الإيمان: بأن يكون الله ورسوله على رأس هرم المحبة عنده؛ بالتوحيد والاستسلام والانقياد لله تعالى فيما أمر ونهى، ويقترن ذلك بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو حلقة الوصل بيننا وبين العظيم الجليل، ولا بد أن تكون حلقة الوصل بين البشر وربهم قوية متينة متغلغلة في شغاف القلب. فإذا صحّت البوصلة فيما سبق كان ما بعدها صحيحاً، فينجذب لكل شيء يحبه الله ويرضاه، فيحب أهلَ الإيمان ويصاحبهم، ويكره المعاصي ويرجو هداية أهلها، ويكره أن يعود في الكفر كراهيته أن يقذف في النّار؛ وهذا التعبير الفريد يصور مدى تمسك المسلم المطمئن بدينه، فلا يرضى بالتحول إلى التعاسة ولهفة البحث المستمر عن النور بعد أن أخرجه الله من الظلمات[2].

ولا شكّ أنّ من يذوق طعم الإيمان سيشتاق مراراً لأنّ يذوقه، ولن يريد الخروج من لذته، وهذا أمرٌ مشاهَد خصوصا من المسلمين الجدد، وكنت أتعجب حين أقرأ قول هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه: "وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب"[3]. وهذا العجب سببه أنّه لم يُسلم، فوقر حينها في قلبي أن هذه الحلاوة منها ما هو نظري يُعلَم من أهل التجربة، ومنها ما هو عملي يُحسّ به أهل التجارب، فهرقل أَخبَر بما عنده به علم، فلو كان من أهل التجربة الذي يحس بالحلاوة لأسلم، لهذا يقول ابن تيمية: "إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور. يعني: أنّه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة وانشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول"[4].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ج1/ص 12/ح 16).

[2] ينظر: الكردي، **حلاوة الإيمان**، (ص 354-358).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ج1/ص 9/ح 7).

[4] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (ج2/ ص 68).

ولأن حلاوة الإيمان إذا انغرست في القلب سينمو معها اليقين بصحة الاعتقاد، فإنّ البخاري ذكر في عديد من الأماكن ما يدلّ على أهميتها؛ وخصص لها باباً من كتاب الإيمان أسماه: باب حلاوة الإيمان[1]، ولشدة التركيز على أن ذوق طعم حلاوة الإيمان أمر جد مهم، ذكر البخاري عنه في أوائل الجامع، من حديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل الروم، وهم أهل كتاب، قال هرقل لأبي سفيان: "وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب"[2]. فحلاوة الإيمان من الأمور المهمة في التحصين الوقائي من الانحرافات العَقَديّة، لأنّ من ذاق حلاوة الإيمان لن يحب تذوق غيرها، فمن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ومن اغترف اعترف، ومن اعترف أدمن ما عرف.

المطلب الثاني: قاعدة تكوين العقل النّاقد

إنّ العقل الناقد هو القادر على التمييز بين الحقّ والباطل، وفحص الأقوال والإنكار وفق الضوابط الشرعية[3]. فتراه يتنقل بين الأحاديث ويدلل عليها بالترتيب أو التبويب أو الاستدلال. وحديثنا عن العقل النّاقد وفق أسس المنهج النّبوي وقاية من الانحراف العقدي، فإنّ له أدواته وخصائصه ومراحله، وسنتحدث عن أسس تكوين العقل الناقد وذلك من خلال الآتي:

أولاً: التثبت من الأخبار فلا يَقبل دعوى إلا ببرهان: وذلك ليتشكل العقل الناقد بحيث لا يمكن بعد ذلك إمرار أية شبهة قد تعرض عليه، فلا بد أن يتعلم التثبت من أي خبر، وأن لا يقبل أي دعوى إلا بدليل، وقد قال تعالى شأنه: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: 111]، فكل دعوى لا دليل عليها باطلة[4]، وقد روى أبو هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إياكم والظن؛ فإن الظّنّ أكذب الحديث"[5]، وليس المقصد هواجس القلب من الظنون أو الخاطر فإنّها لا تُملك، بل المقصد أن لا يحكم المرء على الأشياء لمجرد الظّنون، فإنّ الحكم على أقوال الناس وأفعالهم، واتخاذ إجراءات ضدهم بناءً على

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ج1/ص 12).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب، (ج1/ص 19/ح 51).

[3] ينظر: العقاد، **التفكير فريضة إسلامية**، (ص13). وينظر: الفهيد، **سماحة الإسلام في حفظ العقل**، (ص116).

[4] ينظر: مجمع البحوث الإسلامية، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (ج1/ ص173).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (ج8/ص 19/ح 6064).

الظّنّ لا اليقين يجعل من صاحبه كاذباً في أقواله وأفعاله إذ دليله منعدم مبناه الظنون، وبهذا فقد حكَم على الغيب بالظن كاذباً[1].

فلا تُقبَل الدعوى دون دليل صالح للاستدلال، ويمكن أن يشبه ذلك منظومة علماء الحديث في التثبّت، فإن كنت مدّعياً فالدّليل أو ناقلاً فالصّحة. والأمر في هذا عبّر عنه ابن القيّم على لسان شيخه ابن تيمية، فقال: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقراً للشبهات"[2].

والأصل في عقل المؤمن أن يكون عقلاً فعالاً، فلا يتشرب أيّاً من الأفكار دون محاكمة، ولا يلحق كل فكر يَفِدُ إليه بالتعظيم والتسليم والتقديس، بل لا بد عنده من تمحيص الأفكار، فيكشف منها القَيّم والصحيح ولا يبهره بريقها[3]. فالتفكير النّاقد من العقلية النّاقدة نشاط تأملي عقلي هادف يقوم على الحجج المنطقية، بهدف الوصول إلى أحكام صادقة وفق ضوابط ومعايير الشرع، حتى يتم تقويم الإدراك والنتائج ويصير التفكير إيجابياً محصناً بحق[4].

ثانياً: الحوار العقلي وإبطال الشبهات: لقد اهتم النّبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن اهتماماً بالغاً، وبخاصة في سبيل نفي الأساطير والأباطيل والشبهات، فمن ذلك أنّه لمّا رأى الناس في الجاهلية اعتادوا اللجوء للكهان والعرّافين والسحرة لحل مشكلاتهم وتوجيههم لاتخاذ القرارات، حرّم كل ذلك، واتّبع مع الناس أساليب متنوعة لتخليصهم من هذه الأباطيل، فمن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ناسٌ عن الكهان[5] فقال: ليس بشيء. فقالوا: يا رسول الله، إنّهم يحدثونا أحياناً

---

[1] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ص 1974).

[2] ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (ج1/ ص395).

[3] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 268).

[4] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص124).

[5] الكهان: هم قوم يزعمون أنهم قوم يعلمون الغيب بأمر يُلقى في أنفسهم، وقد أكذب الشرع من ادعى علم الغيب، ونهى عن تصديقهم. ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج 7/ ص153).

بشيء فيكون حقّاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحقّ يخطفها من الجنّي فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة"[1]، والمعنى المفهوم أنّ كلام الكهان ليس بشيء يعتمد عليه ولا حقيقة له، والسبب مذكور في الحديث[2]. فالحوار العقلي في الحديث بناه النّبي صلى الله عليه وسلم على حقائق فنّد بها الشبهة للصحابي بالدليل العقلي.

وقد تنبّه البخاري إلى دَور الأساطير في الشبهات والانحرافات، فجمع في كتاب الطّب في مواضع متتالية أحاديث في نقد الأساطير والشبهات المنحرفة، كذكره باب: لا صفر، ثم باب الطيرة فباب الفأل و باب لا هامة و باب الكهانة و باب السحر ثم باب لا هامة وباب لا عدوى. فمن الأمثلة على ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة. فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: فمن أعدى الأول؟"[3]. بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، أسس هذا البنيان العظيم على قواعد متينة، من اهتدى بها فقد هُدي ومن حاد عنها خاب وخسر، ففي هذا الحديث نفيٌ لخرافات كانت عند العرب في الجاهلية، وقد مرّ شرحها في الفصل الثاني من الدراسة تحت عنوان: (الانغماس في الخرافات)، والمهمّ هنا أسلوب النقاش العقلي الذي انتهجه النّبي صلى الله عليه وسلم وحاور به الأعرابي بالحجة العقلية ليصرف عنه أباطيل الجاهلية والشبهات العَقَديّة، فعقيدة الإسلام تقرّر أنّ المرض لا يُعدي بنفسه، بل لا ينتقل المرض إلا بإذن الله تعالى، وإلا فالذي سيتقرر في النّفوس والقلوب هو سيطرة الخوف على الإنسان، فأراد الإسلام تحرير المسلم من هذه العقيدة الباطلة[4].

ثالثاً: نقد الذات البنّاء: من المفارقات أنّك ترى أصحاب الانحرافات الفكرية يرى أحدهم الاعوجاج الصغير فيمن حوله، ولا يرى الاعوجاج العظيم في نفسه وفكره، فيرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب الكهانة، (ج7/ص 136/ح 5762).

[2] ينظر: ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، (ج19/ ص81).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب لا صفر، (ج7/ص 128/ح 5717).

[4] ينظر: الفقيه، **منهج التفكير في الحديث النبوي: جمعا وتصنيفا ودراسة**، (ص44).

مع ضرورة الانتباه إلى تنقية النّصوص الإسلامية من الشوائب التي لحقتها، وتبسيطها وتسهيلها على الناس، والحاجة ملحة لمثل هذا الجهد العظيم[1].

ونقد الذّات يتعدى نقد كل واحد لنفسه ومراجعته لها إلى نقد الذات بمعنى المجتمع، وللتمثيل على ذلك على الجانب الأول: ما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"[2]. وفي الحديث حثٌّ على أن يراجع كل واحد نفسه ويسارع إلى تصحيح ما يخطئ به ليتدارك الخير.

وأما على الجانب الثّاني من نقد الذات: فقد روى عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "وإنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه"[3]، فلمّا سمعت عائشة رضي الله عنها بنقل ابن عمر عن أبيه عن النّبي صلى الله عليه وسلم قالت: "إنّما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها أهلها، فقال: إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها"[4]. فلا بد من تصحيح المفاهيم كي تنضبط البوصلة، وهذا الرّد من السيدة عائشة رضي الله عنها دليل شرحه الشافعي بقوله: "قول النّبي: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها، فهو واضح لا يحتاج إلى تفسير؛ لأنّها تعذب بالكفر، وهؤلاء يبكون ولا يدرون ما هي فيه"[5]، ومع وجود خلاف بين العلماء في الجمع بين الحديثين وليس هذا محلّ سرد الخلاف، لكنّ المستفاد هنا هو مسألة النقد.

رابعاً: تعليم النّقد بالقدوة العملية: إنّ النّاظر في تحصين النّبي صلى الله عليه وسلم لعقيدة الصحابة، يجد ما فيه من حثّ لهم لأن يكونوا ناقدين، فيتقبل منهم أسئلتهم ويوظفها توظيفاً دقيقاً ليوصلهم إلى المطلوب، فمن ذلك: كانت أمّنا عائشة رضي الله عنها وأكرمَها تسأله عن كل ما يشكل عليها، فعن عائشة عن النّبي

---

[1] ينظر: أبو سليمان، **قضية المنهجية في الفكر الإسلامي**، (ص 33).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، (ج8/ص 21/ح 6077).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، (ج2/ص 84/ح 1304).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، (ج2/ص 80/ح 1289).

[5] الشافعي، **اختلاف الحديث**، (ص 163).

صلى الله عليه وسلم قال: "من نوقش الحساب عُذّب. قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: {فسوف يحاسب حسابا يسيرا}؟ قال: ذلك العرض"[1]. ومثل هذه المناقشات والاستفسارات صدرت من عدد من الصحابة لِما أشكل عليهم، رضوان الله عليهم أجمعين، فالنّبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لم يَنفِ كل ما يسمى حساباً، فالحساب يراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات ومناقشة المحاسَب بها[2]. والنّبي صلى الله عليه وسلم سمح للصحابة بأن يسألوا عما يشكل عليهم، مع علمه أنّهم لا يكذبونه، ومع أنّ عائشة رضي الله عنها هي أحب الخلق إليه إلا أنّها سألته عما أشكل عليها، وهذه إحدى ركائز العقل الناقد.

وقد كان الصّحابة فيما بينهم قليلي الاختلاف، بل إنّ اختلافهم في العادة في الفروع لا الأصول، وسبب اختلافهم إن وُجد كان لسماع كل منهم غير ما سمع الآخر، أو لفهم مختلف، والأمثلة متعددة منها ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سمعت رجلا قرأ، وسمعت النّبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها، فجئت به النّبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتُه، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا"[3].

وهذا يدلّ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريباً منهم دائماً يحصنهم قبل الشبهة، ويكون معهم قريباً منهم في حال ابتداء بوادر أي شبهة فيعالجها مباشرة. وسيكون هذا القرب هو جانب نجاح المسلم الدعوي، فإذا ابتعد عن الناس الذين يحتاجونه فلا يلومنّهم على شبهاتهم إن ثارت وتسارعت وتيرتها كالبركان.

ومما سبق تَبرُز أهمية العقل النّاقد في التحصين من الشبهات، فصاحب العقل الناقد لا ينخدع بالشبهات ولا يتشربها كالإسفنج، فتتحصن بذلك عقيدته من البدع والشبهات والانحرافات، ويواجه أيضاً بعقيدة الحصينة التطرف والغلو، وتنتشر بوجود العقل الناقد ثقافة الحوار بين الناس، فيرتفع شأن الأمّة بقوة

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، (ج8/ص 111/ح 6536).

[2] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج5/ص 228).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب، (ج4/ص 175/ح 3476).

اعتقادها وصلابة دينها، وثبات المجتمع ضد طوفان الشبهات والشهوات، وهذا ما يلمسه القارئ للسنة التي تُعد تطبيقاً عملياً لتكوين العقل الناقد وإبراز دوره في المجتمع.

المطلب الثالث: قاعدة التأصيل العلمي الشرعي

ذُكِر في الفصل السابق أنّ أول أسباب الانحرافات العقدية هو الجهل، والجهل علاجه العلم، والعلم أساسه التأصيل العلمي الشرعي، ويُقصد بذلك: استخراج الأصول والأحكام والقواعد الشرعية في التلقي والاستدلال، وإرجاع ذلك إلى أصول شرعية قوية تطمئن إليها النّفس[1]، ومجالات هذا التأصيل تستوعب كل علوم الشريعة بخاصةٍ العقيدة[2]. وحتى تؤتي هذه القاعدة أكلها فلا بد من توضيح أهم الآليات المتبعة لتكوين تأصيل علمي شرعي يكون صخرة صلبة أمام كل شبهة، وبيان ذلك كالآتي: الرجوع إلى المحكمات من القرآن والسنة، والالتزام بالقواعد الكلية، وتأصيل قواعد الحوار والجدال الفكري وفق قواعد الشرع لا الهوى.

ويظهر دور التّأصيل العلمي الشرعي من خلال حفظ المسلم من الاضطراب الفكري، وتأسيس عقلية منضبطة، ويجعل المسلم متزناً بلا إفراط ولا تفريط. يقول ابن تيمية: "وإما أن يكون الحق قد التبس عليه، وأصْل قصده الحق، لكن يصعب عليه معرفته لضعف علمه بأدلة الحق، مثل من يكون قليل العلم بالآثار النبوية الدالة على ما أخبر به من الحق، أو لضعف عقله لكونه لا يمكنه أن يفهم دقيق العلم، أو لا يفهمه إلا بعد عسر، أو قد سمع من حجج الباطل ما اعتقد موجبه وظن أنّه لا جواب عنه"[3]. فالشبهات في أصلها مردها إلى ضعف العلم أو إلى الهوى.

لقد أولى البخاري في صحيحه موضوع التأصيل الشرعي اهتماماً بالغاً، فكلّ كتابه قائم على ذلك، وبما أنّ هديه صلى الله عليه وسلم كان واضحاً في كون العلم أساساً مهماً جداً في التحصين من الانحرافات العقدية، فقد أولى البخاري هذا الباب جهداً واضحاً جداً بأن أفرد كتاباً أسماه كتاب العلم وجعله بعد كتاب

[1] ينظر: العقل، **شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية**، (ج11/ص 10).

[2] احمد السيد، **سابغات**، (ص 65).

[3] ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج7/ص 168).

الإيمان، في إشارة منه إلى أنّ العلم المفيد هو الذي أساسه الإيمان، وفي إشارة أيضاً إلى أنّ الطريق المؤدي إلى الإيمان الحق يكون عن طريق العلم. وتجده أيضاً يصرح في كتاب العلم بشيء مهم جميل، فترجم بما يأتي: "باب الاغتباط في العلم والحكمة، وقال عمر: تفقهوا قبل أن تُسَوّدوا"[1]، وذِكره قول عمر هنا مهم جدا في الدلالة على المطلوب، إذ هو يؤصل لفكرة العلم والفقه والتأصيل العلمي الشرعي قبل أن يأتي الوقت الذي يحتاج الناس إلى علمك، وقبل أن تطمح إلى التصدر للناس. ثم استدل على الترجمة بحديث: قال النّبي صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[2]. وكتابه مليء باللمحات الصريحة في فضل العلم وضرورته ونبذ الجهل وأهمية ذلك في التحصين.

وللحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم هدي واضح في هذه المسألة، وهذا الهدي يلخص كل ما سبق ذكره في هذا الباب، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يزَلْ منذ بعثته إلى وفاته يعلّم الصحابة ويوجههم إلى الخير ويحصّنهم دائماً، ولا يترك أحد عناصر المجتمع إلا وأدخل العلمَ قلبَه، وعمل على تأصيل العلم الشرعي في عقله، وبما أنّ هذا كان طيلة حياته صلى الله عليه وسلم، فإن الأمثلة على ذلك كثيرة على أن تحصى، ومنها على سبيل المثال:

أولاً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: "قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم. فقالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألون، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا"[3]. يقول القاضي عياض عن هذا الحديث: " كلامه في الأجوبة الثلاث أنّ الكرم كله – عاماً وخاصاً، مجملاً ومعيناً – إنّما هو بالدين من التقوى والنبوة والأعراق فيها والإسلام والفقه"[4]. فحثّهم النّبي صلى الله عليه وسلم على التفقه والعلم في مواطن متعددة؛ إذ هو يَعلم أنّ الجهل أساس الضلالات، ولتحصينهم من

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (ج1/ص 25).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، (ج1/ص 25/ ح 73).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلا}، (ج4/ص 140/ح 3353).

[4] القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (7/ ص 362).

الضلالات والشبهات فعليه بتخليصهم من الجهل، وهو في هذا الحديث يُجَمّل التفقه والتعلم والتأصيل الشرعي، ويبين أنّه مصدر كل فخر، ولا فخر لشيء إلا أن يكون منوطاً به.

ثانياً: ما رواه معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النّبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[1]. أي يجعله عالماً بالأحكام الشرعية فاهماً للكتاب والسنة، فيشمل ذلك الفقه والأصول والعقيدة وغيرها من علوم التأصيل الشرعي، وهذا يدلّ على أنّ العلم النافع علامة على سعادة العبد، فهو يقود إلى خشية الله تعالى وطاعته وتقواه[2]. وفي الحديث دليل على أن المسلم يحرص على تعلم العلم المقتضي للعمل، فحامل العلم دون عمل ليس بفقيه[3]، وقال في الفتح: "ومفهوم الحديث أنّ من لم يتفقه في الدين – أي: يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع – فقد حرم الخير"[4].

هذا التأصيل الشرعي هو ما سيكون بمثابة الوسيلة الأهم للتخلص من الجهل بمعنييه اللذين هما: الجهل ضد العلم واتباع الهوى، وقد فهم نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم أنّ من عادة البشر: تقديس الأنبياء والصالحين، فغرس في صحابته محبته، فصاروا يحبونه أكثر من أنفسهم ومن كل ما يملكون، وغرس مع هذه المحبة إيماناً عميقاً لا يجعلهم يرفعونه إلى مقام العبودية، ففي أكثر من موضع تجده صلى الله عليه وسلم يحذرهم ويحذر مَن بعدَهم من الشرك، ويحذرنا من تقديسه ورفعه إلى مقام العبادة فالعبادة لله وحده، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: "لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة[5] له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا[6]. فتَشَرَّب الصحابة الحب على الوجه السليم له

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (ج1/ص 25/ح 71).

[2] ينظر: الفوزان، **منحة العلام في شرح بلوغ المرام**، (ج10/ ص324–325).

[3] ينظر: اللهيميد، **شرح بلوغ المرام بطريقة سؤال وجواب**، (ج4/ص682).

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج1/ ص 165).

[5] الخميصة: ملاءة من صوف أَو خَز، معلَّمة، فإن لم تكن معلَّمة فَلَيْسَتْ بخميصة، وسميت لرقتها ولينها وصغر حجمها إذا طويت. ينظر: الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، (ج2/ ص167).

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب، (ج1/ص 95/ح 435).

صلى الله عليه وسلم، وكأن النّبي صلى الله عليه وسلم علم أنّه مرتحل ولن ينجو من هذا المرض النازل به، فخاف أن يعظّم الناس قبره كما فعل السابقون بأنبيائهم، فبادر إلى التحذير من ذلك وذمَّه وشدد عليه[1]. وهذا يُعَدّ تأصيلاً منه صلى الله عليه وسلم لحماية عقيدة المسلمين من الشبهات والانحرافات في العبودية لغير الله تعالى، فعَلّمهم أن الشيطان يتخذ من الصالحين والأنبياء سبيلاً لإدخال الانحراف في العبودية لغير الله تعالى.

ثانياً: ما رواه عمر بن الخطاب عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله"[2]. حيث يؤصل النّبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنّه عبد لله ورسول له، ويعلّم الصحابة أنْ لا يرفعوه عن هذه المرتبة خوفاً على عقيدتهم من الانحراف، لئلا يطرأ عليهم ما طرأ على من كان قبلهم فيقولوا فيه الباطل، حتى أنّه صلى الله عليه وسلم يحُثّهم على أن لا يبالغوا في مدحه، تواضعاً منه واحتياطاً لحفظ دين المسلمين[3].

المطلب الرابع: قاعدة تحديد مصادر التلقي والمعرفة، وتجلية موقف الإسلام منها

ذُكر سابقاً[4] أنّ عدم معرفة حدود العقل ومجالاته سبب من أسباب الانحرافات العقدية الذاتية، وذكر أنّ الأسباب المنهجية العلمية التي تسبب الانحراف العقدي تنطوي على ضعف المنهجية في التلقي وفي الاستدلال، وأساسهما: العقل والنّقل والحس والعاطفة. وإنّ تحديد العلاقة بين العقل والنّقل والحسّ والعاطفة كونها مصادر للمعرفة، وتحديد مصادر التلقي للعلم الشرعي بأنّها: الكتاب والسنة، يورث القلب حصانة وقائية من الانسياق وراء الشبهات، فإنّ من منابع الشّبهات: الإفراط أو التفريط في العقل والقلب، وإذا كان التسليم في النهاية للنص الشرعي الصحيح فإن صاحب هذا المنهج السليم سيسلّم، إذ هو يعرف أنّ للحسّ

[1] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج1/ ص 532).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، (ج4/ص 167/ح 3445).

[3] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص 1561).

[4] اختصر الباحث كثيرا من الحديث في شأن مصادر المعرفة في التلقي والاستدلال لأنه سبق الحديث فيها في الفصل الثاني، فجاء التفصيل هنا فيما له علاقة بموضوع المبحث.

حدوداً وأنه ليس المصدر الوحيد للمعرفة، فهناك الوحي وهو الخبر الصادق المعصوم عن الخطأ[1]، أما من أفرط أو فرّط في حدود العقل أو القلب وجعلها حاكمة على النّصوص فقد ضلّ وأضلّ.

وهذا يعني أنّ الخلط في مصادر المعرفة يؤدي إلى الانحراف العقدي، كالاعتماد على الفلسفة أو التقليد الأعمى، أو الأخبار الموضوعة، أو العلم التجريبي وحده، أو العقل وحده[2]، لذا فلا بد من تحديد مصادر المعرفة المعتبرة في الإسلام، وهذا يؤدي إلى سلامة الاعتقاد والسلوك الشرعيين لأنّ مصدرهما رباني، وتفنيد الشبهات التي تثار حول جوهر المصادر، إضافة إلى حماية المسلم من الوقوع في الشرك أو الغلو في الدين أو التعصب. ومن الضروري أن يدرِك المسلم أن التسليم للنص الشرعي قاعدة أساسية يقتضيها الدليل والمنطق العقلي الصحيح، ولما كانت أُمَّات الإشكالات والانحرافات الموجودة عند المسلمين قد نشأت بسبب سوء الفهم والتقدير أو اتّباع الهوى في مصادر المعرفة: من ناحية الدليل أو الاستدلال[3]، فقد نبعت أهمية تشكيل المنهجية الصحيحة لفهم الكتاب والسنة، لأنها تقرّب الإنسان لأن يصيب مراد الله، وتحصنه من الوقوع في الشبهة والانحراف[4].

وقد خصّص البخاري بمنهجيته الفريدة ما يثلج الصدر بهذا الشأن، فقد بنى ابتداءً كل كتابه على هذا الجانب، وركّز في كتب من الجامع على إبراز أهميته، فكتاب القدر، وكتاب الفتن، وكتاب أخبار الآحاد، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكتاب التوحيد، كلها لمن يقرأها تركز على أهمية تحديد مصادر التلقي والمعرفة، وموقف الإسلام منها، فقال في كتاب الاعتصام: "باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس {ولا تقف} لا تقل {ما ليس لك به علم}"[5]، ثم أخرج أحاديث منها: قال سهل بن حنيف: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم"[6].

---

[1] ينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص66). وينظر: الشريفين، **الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي**، (ص195-200).

[2] ينظر: الهامي، **رجوع الدعاة إلى الله إلى مصادر التلقي الأصلية وأثرها في المواجهة الفكرية**، (ص 428-431).

[3] كأن يستدل بما ليس بدليل.

[4] ينظر: ابن قيم الجوزية، **الروح**، (ص63).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، (ج9/ص 100).

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، (ج9/ص 100/ ح 7308).

وهذه القضية اهتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتماماً بالغاً في تربيته الصحابة فهو الخبير بطبائع البشر، وكان ينتهز كل فرصة ليبين لهم أنّ النّصّ مقدم على العقل ما دام اليقين حاصلاً بثبوت النّص، ومن أمثلة ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنّ رجلاً أتى النّبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "أخي يشتكي بطنه. فقال: اسقه عسلاً. ثم أتى الثانية فقال: اسقه عسلاً. ثم أتاه، فقال: فعلت. فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً. فسقاه فبرأ"[1]. والنّبي صلى الله عليه وسلم هنا يعلّم هذا الرجل والأمة من بعده أن النّصّ الذي صدر منه لا ينبغي أن يكذبه الحسّ والمشاهدة ولا العقل، فإن حصل ذلك فاتّهم عقلك وحواسك ولا تتهم النّصّ القاطع الذي تأكدت من ثبوته، ولا يقال هنا إنّ الحديث من باب الطّب فقط وليس من باب الدليل الشرعي، لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل: "صدق الله وكذب بطن أخيك"، فدلّ ذلك على كونه وحياً من عند الله تعالى[2].

وفي مثال آخر يبيّن أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمنع الصحابة من التفكير المنهجي السليم في ظلّ النّصوص: ما رواه عبد الله بن عمر إذ قال: "أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق، فأخذها فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ابتع هذه تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هذه لباس من لا خلاق له. فلبث عمر ما شاء الله أن يلبث، ثم أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة ديباج، فأقبل بها عمر، فأتى بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنك قلت: إنما هذه لباس من لا خلاق له، وأرسلتَ إلي بهذه الجبة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تبيعها أو تصيب بها حاجتك"[3]. فعمر هنا عنده نص سابق من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كانت مراجعته له فهو لم يهمل عقله، لكنّه لم يجعل فهمه حاكماً على النّصّ ولم يعط عقله أكثر من حدوده، وهو في ذات الوقت مع محبته لحبيبه صلى الله عليه وسلم لم يعط عاطفته أكثر مما ينبغي، ولا جعل الحس الذي رآه يسيطر على كيانه، فهو في بادئ الأمر قد يَفهم تناقضاً لِمَا أحسه معاينةً من قول

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، (ج7/ص 123/ ح 5684).

[2] ينظر: أبو الوليد الباجي، **المنتقى شرح الموطأ**، (ج7/ ص 262).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العيدين، باب في العيدين والتجمل فيه، (ج2/ص 16/ ح 948).

رسول الله وفعله صلى الله عليه وسلم، هذا المنهج النبوي الأصيل مثال يُضرب على فهم طبائع الأمور، وفهم جزئياتها وحيثياتها ومآلاتها، صلى الله عليه وسلم.

المطلب الخامس: قاعدة تجنب التعرض للشبهات من غير المختص

إنّ دخول غير المختص إلى معترك الشبهات أمر خطير إذ يمكن أن يرتدّ ذلك سلباً عليه، خاصّة إذا كانت الشبهة الملقاة أمامه من الأمور التي لا يملك تحصيناً معرفياً ضدها ولا تأصيلاً شرعياً حولها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} إلى قوله: {أولو الألباب}. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم"[1]. ولذا فإنّ الذي يتصدى للشبهات هم أهل العلم بها لأنّ غيرهم قد يتشكك في دينه بسبب تصديه لها، ومن المذموم أن يَعرِض المرء نفسه على الفتن لأنّه سيصير بعدها ناقلاً للشبهة دون تمحيص ولا فهم لأبعاد المسائل، فينشر بذلك الشبهات ويصير الناس بسببه حيارى[2].

ومن التحذير النبوي أيضاً من التعرض للشبهات وأهلها، ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا، كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من مراه"[3].

ومعناه أنّ الفتن تلتصق بعرض القلوب كما يلتصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به، وقوله عَوداً عَوداً بفتح العين بمعنى تعاد وتُكرر عليه مرة تلو أخرى، أما بضم عين عُوداً فيكون المعنى: ظهور

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {منه آيات محكمات}، (ج6/ص 33/ح 4547).

[2] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج 16/ ص 416).

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين، (ج1/ ص 128/ ح144).

الفتن وعرضها فتنة بعد أخرى كما ينسج الحصير عُوداً عُوداً، فأي قلب أُشرِبها فهو كمن حلّت فيه الشبهة محل الشراب حتى تُنكت فيه النكتة السوداء والنكتة النقطة، فتصبح القلوب حينئذ على قلبين: أبيض من شدة تعلق الإيمان به وعقده فيه كمثل الصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يَعلق به شيء، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخياً، ومعناه: أبيض في سواد وهو مائل منكوس، فتكون من صفاته أنّه انقلب من الحق ومال إلى الفتنة وانتكس حتى لا يَعلق به خير ولا حكمة[1]. ولهذا فإنّ التعرض للشبهات يوقع المرء في الفتن، ومع تكرار التعرض لها فإنها قد تَقَرّ في القلب فيتشربها وينتكس لضعف دينه وقلّة تحصيله العلمي وتأصيله الشرعي، وفي هذه الحالة فطلب النّجاة لغير المختص أن يفرّ من الفتن والشبهات كي لا تَعلَق به فالوقاية خير من العلاج[2].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام"[3]. ولهذا فإنّ العصمة تُنزع ممن يُصغي سمعه لصاحب البدعة[4]، فالأولى عدم مخالطتهم تجنبا للانغماس في شبهاتهم وانحرافاتهم[5]، وهذا لا يعدّ جبنا أو هزيمة، بل هو للسلامة الدينية كي لا يعلق شيء من هذه الشبهات في القلب، فالمسلم لا يَجبُن ولكنّه أيضاً لا يغترّ بنفسه[6]، والمخاطَب بهذا النهي عن التصدي للشبهات هو غير المختص، وليس النهي عن معرفة الردود على أبرز الشبهات وما يتعلق بذلك، بل إن هذا أمر مطلوب، لكن المقصود النهي عن تقصي أخبار الشبهات وأهلها وقراءة كتبهم، والاستماع إليهم، من باب الفضول أو الثقافة العامة[7]، فإنّ القلوب ضعيفة والشبه خطافة[8]، والضابط في المسألة هو ما توصل إليه المسلم من العلم، فكلٌّ بحسب علمه ودينه، فمن يعلم حول مسألة ما، جاز له التصدي للشبهات المثارة حولها، وهكذا، وهنا يأتي دور

---

[1] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج1/ ص452-454).

[2] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص26-32).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، فضل من استبرأ لدينه، (ج1/ص 20/ح 52).

[4] ينظر: اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، (ج1/ص153).

[5] ينظر: اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، (ج1/ص151).

[6] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 265).

[7] ينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص67).

[8] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج6/ ص 641).

تفعيل العقل الناقد، فلا يتشرب المسلم الشبهات كالإسفنج، بل يفكك ما يُلقى إليه من الشبهات ويحللها لينظر في تبعاتها الفكرية[1].

وقد كان اهتمام النّبي صلى الله عليه وسلم بالغاً في أن يجنّب صحابته كل ما قد يزرع بذور الشكّ والريبة في قلوبهم، فكان يتحين الفرص لتطهير قلوبهم وتخليتها من الشبهات، مع حثه إياهم على تجنب التعرض للفتن والشبهات، ومن أمثلة ذلك ما رواه النعمان بن بشير أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكل ملك حمى، ألا إنّ حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[2]. والمعنى أنّ من المجتهدين أهل الاختصاص من يعلم بحقيقة المشبهات وهم قلة بين الناس، فالشبهات على هذا تكون في حق غيرهم، وقد تكون في حقهم إذا لم يظهر لم ترجيح أحد الأدلة، فمن كان منهم حذراً وابتعد عما لا يعلم فقد برِئ دينه من الطعن فيه، ومن لم يتوَقّ الشبهة عرّض دينه للطعن فيه[3]. فانظر كيف حثهم صلى الله عليه وسلم على تجنب الشبهات وأماكنها، وكيف أثار فيهم حفيظة البعد عنها كي لا تسبب الأذى للقلب الذي إذا صلح صلح الدين كله، وهو مع هذا كله يحثهم على التعلّم والتأصيل الشرعي، كي يكونوا من القليل الذين يعلمون الحق في الشبهات.

ومن الأمثلة أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[4]، وهذا واضح في محاصرة الوساوس الداخلية وصرف التفكير في الشبهات الملقاة على مسمعك، وإذا كان صرف ما يلقيه الشيطان الجِنّي في الخاطر ضرورة، فإنّ صرف شبهات شياطين الإنس كذلك، وإذا كان تجنب شيطان الجن ضرورة، فتجنب شياطين الإنس كذلك، ومصداق هذا ما قاله الخطابي من فهمه

---

[1] ينظر: خياط، **منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة**، (ص 268).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ج1/ص 20/ح 52).

[3] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج1/ ص 127).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ ح 3267).

للحديث حيث قال: ومعنى الحديث ترك الفِكر في الخواطر القلبية من الوساوس الشيطانية، ومنع قبولها واللجوء إلى الله تعالى لصدها وردها، وترك المحاجة والمناظرة في مثلها ما أمكن، فإنّ من يناظرك من البشر لا يمكنه أن يغالطك في البراهين الدامغة إن أصبت الحجة، لكنّ وساوس الشيطان كلما ألجمتَه بشيء دخل لك مدخلاً غيره[1].

وإذا كان الذي يلقي هذه الشبهة (من خلق الله؟) أحد المحاورين من البشر فإنّ فيها مغالطة منطقية، ففيها خلل في أركانها، ولذلك أيضاً لم يحلّل النّبي صلى الله عليه وسلم هذه الشبهة للصحابة، فالسؤال بحد ذاته خاطئ ولا معنى له، ومن الطبيعي أن يعترض صاحب الشبهة على أي جواب تجيبه عليها به؛ لأنّه ليس لها جواب صحيح إلا أن يُقال مثل هذا: الله لا خالق له لأنه ليس بمخلوق، والمغالطة المنطقية في السؤال تشبه السؤال الذي يقال فيه: كم طول الضلع الرابع للمثلث؟ أو أن يقال: إذا ولد الذكر بنتا فما اسمها؟ فالسؤال الأصلي هو: من خَلق اللهَ الخالقَ الذي لا خالق له؟ فجميع هذه الأسئلة لا إجابة عليها لخلل في السؤال تسبب في عجز عن الإجابة عنه[2].

وقد تنبه البخاري للمنهج النبوي في تقرير قاعدة عدم التعرض للفتن من غير المختص، فبوّب في كتاب الإيمان عن تجنب الشبهات في باب: من الدين الفرار من الفتن[3]، وذلك بعد أن ذكر أبواب حلاوة الإيمان، في إشارة إلى أنّ من ذاق حلاوة الإيمان فرّ من الفتن كي لا تجعل إيمانه مراً علقماً، وفي إشارة إلى أنّ الإيمان الحقيقي يعصم صاحبه من الفتن، ثم في أواخر كتاب الإيمان بوب بـ: باب فضل من استبرأ لدينه[4]، وأورد فيه حديث: من اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، في إشارة واضحة إلى أن من الإيمان الابتعاد عن الشبهات وأماكنها وأصحابها، ودلالته واضحة على المقصود، وهو يشير أيضاً إلى أنّ من حافظ على حلاوة الإيمان والفرار من الفتن فقد استبرأ لدينه وعرضه، والعصمة الحقيقية للمسلم تكون

---

[1] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص 1512).

[2] ينظر: العجيري، **شموع النهار – إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي**، (ص 150–152).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، (ج1/ص 13).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ج1/ص 19).

بالوقاية من الشبهات وأماكنها. ثم أتبع الكتاب بكتاب العلم وكأنّه يشير إلى أنّ أحد أسباب بقاء الدين على صفائه والقلب على نقائه يكون بالعلم، والجهل هو مدخل الشياطين الإنسية والجنية للقلوب.

أفرد البخاري كتاباً في الصحيح أسماه كتاب الفتن، نثر فيه أحاديث كثيرة تدل على ضرورة اجتناب الفتن، ومن ذلك أنّ أول باب عنده في هذا الكتاب: باب ما جاء في قول الله تعالى {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} وما كان النّبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الفتن[1]، وذكر أبواباً متعددة في ذكر الفتن والتحذير منها، ثم بعد كتاب الفتن ذكر كتاب الأحكام، وأول باب فيه : باب قول الله تعالى {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}[2]، في إشارة إلى أنّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر تنجي من الفتن وتخلّص من الشبهات، وذكر في هذا الكتاب كثيراً من الأبواب والأحاديث عن الإمارة والقضاء، في إشارة أن لهما دورا مهما في القضاء على الفتن ورد الشبهات وتحصين المجتمع في عقيدته.

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، (ج9/ص 46).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} ، (ج9/ص 61).

المبحث الثاني: القواعد النبوية العلاجية في التحصين من الانحراف العقديّ

تكثر في أيامنا المؤسسات والدول التي تقوم بمحاربة المدّ الإسلامي وتوجيه سهام النّقد الهدّام إليه، بل والعمل على استئصاله من الوجود، مستخدمين في ذلك كل الوسائل المتاحة، وازدادت حدّة العداء باستخدامهم أذرع العولمة والتكنولوجيا، لذا أصبحت الشبهات تمور في المجتمع الإسلامي أفراداً وجماعات ودُوَلاً مورا! وفي هذا السياق يأتي دور القواعد الواجب اتّباعها عند وقوع الشبهات، ولذلك تحتم أن يكون هناك منهج علاجي، يعالج الشبهات عند حدوثها، ومما يعين المسلم كي يبقى على التحصين عند مواجهة الشبهات، وهذه القواعد العلاجية يراعيها المرء عند الشبهات قبل أن يتأثر بها أو عند التأثر بها. وتتمثل القواعد بالآتي:

المطلب الأول: قاعدة توظيف العقل الناقد في تفنيد الشبهات:

ذكَرَت الدراسة أنّ من القواعد الوقائية: تكوين العقل النّاقد، وهنا عند تلقي الشبهات يأتي دوره في تفنيدها وبيان عوارها وفق منهجية قائمة على التحقيق والنّقد والتوثيق، فإنّ الشبهات ترتكز على نوعين من الأدلة: أدلة لا تصح، أو معانٍ لا تصح من أدلة تصح، وإنّ بعض الشبهات تكون من غير دليل، وهذه يجب ردّها دون الالتفات إليها، ومن أمثلة الأخيرة التي من غير دليل قول صاحب الشبهة: الله غير موجود، فلا دليل على شبهته، ويمكن أن يُردّ عليه بأن الله موجود، واحدة بواحدة، وبهذا يتبين أنّ أول ما يجب أن يُسأل عنه صاحب الشبهة: أين دليلك على ما تقول؟[1]. فهذه القاعدة إذن قاعدة تتقاطع فيها القواعد الوقائية والعلاجية، ففي الجانب الوقائي تكون حمايةً من الوقوع في الشبهات، أما هنا في الجانب العلاجي فإنها تهدف إلى إصلاح الانحراف من خلال العقل الناقد والتفكير المنهجي.

إنّ من الآيات التي أصّلت العقل الناقد والتفكير المنهجي العلمي في تلقي المعلومات، قوله تعالى ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: 6]. "والمراد من التبيّن التعرف والتفحص، ومن

[1] ينظر: أحمد السيد، **التفكير الناقد للجيل الصاعد**، (ص18).

التثبت الإفادة وعدم العجلة، والتبصر بالأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر"[1]. وهذه المنهجية العلمية في تلقي الأخبار وتمحيصها، ورد السّقيم منها والأخذ بما يصحّ، وربط ما يصح مع بقية النّصوص، هي منهجية أهل الحديث في تلقي الأخبار وَردّها، وهي منهجية ثريّة صلبة، حيث استطاعوا التمييز بين كل الروايات والرواة وأحوالهم، فتطبيق هذه المنهجية يجعل في الذهن ملكة تمحيص المقالات بشكل دقيق وفعّال[2].

ومن الأمثلة[3] على كون هذه القاعدة علاجية ما ورد في حادثة الإفك من روايات بعضها طويل وبعضها مختصر، ومن المختصر ما روته عائشة رضي الله عنها أنها: "حين قال لها أهلُ الإفْك، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلِيّاً وأسامة حين اسْتَلْبَثَ الوحي، يَسْتَأْمِرُهُمَا في فِراق أهله، فأما أسامة فقال: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وقالت بريرة: إنْ رأيتُ عليها أمراً أَغْمِصه[4] أكثر من أنّها جارية حديثة السنّ تنام عن عجين أهلها فتأتي الدَّاجِن فتأكله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن يعذُرنا من رجل بلَغَنِي أَذَاهُ في أهل بيتي، فوالله ما علمتُ مِن أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً"[5]. وفي الحديث يظهر تثبّت النّبي صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي وصل إليه قبل إصدار الحكم، وهذا أمر علاجي في الحادثة بعد صدور الشائعة، فجاء منهجه في ذلك: حسن الظّنّ بعائشة رضي الله عنها وبالصحابي المتهم، والتثبت من الأمر بسؤال معارف المتهمين بالحادثة وطلب الدليل، مع عدم السماع لما يقوله أهل الإفك[6]. وهو بهذا يعلّمنا أن المنهجية في التعامل مع الشبهات التثبت، ونقد كل ما لا يتلاءم مع حقيقة الأمور، وليعلم حقيقة الأمور فعليه التثبت من كافة جوانب المسألة، وإلا كان متسرعا في اتخاذ القرار، وقد يقع ضحية للشبهة فيدخل في الانحراف لتسرعه.

---

[1] القنّوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، (ج13/ ص136).

[2] ينظر: العميري **تكوين العقلية الناقدة**، فيديو يوتيوب.

[3] ومن الأحاديث النبوية التي أصّل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم التثبت في الأمور قبل الحكم عليها: قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، في الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد حاطب أن يُسرّب بعض أسرار جيش المسلمين في فتح مكة إلى قريش فأوحى الله بالخبر للنبي صلى الله عليه وسلم، "فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا حاطب، قال: لا تعجل علي يا رسول الله". البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء}، (ج6/ص 149/ ح 4890). فلما وقعت الحادثة لم يستعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكم، بل تثبت من حاطب ليسمع منه صحة الخبر والدافع من ورائه، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يتثبت مع أن الوحي يتنزل عليه بالخبر من السماء.

[4] أغمصه عليها: أعيبه. ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (المقدمة/ ص 163).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحدا فقال لا نعلم إلا خيرا أو قال: ما علمت إلا خيرا، (ج8/ص 168/ ح 2637).

[6] ينظر: إسماعيل، **التثبت من الأخبار وعدم الجري وراء الشائعات**، (ص42-43).

وهذا التطبيق العملي من السنّة النبوية لقاعدة النّقد للشبهات، تعني أنّ الذي تَعرِض الشبهة له فعليه أن يتبع معها منهجاً محدداً، فأولاً: عليه أن ينظر إن كان الدليل موجوداً أم لا، وثانياً: عليه أن ينظر في صحة الدليل. وثالثاً: عليه أن ينظر في صحة الاستدلال بالدليل، والاستدلال هو طريقة استعمال الدليل للوصول إلى النتيجة. ورابعا: عليه أن ينظر إلى نتيجة الاستدلال بالدليل. والواجب على صاحب العقل النّاقد أن ينقد كل جزئية من هذه المراحل، فلا يُسلّم دون أن يتأكد من صحة الدليل والاستدلال والنتيجة، فإن لم يصِحّ الدليل أو كان الاستدلال خاطئاً أو النتيجة غير صحيحة فيتم رفض الفكرة المعروضة[1].

المطلب الثاني: قاعدة سؤال أهل العلم كل في اختصاصه:

جاء سؤال أهل الاختصاص عند نزول الحادثات من القرآن الكريم في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: 83]، وفي هذه الآية تأديب للعباد على فعلهم غير اللائق، فالواجب عليهم إذا طرأ عيهم أمر مهم يتعلق بالأمن أو الخوف أن لا يتعجلوا في نشره، بل عليهم أن يتثبتوا ابتداءً وأن يردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، فإن رأوا في إذاعته مصلحة للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك وإلا لم يذيعوه[2]. فالشبهات والحوادث التي تنزل بالمؤمنين عليهم بالتثبت منها، وجزء من التثبت: سؤال أهل الاختصاص عند الجهل بشبهة الحادثة، فهم من يقيّمون الأمور بميزان الشرع[3]، فينقدون الشبهة من أصولها وفروعها ويردّون عليها، وبهذا يحافظون على الأمن الفكري للمجتمع المسلم، وهذا جزء علاجي في معالجة الشبهات مما يؤدي إلى التحصين العقدي.

ومن الأحاديث النّبوية التي أصّل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم التثبت في الأمور برد القول فيها إلى أهل الاختصاص قبل الحكم عليها: ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم

[1] ينظر: أحمد السيد، **التفكير الناقد للجيل الصاعد**، (ص 19-21).

[2] ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص 190).

[3] ينظر: أبو عمير، **المنهج الشرعي في الاستبانة من الأخبار ونقلها**، (ص 298).

ذهب يعود سعد بن عبادة قبل غزوة بدر، "حتى مرّ في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيَتِ المجلسَ عَجاجة الدابة، خَمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغَبّروا علينا، فسلّم عليهم النّبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبَيّ بن سلول: أيها المرء لا أحسَنَ مِن هذا، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمَن جاءك منا فاقصص عليه. قال ابن رواحة: اِغْشَنَا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى همّوا أن يتواثبوا، فلم يَزَل النّبي صلى الله عليه وسلم يُخَفّضهم، ثم رَكِب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أيْ سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أُبَيّ، قال: كذا وكذا، قال: اُعفُ عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البَحْرَة على أن يُتَوِّجُوه فيُعَصِّبُونَه بِالعِصَابَة، فلما رَدَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك شَرِقَ بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النّبي صلى الله عليه وسلم"[1].

فزعيم المنافقين ألقى شبهة يُفهم منها تكذيبه للنبي صلى الله عليه وسلم، فاستشار صلى الله عليه وسلم سعداً رضي الله عنه في ما قال ابن سلول مع أذية ابن سلول له، وسعد من أهل الاختصاص في ذلك فهو من سادات الأنصار، وبهذا يتأصل عندنا معشر المسلمين أنّ سؤال أهل الاختصاص يعين على الحُكم الأنسب بإذن الله، وهذا يقاس عليه كل شيء قد يضطرب في فهمه الإنسان، والشبهات من هذا القبيل فإنها لَمَّا تَعرِض للمسلم فعليه التوجه للمختص إذ هو الأقدر على صرفها، ولذلك يقول النّبي صلى الله عليه وسلم عن فضل العلماء وأنهم حماة الدين والعقيدة في الحديث الذي رواه عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالما، اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"[2].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، (ج8/ص 56/ ح 6254). العجاجة: الغبار. خَمّر: غطى. اغشنا: ائتنا. البحرة: البلدة. يتوجوه: يجعلوه ملكا. شرق: اغتص به. ينظر: الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج22/ 92).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (ج1/ص 31/ ح 100).

فإذا فقد الناس أهل الاختصاص لم يبق لهم إلا الجهال الذين يَضلون ويُضلون لأنهم يهرفون بما لا علم لهم به، فدلّ ذلك على أنّ غير الضلال وهو السداد في سؤال أهل العلم الذين يعلمون أصول الكتاب والسنة، وعندهم ملكات الاجتهاد والتمييز. وفي هذا الشأن قال ابن تيمية: "وهذا بخلاف المجتهد الذي اتقى الله ما استطاع، وابتغى طلب العلم بحسب الإمكان، وتكلم ابتغاء وجه الله، وعلم رجحان دليل على دليل، فقال بموجب الراجح"[1].

تُحجِم شريحة من الناس عن سؤال أهل الاختصاص، ولهذا أسباب متعددة؛ منها: وجود خلل عند من تَعرِض له الشبهة، كأن يكون فاقداً الثقة بأهل الاختصاص. أو لوجود خلل عند أهل الاختصاص، إمّا لعدم تمكنهم من العلم، أو لعدم معايشتهم لقضايا الأمة، ولكن ذلك لا يعني فراغ المجتمع من أهل الاختصاص.

ثم إنّ كثيراً من الشبهات التي تقع في نفس المتلقي تكون في بدايتها إشكالية لم يجد المتلقي عليها إجابة تشفي غليله، أي: لجهلٍ في جزئية ما، فما يكون منه إلا أن يخفيها في نفسه، أو يبادر بالبحث عن إجابة مقنعة عنها، أو يسأل أهل الاختصاص عنها. وأقصر طريق لردها يكون بسؤال المختص، لأنّ البحث عنها من المتلقي قد يزيد الطين بلة؛ لأنّه غالباً سيبحث عنها على الانترنت، أو في كتب غير مختصة في الرد على الشبهات، أو مما يدسّ السّم في العسل، وحتى لو كانت من الكتب الموثوقة فقد يفهمها القارئ على غير مراد الكاتب، فما يكون منه حينها إلا أن يغوص أكثر في الشبهة حتى يغرق فيها، وقد قال ابن عبد البر: "وهذا يلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئا من دينه أن يسأل عنه"[2].

وقد علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنّ من يشتبه عليه شيء من الفهم فليسأل من أهل العلم المختصين من يطمئنّ له قلبه، فمن ذلك: ما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه أن امرأة أتت النّبي صلى

[1] ابن تيمية، **الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)**، (ص 107).

[2] ابن عبد البر، **التمهيد**، (ج5/ ص 659).

الله عليه وسلم فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه. قالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنّها تريد الموت. قال: "إن لم تجديني فأتي أبا بكر"[1].

وحتى يجعل النّبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي محصناً في الاعتقاد وبقية جوانب الدين، فقد ربَّى الصحابة كي يكونوا أعلاماً ومنارات للهدى، فأسّس كل جماعة منهم في علم من العلوم وجعلهم يتخصّصون في ما يناسبهم، فصاروا مراجع للأمة من بعده صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك: ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي، ومعاذ بن جبل"[2]. ومن ذلك أيضاً ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "دخَلَت عليّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتا لي: إنّ أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتُهما ولم أُنعِم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علي النّبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله، إنّ عجوزين وذكرتُ له، فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها، فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر"[3]. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: "يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك"[4]. فهذه شبهة عرضت للصحابة فسألوه عنها وهو أهل الاختصاص صلى الله عليه وسلم فهو أعلمُ بربه تعالى، فأجاب عن الشبهة بأسلوب يتناسب مع السائل[5].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (ج9/ص 81/ح 7220).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه، (ج5/ص 36/ح 3806).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، (ج8/ص 78/ح 6366).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، قول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة}، (ج9/ص 128/ح 7437).

[5] ينظر: ابن جبرين، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ج19/ص13).

المطلب الثالث: قاعدة الرجوع إلى الدراسات المتعلقة بتفنيد الشبهات والرد عليها

كثيرة هي الشبهات التي لا تزال تتكرر مرة بعد أخرى، كالشبهات في أبواب القدر[1]، وباب حجّية السنة، فأحياناً تكون الشبهة نفسها متلبسة بغطاء آخر، وأحياناً تكون الشبهة نفسها بنفس الغطاء، بل وحتى بنفس الكلمات التي يسوقها صاحب الشبهة. وبما أن الشبهة قد تتكرر كثيراً فإنّ الإجابات عنها موجودة مسطورة في الكتب ومحفوظة عند أهل العلم، لذا فإنّ سؤال أهل العلم عنها سيزيح الشبهة، وأمّا من لم يتمكن من سؤال أهل الاختصاص، فإنّ الرجوع إلى الكتب المختصة قد يجيبه عن تلك الشبهات التي يتردد صداها في مسمعه، وفي واقعنا المعاصر فإنّ حلول الإشكاليات أكثر مما كانت عليه في الأزمنة السابقة، فمن السهل اليوم الرجوع إلى الكتب سيما الإلكترونية.

يعدّ القرآن الكريم والسنة النبوية الصّحيحة من أهم المصادر التي أصلت لنا المنهجية العلمية في إيراد الشبهات وطرق تفنيدها، وهذا ما اعتمد عليه العلماء عند تعاملهم مع الشبهات التي أثيرت حول قضايا الفكر الإسلامي، لذا فإنّ الرجوع للقرآن الكريم والسنة الصحيحة يتضمن شيئاً مهماً جداً، ألا وهو: الجمع بين النّصوص في المسألة الواحدة وعدم اجتزائها، فإنّ اجتزاءها يؤدي إلى الانحراف عن المقصود في أحايين كثيرة.

فممّا ورد ذِكرُه في القرآن العظيم من الشبهات التي أجاب عنها ربنا تعالى ما جاء في قوله تعالى شأنه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: 148-149]. وهذه الشبهة قالها المشركون منذ القِدَم، وهم يريدون بذلك أنهم على الحق المشروع الذي ارتضاه الله لهم وإلا لم يكن ليقع

[1] من الشبهات التي تتكرر كثيرا في باب القدر: مشكلة الشر ووجود الله، وأحاديث المسيح الدجال، وغير ذلك، وهذه الأسئلة وغيرها أجاب عنها أهل العلم في أكثر من مكان إجابات شافية ولله الحمد والمنة.

منهم، لأنّ من المعلوم أنّه لا يقع في ملكه جل جلاله إلا ما يشاء، ومثل هذا القول والتكذيب للحق قد صدر ممن هم قَبْلَهم حتى أنزل الله عليهم العقاب اللاذع، فاسألهم يا نبي الله إن كان عندهم أمرٌ معلوم واضح في هذا الشأن يصحّ الاعتماد عليه، كلا لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً[1]. وهؤلاء الذين اتبعوا نفس الحجّة الكاذبة اليوم قد كذبوا كما كذّب الذين من قبلهم في هذا الاحتجاج؛ فإنّ الله لا يرضى لعباده الكفر والمعاصي، والشاهد المهمّ أنّ هذه الشبهة التي قد ذُكِرت في القرآن الكريم وردّ الله تعالى عليها، يتكرر ذكرها في الأزمنة والأمكنة، وما تكريرها إلا لهجر القرآن الكريم بالقراءة أو الفهم.

وممّا ورد في السنّة النبوية من تفنيد الشبهات التي ظهرت للصحابة ويمكن أن يحتسب بأنّه من جهود السّابقين في الرد على الشبهات: ما ورد في شبهة المؤاخذة على كل صغيرة وكبيرة وهي من الظلم: فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلتْ: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّنا لم يَظلِم؟ فأنزل الله: {إن الشرك لظلم عظيم}"[2]. والأمر الذي اشتبه على الصحابة هو ظنّهم بأنّ الظلم المقصود في الآية وهو الظاهر من الآية: الافتيات على حقوق النّاس أو أنّه ظلمهم أنفسهم بالمعاصي، وجاء التوضيح النبوي بتفسير القرآن بالقرآن وإظهار أنّ المعنى المقصود هو الشرك، فالظلم في أصله هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا شيء أعظم من أن يُعبد مع الله غيره، ولذلك كان هو الظلم العظيم[3]. فهذا الحديث مما اشتبه على الصحابة، وتتجدد مثل هذه الشّبهة على النّاس الذين لم يجمعوا النّصوص الموضوعية فيشكل عليهم الأمر، ومثل هذا عامّ في أية مسألة من مسائل الدين، فلو جمع صاحب الشبهة الأدلة في المسألة التي اشتبهت عليه لزال عنه كثير مما أشكل، إذن فإنّ ما فعله النّبي صلى الله عليه وسلم هو تعليم لأجيال الأمة بجمع النّصوص لإزالة الإشكالات التي تورد الشبهات، وأيضاً فإن الرجوع لجهود النّبي صلى الله عليه وسلم في دفع الشبهات عن الصحابة يورث الطمأنينة.

---

[1] ينظر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط**، (ج3/ ص 1352).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، (ج1/ص 15/ح 32).

[3] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج1/ ص 163).

ومن الأمثلة كذلك الشبهة في القدر: ففي الحديث الذي رواه عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "قال رجل: يا الله أيُعرَف أهلُ الجنة من أهلِ النار؟ قال: نعم قال: فلِمَ يَعملُ العاملون؟ قال: كل يعمل لما خُلق له، أو: لما يُسّر له"[1]. وفي الصحيح أيضاً: عن علي رضي الله عنه قال: "كنا جلوساً مع النّبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت في الأرض وقال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار، أو من الجنة فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ {فأما من أعطى واتقى} الآية"[2]. والشبهة التي تُثار هي: بما أن كل إنسان له مقعد في الجنة أو في النار، والحكم عليه مقضي سلفاً، فلماذا يعمل الناس؟ وقد ذكر الباحث في الفصل الثاني تفصيل هذه المسألة في المبحث الثاني منه تحت عنوان: جهل بعض الأُسر أصولَ عقيدتها. وبالملخّص فإنّ جمع النّصوص في المسألة يفيد بأنّ علم الله سابق لا سائق، فالله جعل للإنسان العقل ليختار أفعاله وقراراته، فهو مخير بين الكفر والإيمان وبين المعصية والطاعة، والشاهد من الحديث هنا أنّ الرجوع إلى الحديث يفيد بأنّ الشبهة ليست بشيء يمكن الاحتجاج به على قَدر الله تعالى.

ثم إنّ العلماء تتبعوا الشبهات على مر التاريخ الإسلامي، وأجابوا عنها في كل عصر ومصر، ككتب الفِرَق والردود عليها، ولكنّ آفة أهل الشبهات الأساسية هي الجهل، والتسليم لكل ما يلقيه أمامهم أهلُ الفتن، فلا يكلف أحدهم نفسه بالبحث، فيرتبك أمام الشبهة فلا يتماسك، ولا يدري أنّ عدم قدرته على الإجابة لا تعني صحة ما يقال، بل تعني جهله في المسألة فقط، فإنّ عدم العلم ليس علما بالعدم[3]، وواجبه أن يرجع إلى دين ربه فيبحث، أو يسأل أهل الذكر والعارفين المختصين، فيجد إجابات ترضيه، فلا يكون إمعة تغويه النسائم عن النظر إلى حقيقة جمال الدين[4]، ومن العلماء الذين اهتموا بهذا الأمر اهتماماً بالغاً: الإمام البخاري، وصحيحه مليء بالردود، فمِن كُتُبه في الجامع: كتاب الإيمان، وكتاب القدر، وكتاب استتابة

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله، (ج8/ص 122/ح 6596).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب القدر، باب {وكان أمر الله قدرا مقدورا}، (ج8/ص 123/ح 6605).

[3] ينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص 79).

[4] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص48).

المرتدين والمعاندين وقتالهم، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، و كتاب التوحيد، حيث ملأها بالتراجم والأحاديث التي رد فيها على أهل الفرق والأهواء والشبهات[1].

المطلب الرابع: قاعدة عدم التعامل مع الوَسْوَسة كالتعامل مع الشبهة

الوسوسة هي الخواطر السيئة من حديث النفس والأفكار[2]، وأما مصادرها فتأتي للإنسان من نفسه أو من الشيطان[3]، فأمّا التي من النّفس فهي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: 16]، وقد يُعبَّر عن وسوسة النفس بحديث النفس وكله لا يخفى على الله منه شيء[4]، وإذا لم تَستقر الوساوس في النفس ولم يتكلم بها المرء لا يؤاخذ بهذه الوساوس، والواجب على الإنسان دفعها بذكر الله تعالى والكف عن تكرار ما جال في نفسه كي لا تستقر الوسوسة في نفسه فتتقرّر أنّها شبهة فانحراف. وأما التي من الشيطان فكما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: 1-6]. ووسوسة الجِنة لا ندري كيف تتم، ولكننا نجد آثارها تظهر في النفوس وواقع الحياة، وأما شياطين الإنس فنحن نعرف عن وساوسهم الكثير، ومن أمورهم ما هو أشد من وسوسة الجني، فرفيق السوء الذي يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه من حيث لا يحتسب وهو لرفيق مؤتمن، وحاشية الشر التي توسوس لكل ذي سلطان حتى يصير طاغية جباراً، والنّمام الواشي الذي يظهر من كلامه أنّه الحقّ الصراح، وغيرهم الكثير. والإنسان عاجز عن دفع الوسوسة الخفية، ومن ثم يَدُلّه الله تعالى على العدة والعتاد في مواجهة هذا العدو الخفي: بذِكر الله تعالى دائماً، حتى إذا غفل أتاه الشيطان، وهي معركة طويلة امتداد الحياة[5].

---

[1] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج13/ ص 344).

[2] ينظر: الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، (ص869).

[3] شيطان الجن أو الإنس.

[4] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (ج26/ ص 294).

[5] ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (ج6/ ص1066-1068).

وقد يأتي الوسواسُ الإنسانَ بأمور منكرة في حق الله تعالى وفي حق رسوله صلى الله عليه وسلم، ومما ورد ذِكره في هذا: ما ورد في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[1]. إذن فإنّ الوسوسة علاجها الاستعاذة وترك ترديد الوسوسة لأنّها عرض شيطاني، وبترديد الوسوسة فإنّها تتحول إلى شبهة تحتاج إلى علاج. ومن الحديث يتبين أنّ الوسوسة أمر يمكن أن يتعرض له أي مسلم، وهذه الوساوس تعرض على قلب المسلم فتأتي بأمور تزعج قلبه وتعكر صفو إيمانه، وهي ليست دليل ضعف إيمان ولا دليل نفاق، ولم يسلم منها الصحابة ولا العلماء، بل وإنّ حديث النّفس أو الوسوسة النّفسية لا إثم عليها كما يتصور البعض منا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم"[2].

وعلاجها كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: استعذ بالله وانتهِ، والنّاس في هذا الشأن على أحوال، فمنهم من يَقدِر على الانتهاء بعد الاستعاذة ومنهم من لا يَقدِر، فالأول قد نجح وانتهى، والآخر عليه البحث في الإجابة عند أهل الاختصاص حتى يروي ظمأه وإلا ولج في الشبهة، وعليه أن يعي أنّ الشيطان يكثّف جهود على المؤمنين عامّةً، ويكثفها أكثر في مواسم الخير كالحج وأوقات الخير كالصلاة[3].

إنّ الحل لمسألة الوسوسة لا يكون بالنفور وردات الفعل العكسية من الدين والإيمان، فمِن النّاس مَن لا يستطيع التعامل مع الوسواس فيصيبه ذلك بنفور من الدين كله، أو من جزءٍ من الدين كالطهارة أو الصلاة، ويصاحبه في ذلك الغم والهم والبؤس[4]، لهذا فإنّ الواجب عليه أن ينتهي عن تكريرها كي لا تصبح شبهة فانحرافاً، ويرافق ذلك دعاء الله والالتجاء إليه طلباً للتحصين.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق، (ج7/ص 46/ح 5269).

[3] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج 7/ ص 282).

[4] ينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص 81-82).

أما الشّبهات؛ فهي: "تلبيسات وتحريف للحقائق، بأن يؤتى بالباطل فيُلبَس لباس الحقّ لينخدع به النّاس"[1]. وسميت الشّبهة بذلك لأنّه يشتبه فيها الحق بالباطل، فيلبس الباطل لباس الحقّ فيظن من يراه أنّه الحق ويعتقد صحته، أما صاحب اليقين والحق فلا يغتر بهذا المظهر، بل ينظر إلى باطنها فيكتشف حقيقتها[2]. ولذلك فإنّ الشبهات كلما كثرت في جانب من الجوانب، فإنّك تجد أنّ الله تعالى هيأ لهذا الجانب مزيداً من التوضيح، كدلائل معرفة الله تعالى وصفاته، ودلائل النبوة وما إلى ذلك[3]. ومع وجود التشابه بين الوسوسة والشبهة فإنّ هناك أيضاً فروقاً ظاهرة بينهما، وفروقاً ظاهرة بين صاحب الوسوسة وصاحب الشبهة، ومن الفروق بينهما[4]:

أولاً: صاحب الوسوسة لا يرغب فيما يأتيه من خواطر وأفكار فيفزع من هذا الخاطر، فلو لم يكن مؤمناً حقّاً لما أصابه الفزع من هذا الخاطر. أمّا صاحب الشبهة فهو يقلبها في عقله وتستقر في قلبه ويرددها بلسانه، وقد ترجح عنده الشبهة على الإيمان.

ثانياً: صاحب الوسوسة قد يجهل جوابها حتى لو سأل عنها، فمن الممكن أن يقتنع في بدء الأمر، لكنّ الوسوسة ستلحّ عليه ولا تفارقه، وتظل تعود إليه رغم علمه بعدم صحتها، فتظل تأتيه وتقول: ماذا لو كذا؟ أمّا صاحب الشبهة فإنْ كان منصفاً، فبمجرد معرفته الإجابة عن الشبهة سيقتنع وينشرح صدره ويزول عنه أثرها.

ثالثاً: المصدر[5]: فالشبهات تكون في الغالب ذات مصدر محدد ككتاب أو فيديو أو أي مادة إعلامية، فيتم تكرير الشبهة من الملأ[6] باستمرار حتى يألفها البسطاء من النّاس، أما الوسواس فيكون مصدره الخواطر النفسية أو الشيطانية.

---

[1] الجاسر، **ترياق – نحو معالجة تأصيلية للشبهات الفكرية**، (ص23).

[2] ينظر: ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة**، (ج1/ ص 395).

[3] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج10/ص 129).

[4] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص 29–30).

[5] ينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص 81–82). وينظر: زيدان، **أصول الدعوة**، (ص428).

[6] أخذ الدكتور عبد الكريم زيدان هذا المصطلح ليعبر به عن المتنفذين من رؤوس القوم، من قوله تعالى: سمحقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖسجى [الأعراف: 60]، ومن آيات مشابهة.

وهذا التفريق بين الوسوسة والشبهة يهمنا كثيراً، لأنّ طريقة علاج كل منهما مختلفة عن الأخرى، فالوسوسة علاجها كما أخبرنا الحبيب صلى الله عليه وسلم، ليست عن طريق البحث عن إجابة، بل كما قال بأبي هو وأمي: "فليستعذ بالله ولينته"[1]. وقد فصّل الدكتور مطلق الجاسر في علاج الوسوسة، فوضع منهجا أسماه: (علاج التاءات الأربعة)[2]، وهي على ما يأتي:

1. تأكيد الإيمان، بأن يؤكد الإيمانَ في قلبه فيقول: آمنتُ بالله، وهذا أُخِذ من حديث رواه مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله"[3].

2. التطمين: بأن يعتقد بأنّ الوساوس لا تعني ضعف الإيمان ولا النّفاق، فقد أصابت الصحابة والعلماء. ومثال ذلك ما ورد في الحديث السابق، فهي حادثة حصلت مع الصحابي الذي شكا للنبي صلى الله عليه وسلم ما يجد في نفسه من وسوسة. وقد قال القاضي عياض في هذه الجزئية: إنّ الشيطان يوسوس للمسلم الذي أيِس من إغوائه فلم يجد إلا أن يؤذيه نفسياً، وهذا لا يحصل إلا مع مؤمن صريح الإيمان ثابت العقيدة، بخلاف غيره من الكفار والشكاكين وضعاف الإيمان فإنه يتلاعب بهم كيفما شاء[4].

3. التحصين بالتعوذ والأذكار: قال صلى الله عليه وسلم: "فليستعذ بالله ولينته"[5]. وفي هذا الشأن قال ابن الجوزي: "لمّا أَمَر بالاستعاذة من شرّهم أَعلَمَ أنّه ربهم، ليُعلَم أنّه هو الذي يعيذ من شرهم"[6]. فلا بدّ من طلب اللجوء إلى الله تعالى في كل شأن وبخاصةٍ الاستعاذة من الوساوس، فإنّه حرز للعقيدة من الضياع، ولا يزال المؤمن بخير ما دام دائم الصلة بربه والذكر له، ودائم اللجوء إلى حماه، ولا حامي إلا الله الملك العزيز.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[2] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص 31–36). التاءات الأربعة من كتاب الدكتور مطلق ذكرها الباحث باختصار من كتابه، أما الاستدلال فرجع الباحث فيه إلى الشراح من أئمة الحديث والمفسرين.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (ج1/ ص83 / ح 134).

[4] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج1/ ص 431).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[6] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (ج4/ص 510).

4. التشاغل: قال صلى الله عليه وسلم: "فليستعذ بالله ولينته"[1]. فيشغل نفسه عن هذه الوساوس، ويُلهي نفسه بما يفيدها. ولذلك قال النّووي في هذه الجزئية من الحديث: "فليستعذ بالله ولينته فمعناه: إذا عَرَض له هذا الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شره عنه، وليُعرِض عن الفكر في ذلك، وليَعلم أنّ هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، وهو إنّما يسعى بالفساد والإغواء فليُعرِض عن الإصغاء إلى وسوسته، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها"[2].

أما علاج الشبهة فيكون بالبحث عن إجابة شافية لها، لا بالركون والسكوت عنها، فإنّها قد تورث الضلالات عند صاحبها. وما تمّ في هذا المبحث من التفصيل وبخاصة في قاعدة سؤال أهل العلم كل في اختصاصه، وقاعدة الرجوع لجهود السابقين في الرد على الشبهات، ما يغني عن إعادة الكلام في وجوب البحث عن إجابات الشبهات، وضرب هناك الباحث أمثلة متعددة من حديث النّبي صلى الله عليه وسلم.

وفي ختام هذه القاعدة يَصلُح أن يقال: لو أنّ أصحاب الشبهات وأهل الفرق المبتدعة اعتمدوا المنهج النّبوي في مسألة الوساوس والشبهات لما وصلوا إلى الانحراف، في حين أنّ الصحابة ومن تبعهم من الصادقين اعتمدوا المنهج النبوي في ذلك فلم يَزِغ منهم أحد عن الحق[3].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[2] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج2/ ص 155– 156).

[3] ينظر: المعايطة، **العقيدة الإسلامية**، (ص29).

المبحث الثالث: القواعد النبوية المهاريّة في التصدي للانحراف العقديّ

إنّ الرد والتصدي لأهل الشبهات أمر لا يُحسِنه كل أحد، فمن الناس من لا يملك القدرة على ذلك، وحتى من عندهم القدرة على ذلك، قد لا يستهويهم الجدال والحوار مع أصحاب الشبهات، ولذلك رأى الباحث بأن يَفْصل هذه المسألة عن المبحث السابق، وكان لزاماً على من يريد الحوار مع أصحاب الشبهات والتصدي لهم، أن يكون مُلمّاً ومتمكناً ومتحصناً بالقواعد التي تقررت في المبحثين الأولين. أمّا القواعد التي وجدها الباحث ممّا استعمله النّبي صلى الله عليه وسلم في الرد على أصحاب الشبهات، وممّا علمه للصحابة في كيفية الرد عليهم، ومما استعمله الصحب الكرام في سبيل ذلك، فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأول: قاعدة استيعاب مذهب المحاور والإلمام بأصول الشبهة

على من يريد التّصدي للانحرافات الفكرية والشبهات العقدية أن يلمّ ويتبحر في الشبهة، وأن يعرف مبادئ المُحاور وحقيقة تصوراته كي يكون مستعدا لكل الأسئلة، وأن لا يناقش في مسألة لا يعرفها جيداً حتى لا يدافع عن شيء لا يقتنع هو به تماماً، فيحرج نفسه ويسيء للفكرة التي يدافع عنها، فإنّ النّاس يميلون لتجسيد الفكرة، فإن رأوا صاحبها هزم في الدفاع عنها سقطت قيمتها عند كثير منهم، وإن رأوا الباطل انتصر بأي شكل من الأشكال مالوا إليه، ويجب عليه أن يعدّ المادة العلمية إعداداً جيداً، ويضع نصب عينيه رضا الله الجليل العظيم[1].

يضاف إلى ما سبق أنّ الاستيعاب لأصول الشبهة لا يعني القصور في معرفة ما يفنّدها؛ حتى لا نخدم الشبهة من حيث لا ندري، ولهذا قال ابن تيمية عمن يوردون الشبهات ولا يستطيعون الرد عليها: "قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظّنية، بل هي إلى تقرير شبه الطّاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين. وقد مثّلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به، وهو يزعم أنّه يريد أن يثبتها"[2]، وهذا

[1] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص103-104).

[2] ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج 1/ ص243).

الأمر دليل ضعف في العلم أو في المنهج، فقد يكون عالماً لكنّ منهجه فيه ضعف في التبيين، وهذا يؤدي إلى شرح الشبهة بحيثياتها وجزئياتها مع عدم الرد عليها رداً شافياً وافياً، فيخدم الشبهة بأنْ شرحها وبيّنها، ثم يخدمها بأن لم يردّ عليها، فبان كما لو أنّه لم يستطع الرد فأظهر قوة للشبهة وضعفاً على الصعيد المقابل.

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة مبدأً أساسياً في حواره مع أهل الكتاب والمنافقين والمشركين وكلّ أصحاب الشبهات[1]، فممّا ورد في حواره مع أهل الكتاب ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: "إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أنّ رجلاً منهم وامرأة زنياً، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويُجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم. فَأَتَوْا بالتوراة فنَشَروها، فوضع أحدُهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. قالوا: صَدَقَ يا محمد فيها آية الرجم. فَأَمَرَ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرُجِمَا. فرأيتُ الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة"[2]. والشاهد من الحديث أنّ الصحابي عبد الله بن سلام رضي الله عنه استطاع أن يدحض حجة اليهود من كتابهم، لأنّه كان من أحبارهم قبل أن يسلم، وقد أقره النّبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فالعلم المسبق بما في التوراة كان أساسياً في دحض كذب شبهة اليهود، والنّبي صلى الله عليه وسلم نفّذ عليهم حكم التوراة فيهم، وكان ذلك أول دخوله المدينة قبل أن تنزل الآيات التي تَحكُم في أهل الكتاب الذين يتحاكمون للمسلمين بأحكام المسلمين[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقسِم قَسْما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل. فقال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أَعدل؟ قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال:

---

[1] تجدر الإشارة إلى أن الدكتور محمد الزير قد قام بتعداد حوارات النبي صلى الله عليه وسلم في السنة النبوية من خلال القصص النبوي، فوصلت اثنتين وسبعين قصة اشتملت على مئة وأربعة وستين صورة للحوار، واستخرجها من تسعة مصادر من أمهات كتب السنة. ينظر: الزير، **القصص في الحديث النبوي**، (ص313).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام، (ج8/ص 172/ح 6841).

[3] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج8/ ص475).

دعه، فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[1]. وهذا أيضاً مما يتضح فيه علم النّبي صلى الله عليه وسلم بأصول شبهة ذي الخويصرة، ويتضح إلمامه صلى الله عليه وسلم بكل حيثيات المسألة، وأنّ ذا الخويصرة لم يَصِل بعدُ إلى درجة إباحة قتاله وقتله، لأنّ نبي الله عَلِم بجهل ذي الخويصرة، فكان حواره معه لتوضيح وتبيين أنّه صلى الله عليه وسلم قمة العدل، فلم يقتله لجهله، وفي هذا قال ابن بطال: "لا يجوز ترك قتال من خرج على الأمة وشق عصاها. وأما ذو الخويصرة، فإنّما ترك النّبي صلى الله عليه وسلم قتله لأنّه عذره بجهله، وأخبر أنّه من قوم يخرجون ويمرقون من الدين فإذا خرجوا وجب قتالهم"[2].

وهذا المنهج اسْتَنَّ به فقهاء الصحابة والعلماء والمفكرون، فلم يكن أحدهم يدفع الشبهة بالجهل بها، ومن ذلك مناظرة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج في الفتنة التي استشهد فيها علم الأمة عثمان رضي الله عنه، ومناظرة أبي حنيفة مع الملحدين، ومناظرات ابن حزم مع أهل الشبهات، وغير ذلك كثير. ومن العلماء الذين اهتموا بهذه المسألة: الإمام البخاري في صحيحه، فقد ردّ على أهل الشبهات وأهل الفرق الذين في عصره[3]، فرد على الخوارج في كتاب الفتن وكتاب الإيمان، وردّ على الجهمية والقدرية في كتاب التوحيد، وردّ على الروافض في كتاب الأحكام، وردّ على المعتزلة في مواضع كثيرة.

يصاحب هذه الخطوة خطوة مهمة جداً، هي: إخلاص النّية لله تعالى في هذا العمل، وحب الهداية للمحاور المقابل، والدعاء لله تعالى بالهدى للطرفين، فالهدف الأسمى للحوار هو إظهار الحق وهداية المحاور، لا حب الظهور وشهوة الانتصار. فإذا كان ذلك الهدفَ الأسمى حقاً، فإنك لن تجد جدلاً باطلاً أو مراءً، بل ستجد حواراً هادفاً، فإنّ من آداب المناظرات في الإسلام ترك الجدال العقيم، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقّاً"[4]. والفرق بين الجدل

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ج4/ص 200/ح 3610).

[2] ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج 8/ ص 591).

[3] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج13/ ص 344).

[4] أبو داود، **سنن أبي داود**، (ج7/ ص 178/ ح 4800)، وهذا الحديث حسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على السنن، والربض الأطراف.

والحوار[1]: أنّ الجدل لدد في الخصومة، يكون مصحوباً بالعناد والتمسك بالرأي والتعصب له، دون أن يكون الهدف منه الوصول إلى الحق. أم الحوار فعلى عكس المراء المذموم، فهو حديث بين طرفين دون لدد أو خصومة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ [الحج: 8].

المطلب الثاني: قاعدة الاتفاق على قاعدة مشتركة في الحوار[2]

هذه القاعدة ينطلق منها الجميع في الإلزامات، كالاتفاق على كون القرآن وحده هو المشترك، أو الاحتجاج بدليل السببية، مع ملحد لا يؤمن بغير المحسوسات، وهذا الملحد لا يؤمن بقانون السببية[3]. وهذا يعني ضمنياً ضرورة أن يعرف من يتصدى للشبهة أصول فكر المُحاور وعقيدته، وأدلّته التي يرتكز عليها وطريقة دحضها، ورموزها الذين دعوا لها وكيف انتهى بهم المطاف، فيقف حينئذ على أرض صلبة، ولا يحتج على المخالف بما لا يسلِّم المخالف به، فيُتعب نفسه في تحري الدليل في مكان لا يَستدِل به المحاور. والفائدة هنا: أنّ الاستدلال بدليل صحيح لا يمكن أن يُلزَم به الخصم أمر عبثي، بل على من يتصدى للشبهة أن يوجه طاقته في طريق تتجلى في نهايته سبل الهداية، فيحتجّ بما يُلزِم المخالف فتكون حجته أقوى عليه، ويضاف لما سبق أن المُحاور الذي يتبع هذه القاعدة يعمل منذ البداية على تقليص الفجوة بينه وبين المُحاور، ويبني جسراً للتفاهم والثقة[4].

وتأصيل الاتفاق على قاعدة مشتركة هو ما عظمه القرآن الكريم واعتمده النّبي الكريم صلى الله عليه وسلم من أسس الحوار، فامتثل قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: 46]، فأقرّ له الله تعالى قاعدتين بنص الآيات: الحوار والجدال المحمود، والاتفاق على قاعدة

---

[1] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص105-116).

[2] ينظر: عزت، **في أصول الحوار**، (ص203).

[3] قانون السببية: هو مبدأ يؤكد على وجود علاقة سببية بين الأحداث، وأن لكل حادث سببًا. بمعنى آخر: لا يوجد شيء يحدث من العدم، بل هناك دائمًا مسبب أو علة وراء كل ظاهرة.

[4] ينظر: زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (ص 288).

مشتركة يبدأ منها الحوار[1]، وقد التزم صلى الله عليه وسلم بهذه القاعدة حياتَه كلَّها، فكان يبحث عن أماكن الالتقاء فيبدأ منها ثم يتطرق للدعوة والحوار، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك بين النّبي صلى الله عليه وسلم وضمام بن ثعلبة، قال أنس: "فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم" الحديث[2]. وهنا قد اتفق الصحابي مع النّبي صلى الله عليه وسلم على مبدأ في الحوار بينهما ووافق عليه النّبي صلى الله عليه وسلم، فعَذَرَه النّبي صلى الله عليه وسلم على أسلوبه الخشن بعد أن تمّ الاتفاق بينهما على الأسلوب لأنّه اعتذر سلفاً عما سيبدر منه[3]، وإنّ ضماماً سأل النّبي صلى الله عليه وسلم أسئلة معلومة الإجابة يتفق هو في إجابتها مع النّبي صلى الله، ثم رتب عليها أسئلة أخرى كي يصل إلى مقصده[4].

ثم إنّ الاتفاق على قاعدة مشتركة في الحوار ينتج عنه التدرج وحسن ترتيب القضايا على بعضها، وقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوبين في التدرج، الأول: التدرج من الأعلى إلى الأدنى؛ حيث أثبت للصحابة الخالقَ مباشرة. ومن أمثلته: حديث: فمن أعدى الأول، فنستفيد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حصّن الصحابة وقائياً أو علاجياً من الانحراف العقدي، فهو بذلك أثبت بطلان ما يسمى التسلسل، والتسلسل هو: افتراض أنّ المخلوقات كلها متوالدة عن بعضها إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كلٌّ منهم سبباً في إيجاد مَن بَعده، وهذا الفرض مستحيل لأنّ سلسلة المخلوقات مهما طالت أو قصرت فلا بد لها من بداية[5]. وقد حفر الرسول صلى الله عليه وسلم عميقا في عقول الصحابة وقلوبهم كون هذا العالم حادثاً ولا بد له من بداية، فيستحيل أن يكون موجِداً لنفسه صدفةً.

---

[1] ينظر: مجمع البحوث الإسلامية، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (ج8/ ص 2).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، (ج1/ص 23/ح 63).

[3] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج 1/ ص 224).

[4] ينظر: زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (ص 293).

[5] ينظر: البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، (ص81-85).

الثاني: التدرج من الأدنى إلى الأعلى[1]: ويتمثل ذلك في الحث على التفكر في أيٍّ من المخلوقات التي ستدل بوضوح على ضرورة الإيمان بالله الواحد الخالق، وبالتفكر في أدلة وجود الله تعالى يُتَوَصّل إلى ضرورة وجود إله واحد، فالقرآن الذي يَثبُت في كل زمان ومكان مصداق ما فيه دون أدنى خلل أو زلل سيوصل الإنسان إلى الإيمان.

وقد اتبع العلماء منهج النّبي صلى الله عليه وسلم في إيجاد قاعدة مشتركة تنبني عليها الحجج والبراهين والإلزامات[2]، ومن هؤلاء العلماء: ابن حزم، ففي مناظراته مع العِنادية[3] الذين ينفون الحقائق، واللا أدرية[4] الذين يشكّكون فيها، تجده قد نقد أصل فكرة المُحاوِر الرئيسة التي تقوم عليه بقوله: "ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم: قولكم أنّه لا حقيقة للأشياء، حقّ هو أم باطل؟ فإن قالوا: هو حق. أثبَتوا حقيقةً ما، وإن قالوا: ليس هو حقّاً. أقروا ببطلان قولهم وكَفَوْا خصمهم أمرهم. ويقال للشُّكاك منهم وبالله تعالى التوفيق: أشَكُّكُم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود؟ فإن قالوا: هو موجود صحيح منا. أثبتوا أيضاً حقيقةً ما، وإن قالوا: غير موجود. نفوا الشك وأبطلوه، وفي إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها"[5]. فلم يَرُدّ عليهم بأدلة من القرآن والسنة مع وفرتها، بل رد عليهم بالمبدأ العقلي الذي به يحتجون ثم ألزمهم به، فهو قد نقد أصل الفكرة وقام بتفكيكها، وبناء على معرفته بأصول الشبهة، اتبع القاعدة بأن يكون الحوار على القواعد المشتركة، وبما أن القاعدة المشتركة هي العقل والمنطق، واجههم بها ولجم شبهتهم.

وقد تميّز البخاري بالردّ على فِرَقِ عصره بالرد على أصول فكرتهم، وجَعَلَ ردوده في التراجم وفي الأحاديث التي ساقها للاحتجاج من بعد التراجم، ومن أمثلة ذلك: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر[6]، وهذا الباب عقده الإمام البخاري للرد بشكل خاص على المرجئة[7]. فاختياره لعنوان الباب ظاهر في أنّه يتّفق معهم على كون المؤمن مؤمناً فهذا موضع اتفاق، ثم قرّر القاعدة المشتركة الأخرى بأنّ الاحتكام

---

[1] ينظر: البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، (ص104).

[2] الإلزام هو ما تُلزم به الطرف الآخر من الحوار بحجة من أصل كلامه لتنقد بها أصل فكرته.

[3] هم الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام وخيالات كالنقوش على الماء. ينظر: الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص 158).

[4] هم الذين ينكرون العلم بثبوت شيء ولا ثبوته، ويزعمون أنه شاك، وشاك في أنه شاك، وهلُمَّ جرًا.. ينظر: الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص 191).

[5] ابن حزم، **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**، (ج1/ ص 14).

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (ج1/ص 18).

[7] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج1/ ص 110).

إنما يكون للدليل الشرعي لا للهوى، ولذلك بعد أن ساق الاتفاقات انتقل إلى الاختلاف في أنّ المرجئة يقولون أنّه لا يضرّ مع الإيمان ذنب، فردّ عليهم بأن المؤمن يخاف أن يحبط عمله وهو لا يشعر، فقرر بأن الذنب يضرّ الإيمان، ثم ترجم بما يأتي: "وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: أنّه على إيمان جبريل وميكائيل"[1].

ثم أردف بحديث رواه زبيد بن الحارث قال: "سألت أبا وائل عن المرجئة فقال: حدثني عبد الله أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[2]. والمقصود من الحديث: تعظيم حقّ المسلم والحكم على من يتعامل بالسباب بالفسوق، وهذا مقتضاه الرد على المرجئة، وكأنّه قال للسائل: كيف تكون مقالتهم حقّاً والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا؟ ولم يُقصد بالكفر الذي يخرج من الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير[3].

المطلب الثالث: قاعدة تحرير محل النزاع

يُقصد بهذا المصطلح: إخراج المسائل المجمع عليها من دائرة البحث فيها، والبحث في المسألة المتنازع عليها[4]. وفي هذا الأمر يقول الشيخ محمود شلتوت: "ولكن ليصل البحث إلى فائدة –وتوفيرا للقوى والجهود، واحتفاظاً بالوقت لما ينفع ويفيد، وبعداً عن الخلاف بقدر الإمكان– يلزم قبل الخوض في الحجاج والانتصار للآراء، تحديد المراد من موضوع البحث، وبعبارة أخرى: (تحرير محل النزاع)، فإن الألفاظ التي يعنون بها الموضوع قد يكون لها دلالات متعددة، إذا جُلّيت وحُدّدت تَبيَّن منها ما يكون محل اتفاق فيُستبعَد، وما يصحّ أن يكون محل اختلاف فيُقتَصَر عليه الكلام، وفي دائرته يرد الحجاج"[5].

ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه أمر الصحابة أن لا يواصلوا في الصوم فقال: "لا تواصلوا. قالوا: إنك تواصل. قال: إني لست مثلكم، إني أَبِيتُ يُطعمني ربي ويسقيني. فلم

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (ج1/ص 18).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (ج1/ص 19/ ح 48).

[3] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج1/ ص 112).

[4] ينظر: الخليل، **شرح زاد المستقنع**، (ج2/ ص 66).

[5] شلتوت، **الفتاوى– دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة**، (ص 293). وينظر أيضا: أحمد السيد، **سابغات**، (ص 84).

ينتهوا عن الوصال. قال: فواصل بهم النّبي صلى الله عليه وسلم يومين أو ليلتين ثم رأوا الهلال، فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: لو تأخر الهلال لزدتكم". كالمنكل لهم[1]. ومحل النّزاع هنا أنّهم يظنّون أنفسهم مثله في الوصال فنهاهم عنه، لكنّهم أصروا على ذلك، مع أنّه حرر لهم موضع النزاع وبيّن لهم أنّه ليس مثلهم في هذا الأمر فإن الله يطعمه ويسقيه.

ومن أمثلته أيضاً أنّ أبا هريرة قال: "استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين، في قَسَم يُقسِم به. فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي. فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بالذي كان مِن أمرهِ وأَمْرِ المسلم. فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: لا تخيّروني على موسى، فإنّ النّاس يَصعَقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صَعِقَ فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"[2]. ويظهر تحرير محل النزاع هنا بأنّ اختلاف المسلم واليهودي على أي النبيين أفضل وهذا اختلاف ظاهر بينهما، فلما حرّر النّبي صلى الله عليه وسلم موضع النزاع وفكك ما فيه أمرهم أن لا يفاضلوا بينهما، فإنْ كان موسى عليه السلام قد أفاق قبل النّبي صلى الله عليه وسلم فهي فضيلة لموسى عليه السلام، وإن كان ممن استُثنِي من الصعق فهي فضيلة له أيضاً[3].

ثم إنّ تحرير محل النّزاع له فوائد متعددة، منها ما ذكره الباحث آنفاً، ومنها: السلامة من الوقوع في الخطأ، والوصول إلى النتيجة المطلوبة، وتهدئة الحوار، وبناء ثقة بين المتحاورين، وسهولة الوصول إلى اتفاق، والقدرة على الاستدلال، وتجنب تضييع الوقت فيما لا خلاف صحيح عليه، ويعطي المحاور نفسه قوة الحجة والمنطق السليم[4]، وكل ما سبق ذِكره من فوائد تحرير محل النزاع فإنّها تصب في التحصين من الانحراف العقدي، فهو يجعل المسلم لا ينساق وراء الأفكار الطارئة بل يُمحّصُها وينظر، فلعل الشبهة في أصلها ليست بشبهة، بل لعلها من باب اختلاف التنوع لا التضاد، أو لعل النزاع على مدلولات لفظية تؤدي

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، (ج9/ص 97/ح 7299).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة، (ج9/ص 139/ح 7472).

[3] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج6/ ص 445).

[4] ينظر: مرحبا، **تحرير محل النزاع في المسائل الفقهية**، (ص 446- 456).

في النهاية للمعنى ذاته، وحتى لو كانت الشبهة حقيقية فإنّها عند تحليلها وتفكيك محتوياتها تصير بأجزائها أسهل في الرد عليها، بينما إذا كانت كتلة كبيرة لا تعرف لا مَمسكا فسيهولك عِظمها وهي في ذاتها هيّنة.

وتتضمن هذه القاعدة التدقيق في كلام الطرف الآخر، والتنبه على الإشكالات التي يتضمنها كي يتم تحديد محل النزاع ابتداءً، ثم الانطلاق إلى النقطة المحورية التي يتم النقاش حولها، وبهذا يتم أيضاً تحديد منطلقات المُحاوِر وطريقة استدلاله، ومعرفة إذا خالف مبادئه وتنكشف تناقضاته أو سوء استدلاله. ومثاله مَن حرّم النبيذ لأنّ عُرْفَه يستخدم المصطلح على أنّه للمُسكِر، وإنّما النبيذ ما يُنبَذ في الماء لتحليته قبل أن يختمر، وقد جاءت في جوازه أحاديث كثيرة صحيحة[1]. فبتحرير محل النزاع يتبين أنّ الاختلاف لفظي، ولا خلاف حقيقي في المسألة.

المطلب الرابع: قاعدة عدم الاكتفاء بالدفاع في الحوار

على الرغم من أنّ الداعية المُحاور عليه أن يتصف بالرفق والحلم والصبر وعدم الغضب، إلا أنّ ذلك لا يعني أن يكون هشّاً، فكثيراً ما تكون خير وسيلة للدفاع الهجوم؛ لأنّ موقف المدافع عادة أضعف من موقف المهاجم، وكل أصحاب الشبهات لا تخلو مواقفهم من إشكالات كبرى يجب أن تُبرَز للناس، فيكون تصرفهم كي لا يظهر عوار مذهبهم الهجوم هرباً من الدفاع، والهجوم عادةً يتضمن الطعن في الأصول أو الخروج عن أدب الحوار[2]، وقد كان النّبي صلى الله عليه وسلم كما روت عائشة رضي الله عنها: "والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تُنتَهك حرمات الله فينتقم لله"[3]. فيبادر للهجوم دفاعاً عن حرمات الله تعالى، وينتصر لدين الله، ويُستحبّ تخلّق الحكام بمثل ذلك، فلا ينتقمون لأنفسهم ولا يُهملون حق الله تعالى[4].

---

[1] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج 20/ ص 244).

[2] ينظر: زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (ص 269).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، (ج8/ص 160/ح 6786).

[4] ينظر: البِرْماوي، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، (ج 16/ص 280).

لذا فإنّ من الواجب على الداعية أن يُحسِن إدارة الحوار بين مفنّد للشبهة وناقدٍ لها، فلا يقبل أن توضع العقيدة في قفص الاتهام، حيث يحلو لبعض الدعاة أن يكونوا دائما في موقف الضعيف المدافع، فإنّ من عادة أصحاب الشبهات هجومهم في طرح الأفكار، ويُلقُون سيلاً من الشبهات تباعاً حتى لا يخرج المتلقي من الأولى ولا ما بعدها في الدفاع، فيتخذون هم الهجوم ويتخذ هو الدفاع، وينسى هذا الأخ أنّ النّبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك، بل كان يدعو الناس ويبين أخطاءهم وسوء اعتقادهم، وينتقد عبادتهم الأصنام، حتى جعل هو موقف قريش موقف الضعيف المدافع[1].

ومن الأمثلة على أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم الدفاع في وقت حاجة الهجوم: ما رواه أبو سعيد الخدري لما قال ذو الخويصرة للنبي صلى الله عليه وسلم: اعدل يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "ويلك، من يعدل إذا لم أعدل"[2]. فهذا الرجل قد طعن في عدل النّبي صلى الله عليه وسلم وأمانته، فغضب النّبي صلى الله عليه وسلم واتخذ الهجوم عِوضا عن الدفاع وأجاب بما أجاب[3]، وجاء رده عليه الصلاة والسلام على ذي الخويصرة لأنّه جوّز أن يكون الرسول ظالماً، وهذا ينافي النبوة ويقدح فيها[4].

ويدخل ضمنياً في هذه القاعدة: عدم التسليم بالمقدمات الباطلة؛ لأنّ المقدمات المغلوطة الباطلة تعني الاكتفاء بالدفاع والانسياق وراء الشبهة مع المُحاوِر، فيحاول حينها صاحب الشبهة أن يلزمنا بما لا يُلزِم، كان يقول: الكل يقول ذلك، أو الجميع يؤمن بذلك، فلا بد أن يكون صحيحاً[5]، وهذه المقدمات الباطلة تعني بالضرورة أن النتائج باطلة، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حُمْر. قال: فيها من أَوْرَق[6]؟ قال: نعم. قال: فأنى كان ذلك؟ قال: أراه عِرْق

---

[1] ينظر: الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص62-64).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه، (ج9/ص 17/ح 6933).

[3] ينظر: زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (ص 269).

[4] ينظر: ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، (ج2/ ص 421).

[5] ينظر: الجاسر، **ترياق**، (ص 129).

[6] أَوْرَق: أي لونه كالرماد. ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج7/ ص 370).

نزعه. قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق"[1]. فشَبّه ما يصير من الإبل من نزع العِرق بما يصير مع البشر من ذلك، ونزع العِرق جريان طباع بعضِها على مشاكلة بعض في اللون والخِلقة[2]، فلم يَقبل النّبي صلى الله عليه وسلم من الصحابي المقدِّمَة التي بدأ بها، لأنّه كان يُعرّض باتهام زوجه بما لا يليق، فأفهمه كلَّ ذلك بالمثال مع المقدمة الصحيحة.

وفي قصة لتقريب المفهوم إلى الذهن ينقل الدكتور الحمادي حواراً فيقول: "يُروَى أنّه قد تحاور داعية يعمل مدرّسا مع زميل له شيوعي يهاجم حجاب المرأة ويثير حوله الشبهات، فلما أحس الداعية بِهُوةٍ كبيرة بينهما، قال: أنت مدرس رياضيات، فهل يمكن دراسة معادلة من الدرجة الثالثة أو حلها دون الاتفاق على الأساسيات الأولى في الرياضيات؟ قال الشيوعي: بالطبع لا. فقال الداعية: كذلك حالنا مع الإسلام، لا يمكن أن تناقش قضية الحجاب إلا بعد الاتفاق على الأساسيات الأولى، وهي: الإقرار بوجود الله، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبأنه بُعِثَ بالقرآن، ثم بعد ذلك نتناقش في الحجاب"[3].

المطلب الخامس: قاعدة: إن كنت مدعيا فالدليل، أو ناقلا فالصحة[4]:

حتى يكون الحوار مثمراً لا بدّ من ترتيب الأدلة التي ينطلق الحوار لمناقشتها، فهذه من أهم القواعد في الحوار المثمر، وإلا فإنّ الحوار لن يؤتي ثُمُرَه المرجوة، فكم من حوار انتهى فقط بتبيان عدم صحة الدليل المدعى؟ وكم من حوار انتهى لعدم وجود دليل عليه؟[5]، والعاقل لا يأخذ الكلام من أحد دون دليل صحيح عليه، ويعلم الفرق بين العَزْو[6] وبين صحة النقل في الاحتجاج، فالاحتجاج بما أورد الطبري لا يعد من قبيل الدليل النقلي الصحيح؛ إذ لم يلتزم الطبري الصحة في سند الحديث الذي ينقله فهذا عَزْو، أما المطلوب الفعلي هنا فهو: تحري صحة الكلام ودقة النقل معاً، لأنّ دقة النّقل لا تعني بالضرورة الصحة، فمَن يتحرى الدقة في نقل حديث موضوع لا يصيّره ذلك صحيحاً بل يبقى موضوعاً.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب ما جاء في التعريض، (ج8/ص 173/ح 6847).

[2] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج4/ ص 2301).

[3] الحمادي، **في قفص الاتهام**، (ص120-121).

[4] ينظر: أحمد السيد، **أصول الخطأ في الشبهات المثارة ضد الإسلام وثوابته**، مركز دلائل، (ص 18).

[5] ينظر: عزت، **في أصول الحوار**، (ص201).

[6] العزو هو: نسبة الكلام إلى الكتاب الذي ساقه.

ودقة النّقل تقتضي عدم اجتزاء النّصّ من سياقه، وتعني بالضرورة جمع الأدلة الواردة في المسألة الواحدة، وألا يبني رأيه على دليل واحد متغاضياً عن بقية الأدلة، وهذه من أكثر القواعد التي يخالفها أصحاب الشبهات[1]، فالقدرية والمرجئة وغيرهم من الفرق التي مرت على التاريخ الإسلامي، أخذوا بجانب من الأدلة وتركوا بقيتها، ما حدا بهم إلى الانحراف في جانب أو جوانب من مسائل العقيدة الإسلامية.

وتأصيل هذه القاعدة قد أقره الله تعالى في قوله جل شأنه: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [النمل: 64]، فطالبهم بالدليل القاطع على ادعائهم، وأنّى يجدوه[2]. ومن السنّة النبوية أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُصدر حكمه على حاطب في القصة المشهورة في نقل الأخبار لأهل مكّة، لم يَعجل النّبي صلى الله عليه وسلم في إصدار الحكم، بل تَثبّت من حاطب أولاً مما وجد مكتوباً في الكتاب، ففي الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه القصة، قال عما في الكتاب: "مِن حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النّبي صلى الله عليه وسلم، فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تَعجل علي يا رسول الله"[3]. وكذلك تثبته في قصة الإفك[4]، والشاهد من الأحاديث أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم طلب الدليل على كل الحوادث، ففي قصة حاطب رضي الله عنه انتظر الدليل وهو الكتاب، ثم واجه حاطباً به ينتظر منه عذره في ذلك، وفي حادثة الإفك بحث صلى الله عليه وسلم عن دليل في القضية، ولم يستعجل في شيء منها.

وبما أنّ هذا كان منهج الحبيب صلى الله عليه وسلم، فقد اتبعه الصحابة والعلماء واقتفوا أثره في التثبت، وفي جمع النّصوص، كي يكون الحكم صحيحاً في القضية محل الحكم، وهذا يتجلى في منهج علماء الحديث في التثبت ووضع قواعد عملية في ذلك، وكذلك الفقهاء والأصوليون في جمع أدلة المسألة الواحدة، وليكن هذا هو المنهج المتبع عندنا أيضاً.

---

[1] ينظر: زمزمي، **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (ص 334). وينظر: أحمد السيد، **سابغات**، (ص 87).

[2] ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (ج15/ص 9511).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء}، (ج6/ص 149/ح 4890).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، (ج3/ص 173/ح 2661).

وفي تحري دقّة النّقل منجاة من شبهات وأحكام باطلة كثيرة، فقد قال النّبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي بن أبي طالب: "لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلج النار"[1]. وقال أيضاً فيما روته عنه أم سلمة رضي الله عنها: "إنّما أنا بشر، وإنكم تختصمون، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ، فإنّما أقطع له قطعة من النار"[2]، يحثهم على ضرورة توخي الحذر في نقل الخبر، وضرورة الصدق في الكلام دون تحايل في تعمية خبر ما، فإنه يحكم بينهم بالبيّنة التي تظهر له.

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، (ج1/ص 33/ح 106).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحيل، باب، (ج9/ص 25/ح 6967).

المبحث الرابع: آليات التحصين من الانحراف العقدي في عصرنا الحاضر[1]

كثيرة هي الآليات التي يمكن من خلالها أن نحصّن المجتمع من الشبهات والانحرافات العقدية التي تُثار ليل نهار، ويهدف هذا المبحث إلى إبراز أهم الآليات الواجب تفعيلها لتحقيق التحصين، وهي متمثلة بالآتي:

المطلب الأول: تفعيل دور العلماء وإبراز الثقات للمجتمع

لا يتوقف الدور على العلماء وحدهم بالمفهوم الخاص باعتبار أنّهم أئمة العلم، بل يشمل المقصد الدعاة والمشايخ في الأمة عامة، وفي كل مجتمع وبلدة بشكل خاص، وقد كان من منهج النّبي صلى الله عليه وسلم نبذ الجهل ونشر العلم في كل شيء، لأنّ الجهل أهم سبب من أسباب الشبهات والانحرافات العقدية، وأَمَر أن يكون نشر العلم من كل أحد عنده معلومة صحيحة، فقد روى أبو بكرة رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم قوله: "فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"[2]. وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً أن لا يخلو المجتمع من علماء ثقات يرجع الناس إليهم، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "أتت النّبي صلى الله عليه وسلم امرأةٌ فكلمَتْهُ في شيء فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر"[3]، ولهذا فإنّه يجب إعادة تفعيل دَور أهل العلم، فهم صِمام الأمان في مواجهة الشبهات، وعليهم عبء كبير وواجب دعويّ عظيم في توعية أجيال المسلمين وتنشئتهم على العقيدة الصحيحة، وقد قال سبحانه من قائل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]. فالرسول صلى الله عليه وسلم أو من

[1] جمع آليّة، وهي: كون الشيء آلة لإيصال أثر شيء إلى آخر، بمعنى طريقة إنجاز الأعمال وتفعيلها. ينظر: المراغي، **علوم البلاغة**، (ص252).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (ج2/ص 176/ح 1741).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (ج9/ص 81/ح 7220).

يختارهم هم من يحق لهم الفصل في المسائل، وهم الذين يستنبطونه فيظهرونه بعد خفائه على الناس[1]، وهكذا هو القرآن يربّي ويغرس في قلوب أتباعه الإيمان والولاء للقيادة المؤمنة، ويعلّم الأمة نظام الجندية[2].

وعلى الأمة كلها أن تلتحق بركب العلماء الربانيين، إذ إنّ العلماء هم حماة الدين، وهم الجنود المخلصون لدين ربهم، والدعاة الأوفياء إلى الهداية، فإذا أعاد المسلمون تفعيل دور العلماء، ورفع قيمتهم والنظر إليهم نظرة إكبار وتكريم، فحينئذ سيكون دور العلماء فاعلاً في كل أركان المجتمع، فلا يُلقى بالأمر الجلل على عاتق العلماء وحدهم، بل على الأمة كلها التي صفتها الجندية، وإن كان النّصيب الأكبر على عاتق العلماء[3].

وقد أخبرَنا النّبي صلى الله عليه وسلم أنّ غياب العلماء أمره عظيم على الأمة، فَفُشُوّ الجهل وظهور الجهلة الذين يُفْتُون الناس ويزيّنون لهم الضلال مرتهِن بقبض العلماء في آخر الزمان، فغياب العلماء والدعاة والمصلحين أمر في غاية الضرر للأمة الإسلامية، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"[4]. والحديث واضح في أنّ ذهاب العلماء أمر جد خطير، ويُقاس على غياب العلماء غياب دَورهم، ومع أن الله تعالى قد وهب الناس العلم الذي يتوصلون به إليه عز وجل، فإنّه لا ينتزع هذا العلم الجليل الذي وهبهم إياه بعد أن تفضل به عليهم، وإنما إذا ضيّع الناس التعلّم ضاع العلم، فلم يوجد فيمن بقي بعدها من يَخلُف من مضى من العلماء[5]، وحينها يحصُل الأمر الجلل، فيتصدر الجهلة للفتوى في كل شيء، فيَضِلون ويُضِلون.

ويكون تفعيل دَور أهل العلم بإبرازهم في المجتمع وإعادة هيبة العلم في نفوس الناس، وتقديمهم في كل المحافل التي هم أهل لها، وتصديرهم على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي المنتشرة اليوم، وللتمثيل

---

[1] ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (ج4/ ص 2482).

[2] ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (ج2/ ص 163).

[3] ينظر: رضا، **مجلة المنار**، (ج24/ ص 466).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (ج1/ص 31/ح 100).

[5] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص 177).

على هذا من سنة النّبي صلى الله عليه وسلم: ما رواه عبد الله بن عمرو أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب"[1]. وفي الحديث فوائد منها محبة الماهر بالقرآن، وأن تقديم الذِّكر للرجل على غيره ممن اشتركوا معه في التخصص دليل نبوغه وتقدمه عليهم[2]. فهنا يُبرِز النّبي صلى الله عليه وسلم أسماء لامعة من بين نجوم الصحب الكرام دلالة على علمهم وتقدمهم.

وقد اختصّ النّبي صلى الله عليه وسلم أمر إعداد العلماء بأهمية بالغة، لعلمه بمدى خطورة فقدانهم، فبنى بيئة المجتمع الإسلامي بيئة متكاملة على العلم، فمن وجده من الصحابة أهلاً للتخصص في أمر من علوم الإسلام تبنى موهبته ورعاه حتى أنشأ جماعة من علماء الصحابة، منهم من تخصص في الفقه، ومنهم من تخصص في الحرب، وكذا سائر العلوم[3].

فيجب أن يكون للعلماء دور بارز في أمة المسلمين، ومن ذلك واجب تجديد الإيمان في قلوب الناس، وتبديد سحب اليأس والقنوط من نفوسهم، وأن يعملوا على وحدة المسلمين وجمع صفوفهم، وأن يضعوا خطة عملية لمواجهة الانحرافات الفكرية والعَقَديّة[4]، وأن تكون هذه الخطة عملية مبنية على احتواء المسلمين في بوتقة واحدة، وهذا الأمر بحاجة لجهد عظيم من العلماء بدلاً من أن يعمل كل منهم وَحدَه أو كل مجموعة وحدها، مع أهمية ما يبذلونه من جهود، والمقصود من العلماء والدعاة هنا: الكل المسلم، والبعض المسلم. الكل المسلم؛ أي: كل علماء المسلمين في أصقاع المعمورة. والبعض المسلم؛ أي: علماء كل منطقة وحدهم. ومن واجب العلماء والدعاة والمختصين العمل على تسهيل المسائل الدينية والفكرية والعَقَديّة والمالية على المسلمين، وذلك بتيسير معلوماتها لتصير أقرب إلى أذهان المتلقين، ويرافق ذلك تنقيح المعلومات من الشوائب التي تشتت المتلقي عن قبول المعلومة، وهذه أمور غاية في الأهمية.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، (ج6/ص 186/ح 4999).

[2] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج9/ ص 48).

[3] ينظر: عليان، **الموهوبون في السنة النبوية**، (ص82).

[4] ينظر: العيد، **التحصينات الفكرية للشباب في الإسلام**، (ص 83).

المطلب الثاني: تفعيل دور الأسرة في التربية والتحصين العَقَديّ

تُمثّل الأسرة أحد أجهزة المناعة التي تعمل على التحصين العقدي؛ لأنّ الإنسان يعيش فيها أطول مراحل حياته ويستقي منها عقيدته وأخلاقه وأفكاره وعاداته[1]، لذا فإنّ تهميش دورها يؤدي إلى سهولة الوصول إلى عقيدة أفراد الأسرة بالتحريف والطعن[2]، ويشمل دورها على تقوية الوازع الديني والعمل على نبذ الجهل، والعمل على زيادة التأصيل العلمي والديني، ومما يدلّ على أهمية دور الأسرة ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النّبي صلى الله عليه وسلم قوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول"[3]. فمسئولية الأسرة مسئولية عظيمة يُحاسَبون عليها أمام الله تعالى، فلا بدّ من العمل بمقتضى الحديث وأن يتحمل كل منا مسئوليته.

وتتضمن العقيدة الإسلامية المبادئ والمنظومات الفكرية التي ينشأ عليها أطفال المسلمين منذ الصغر، ثم تقوم بتوجيه سلوكهم صِغاراً ثم كباراً في كل مناحي الحياة[4]، ومما يدلّ على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء؟"[5]، فالأبوان على عاتقهما حمل الحفاظ على عقيدة الأبناء بتفعيل دور الأسرة في التحصين، وتهيئة البيئة المناسبة لبقاء الفطرة الإسلامية على أصالتها، ويتحقق هذا الأمر بإصلاح الوالدَين نفسيهما ابتداءً، ولا يكون ذلك بتعليم الأب دون الأم، بل يجب تأهيلها كما الزوج[6]، وأن يلتزما التعلم وزيادة رصيدهما الإيماني ومخزونهما الفكري، فيكونان بذلك قدوة حسنة للأولاد، ثم بعد هذا يهيئان البيئة الآمنة والأجواء المناسبة لتربية أولادهما على

---

[1] ينظر: محمد، **أهداف الأسرة ووظائفها**، (ص 72).

[2] ينظر: زريفة، **عوامل استقرار الأسرة في الإسلام**، (ص 126).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب {قوا أنفسكم وأهليكم نارا}، (ج7/ص: 26/ح 5188).

[4] ينظر: السليماني، **دور الأسرة في حفظ الهوية الإسلامية من خطر الغزو الفكري**، (ص 487).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، (ج2/ص: 95/ح 1359).

[6] ينظر: الحسن، **دور الأم المسلمة في تنشئة الداعية القائد**، (ص 43).

العقيدة الصحيحة والطريق السليم، وذلك بربط الأولاد بالكتاب والسنة محبة وتعظيماً واتّباعاً، ففيهما النجاة من المهالك[1].

ومن وظائف الأسرة أيضاً: النصح للأولاد، فقد روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم". والنّصح لكل مسلم يشمل النّصح لأفراد الأسرة، ويكون ذلك بإرشادهم لما فيه مصلحتهم، ومعونتهم في أمور دينهم ودنياهم قولا وعملا، وتنبيه الغافل منهم وتعليم الجاهل، وستر عوراتهم، ودفع كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم، وجلب المنافع في الدين والدنيا إليهم[2]. وآكَد الأشياء التي يجب حفظها: عقيدتهم، وآكَد الأضرار التي يجب دفعها الشبهات والانحراف في العقيدة. وقد كان نصح لقمان الحكيم لابنه في قول الله تعالى: سمحوَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞسجى [لقمان: 13]، وقد قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره الآية: "وقد جمع لقمان في هذه الموعظة أصول الشريعة وهي: الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس"[3]، وهذا يدلّ على أهمية النصح في تحصين العقيدة من الانحرافات العقدية.

ويَلزَم مع ما سبق ذكره: التزام الأسرة بالمَطعَم والمشرب الحلال، واجتناب المنكرات والغش وسائر المحرمات، ويلزم مع كل ذلك: الإكثار من الدعاء، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن[4]. وقد روى معقل بن يسار رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يُحِطْها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة"[5]، فمسؤولية الأسرة في إنشاء النشء الصالح مسؤولية عظيمة، ولتتمكن الأسرة من تحمل المسؤولية فعليها أن تعدّ نفسها الإعداد الجيد، فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه، وبناءً على ما سبق الحديث عنه فلا بدّ أن يقال لكلا الوالدَين: أمسك بيد أهلك، فإنّ الأمة الإسلامية بحاجة لكم، والأمر خطير، والمطلَب عزيز، وإنها جنة عرضها السماوات والأرض.

---

[1] ينظر: الشهراني، **دور الأسرة في تحصين الأولاد ضد الانحراف الفكري في ضوء القرآن الكريم**، (ص 315-316).

[2] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج 1/ ص 308).

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج21/ ص 154).

[4] ينظر: العيد، **التحصينات الفكرية للشباب في الإسلام**، (ص 72-74).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، (ج9/ص 64/ح 7150).

ومن جميل الفوائد التي يحسُن التأكيد عليها: أنّ من معاني النصح في اللغة تخليص العسل من الشوائب[1]، وهو بهذا يتناسب مع النّصح لكل مسلم بأن يجعل نصيحته لهم كمن يهدي لهم العسل خالصا نقيا، فيوصل إليهم الفكرة كمن يطعمهم العسل الخالص النقي، بكلام جميل يتناسب مع السياق الجميل، فيكون الكلام حلواً والناتج المقصود حلواً، وبهذا فإنّ نصح الأسرة يعني تخلصهم من الشوائب وتنقيتهم من الانحرافات بأسلوب حلو يكون الكلام فيه كمن يطعمهم العسل، فسبحان من أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم.

ولأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما للمرأة من دور بالغ في تأسيس أسرة مستقرة خالية من الانحرافات العقدية، فإنّه حثّ على تربيتها وتنشئتها على الاعتقاد السليم والدين القويم، فقد روت عائشة رضي الله عنها أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَن ابتُلِي من هذه البنات بشيء كنّ له ستراً من النار"[2]، فلأنّ بعض الناس يكرهون الرزق بالبنات أخبرهم أنّه ابتلاء وعليهم بجهاد أنفسهم في الإحسان إليهن، وهو تأكيد على حق البنات في الرعاية فأجزل الثواب عليه، ووعد من أحسن إليهن بالستر من النار[3]، وهذا مرتهن بالقيام بواجب الرعاية المشتمل على كل الجوانب الدينية والدنيوية. ثم نصح الحبيبُ صلى الله عليه وسلم المسلمين المقبلين على الزواج أن يبادروا لاختيار ذات الدِّين لأنّها أحرى بأن تثري الأسرة بالاستقرار والتوجيه الديني اللازم للتحصين العقدي، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[4].

ثم بعد أن قام بتأسيس هذا النظام حمّل المسئولية للرجل والمرأة معاً في حماية الأسرة وتحصينها ورعايتها فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها"، فهما يشتركان معاً في حفظ الأولاد وحسن تربيتهم، وربما كان دور الأم في السنوات الأولى أهم من دور الأب، لأنّ الأولاد يعايشونها ويأخذون

---

[1] ينظر: الفيروز آبادى، **القاموس المحيط**، (ص 244).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، (ج2/ص 110/ح 1418).

[3] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج 10/ ص 429).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، (ج7/ص 7/ح 5090).

عنها في تلك الفترة أكثر من الأب، وتتحمل مسئولية معونة زوجها في أن تمسك بيده إلى الجنة وما يعين ويقرب إلى الله تعالى[1].

المطلب الثالث: تفعيل دور المؤسسات التعليمية والإعلامية:

تحوي الأمة الإسلامية الكثير من المؤسسات التي تعمل في مجمل عملها لخدمة المجتمع، وإحدى الخدمات التي تؤديها المؤسسات هي الحفاظ على عقيدة المجتمع، ويتأتى ذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: تفعيل دور المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والجامعات والمعاهد:

إنّ لهذه المؤسسات أثر بالغ في تكوين الحصانة الفكرية والعَقَديّة عند أولاد المسلمين بكافة أعمارهم؛ لأنّها ترفد المجتمع بالعناصر القادرة على صياغة المستقبل الحضاري، والقادرة على حلّ أزماته وإشكالاته[2]، وقد أدى إهمال دورها في التحصين العقدي إلى مآلات خطيرة على عقيدة شريحة واسعة من المسلمين في ظل الانفتاح العالمي على وسائل التواصل والتكنولوجيا، ومما زاد الطين بلّة أن تم تهميش دور المسجد كمؤسسة من أهم المؤسسات في التحصين العقدي، مع أنّ أول ما أنشأه النّبي صلى الله عليه وسلم في الدولة الإسلامية هو المسجد النبوي فجعل المسجد أهمّ مؤسسة في عصره، وكان من أهدافه أن يكون المؤسسة التعليمية والوجهة الأولى عند المسلمين لطلب العلم، ويقوم فيه النّبي صلى الله عليه وسلم ببناء العقيدة السليمة وتفعيلها في شتى مناحي الحياة، إضافةً إلى تفنيد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام في زمانه، مما يؤدي إلى تكوين العقل النّاقد القويم الحصين في اعتقاده وصفاء دينه.

لذا فقد راعى النّبي صلى الله عليه وسلم أن يكون البناء العقدي بناءً متزناً، آخذاً بعين الاعتبار اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان النّبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة في الأيام"[3]، والمعنى المقصود أنّه يصلحهم ويقوم عليهم بالموعظة

---

[1] ينظر: القرضاوي، **الأسرة كما يريدها الإسلام**، (ص 34-35).

[2] ينظر: العلواني، **دور المؤسسات التعليمية في معالجة ظاهرة التكفير**، (ص 4621).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب ما كان صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كى لا ينفروا، (ج1/ص 25/ح 68).

برفق ولين حتى يؤصّل فيهم العقيدة السليمة والحكم الشرعي القويم[1]. وكان من فهمه صلى الله عليه وسلم أن زرع نفسه بين كل فئات المجتمع يعلّمهم كل ما يحتاجون من أمور دينهم بل وأكثر مما يحتاجون، حتى إنك لتجده حاضرا إلى الآن بيننا يعلمنا ما نحتاجه، فهو صلى الله عليه وسلم أعطى الصحابة علوماً لم يكونوا بحاجتها ثم مِن بعدهم احتاجت الأمة إلى تلك العلوم. والشاهد هنا أنّ المعلم الأكبر صلى الله عليه وسلم اتبع منهج التعليم الواسع لكل الناس كل بحسب طاقته وقوة قريحته، ومن أمثلة ذلك المواعظ المتعددة للنبي صلى الله عليه وسلم كالتي رواها أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لقد عُرِضَت عليّ الجنة والنار آنفا في عُرْض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أر كاليوم في الخير والشر"[2]، وكل حياته عليه الصلاة والسلام منهاج يَدرسه المسلمون فيتعلّمون منه أمور دينهم، فتتحصن عقائدهم، وتصفو أفكارهم وتصوراتهم.

لكنّ الواضح للعيان أنّ المؤسسات التعليمية الحالية إما أنّ دورها محدود جداً، وجزء منها تم تهميشه، وإمّا أنّ منهجيتها بحاجة إلى إعادة هيكلية وتجديد، والنّظر إلى اعتبارات العصر الحاضر وما رافقه من مستجدات فكرية وتكنولوجية، والتجديد في هذا الأمر ليس بمعيب، فلكل زمان دولة ورجال، وإذا كانت الفتاوى تتكيف مع الزمان والمكان في الفرعيات الفقهية، فإنّ المناهج التعليمية في كافة المؤسسة بحاجة إلى التجديد والتكييف مع واقعنا المعيش.

وهذا يعني وجوب إيجاد برامج مخصصة لتوعية الناس بالانحرافات العقدية المحيطة، عن طريق تفعيل دور المؤسسات التعليمية وتمكين الفرد من الاستفادة منها بأقصى فائدة من خلال الخدمات المختلفة التي يمكن أن توفرها المدرسة والجامعة[3]. وقد قال ربنا الجليل تعالى شأنه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

[1] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص 153).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، (ج9/ص 95/ح 7294).

[3] ينظر: ، العلواني، **دور المؤسسات التعليمية في معالجة ظاهرة التكفير**، (ص 4637)

يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: 122]، والآيات السابقة لهذه كانت في التحريض على الجهاد، وجاءت هذه الآية للتحريض على العلم بنفس الأسلوب الذي حرّضت فيه سابقاتها على الجهاد، وهذا رفعٌ لمقام العلم، وندبٌ إلى تفعيل دور التعليم لأهميته في تحصين الأمة[1].

وفي سياق الآية السابقة نفسه من الناحية الأصولية، تجد أنّ الأمر بأن تَنفِر طائفة من المسلمين ليتفقهوا في الدين يعني بالضرورة: وجوبَ إيجاد مؤسسات تعليمية تتناسب مع واقعهم الذي يستلزم أن يكونوا علماء في كافة التخصصات التي ينفرون إليها، فوجب حينئذ أن تكون المؤسسات التعليمية مراعية لأحوال وظروف الوافدين المتعلمين بما يتناسب مع كل منهم، وهذه مسئولية عظيمة تتناسب مع عظمة دور التعليم في الإسلام[2].

ثانياً: تفعيل دور الإعلام الهادف:

تقوم أهمية الإعلام على جمع البيانات وتحليلها ومعالجتها، وتقديم هذه المعلومات مُدَعَّمَةً بعد التحقق والتأكد منها، وصياغتها بأسلوب يتقبله المجتمع باستخدام كافة الوسائل المتاحة، وقد برزت وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر فصارت سمة عامة فيه[3]، ومن هنا تبرز أهمية الإعلام في ظل ما تعانيه أمتنا من خلل في الجوانب السابقة، ومع أهمية ما تم ذكره قبلاً وضرورة تفعيل دور تلك الجوانب، إلا أنّ التحديات كبيرة، وفي ظل هذه التحديات الكبيرة تتجلى أهمية دور الإعلام الهادف، فإنّ أجيالاً من المسلمين يجلسون أوقاتاً طوالاً في أمام الشاشات بأنواعها، في ظلّ غيابٍ لمنظومة الأسرة والمدرسة والجامعة في الجانب التّحصين العقدي، ومع أهمية دور الإعلام في الوضع الطبيعي، تبرز في هذا الوضع الاستثنائي أهمية دور الإعلام الهادف.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج 11/ ص 59).

[2] وهذا المعنى مستنبط بطريق دلالة إشارة النص. ينظر: الدريني، **المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي**، (ص 225).

[3] ينظر: موسى، **دور الإعلام في العصر الحديث في ترسيخ العقيدة الإسلامية**، (ص 353).

ومما يزيد في أهمية الإعلام في عصرنا: التطور المهيب في وسائل الاتصال التي جعلت من السهولة تخطي الحدود، وبرزت كوسيلة مهمة في الغزو الفكري والثقافي والديني، والتأثير على الأخلاق ونشر الشهوات والشبهات، ويصاحب هذا أمر مهم جداً؛ هو: طول وقت الفراغ عند الكثيرين من فئة الشباب من الجنسين، لأسباب كثيرة منها البطالة، ومنها الانحراف عن البوصلة الإسلامية في أهمية الوقت[1].

وقد اهتم النّبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الإعلامي لعلمه بأهميته وتأثيره على مسار الدعوة، فكتب الكتب والرسائل للملوك من حول الدولة الإسلامية، ومن أمثلة ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام"[2]، والكتب والرسائل كانت من وسائل الإعلام، واستعمل الشِّعر باعتباره وسيلة إعلام مهمة، وكان له من الشعراء حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقال صلى الله عليه وسلم له فيما رواه عنه الراء بن عازب رضي الله عنه: "اُهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[3]، وروى حسان بن ثابت رضي الله عنه في موضع آخر أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا حسان، أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم أيّده بروح القدُس"[4]، وهذا الإعلام الممدوح هو ما يكون في سبيل الله، وفي سبيل علوّ الإسلام وصفاء صورته أمام المجتمعات، كيلا تصلهم صورته مشوهة فينفروا من الإسلام بسبب ذلك، وممّا يشهد لهذا ما روته عائشة رضي الله عنها أن حسّاناً رضي الله عنه استأذن النّبي صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين، فقال له عليه الصلاة والسلام: "كيف بنَسَبي؟ قال: لأسُلّنّك منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين"[5].

والمعنى المراد من قول حسان: "لأتَلَطّفنّ في تخليص نَسَبِك منهم حتى لا يُغِمّك هَجْوَى لهم، ولا يَلحَق بكَ سَبّي إياهم، كما يُتَلطّفُ في إخراج الشعرة من العجين؛ لئلا ينقطع فيبقى فيه"[6]، وهذا من شأن الإعلام

---

[1] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص94).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة، (ج4/ص ٤٥ /ح 2940).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (ج4/ص 112/ح 3213).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد، (ج1/ص 98/ح 453).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، (ج 5/ص ١٢١/ح 4145).

[6] القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج7/ ص 528).

الذي يتم تفعيله في خدمة الإسلام، فيتلطف في دعوة الناس، ويتلطف في عرض القضايا عليهم، ويخاطب كلا منهم على قدر عقله، ويوصل المقصود بعبارات دقيقة مُفهمة للمغزى.

ويضاف إلى ذلك أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم فرّق في الشعر –وهو الإعلام في عصره– بين الشعر النّافع والشعر غير النّافع، أي: فرّف بين الإعلام الهادف للحق، وبين الإعلام التافه أو الهادف للباطل، فقال في شأن الإعلام الهادف للحق، ما رواه أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ من الشعر حكمة"[1]، وقال في الإعلام التافه أو الهادف للباطل: ما رواه عبد الله بن عمر من قوله صلى الله عليه وسلم: "لَأن يمتلئ جَوف أحدكم قَيحاً، خير له من أن يمتلئ شعراً"[2]، وقد أخرج البخاري هذا الحديث تحت باب (ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر)، فيتخذ المرء الشعر ولا يتخذ غيره، فيهمل بذلك القرآن والعلم والعمل، فلا يكون في قلبه لغير الشعر مكان[3]، وهذا توصيف مهم لسفاسف الأمور وتوافهها إذا تعلق الإنسان بها ولم يجعل لغيرها مكاناً ولا وقتاً، وسيكون من باب أولى باعتبار مفهوم الموافقة[4]: ذمّ الإعلام الهادف للطعن في الثوابت الإسلامية، وحرف بوصلة المسلمين عن عقيدتهم الغراء، وبث الشبهات والدسائس في عقول المسلمين وقلوبهم.

ويدخل ضمنياً في هذا الإطار؛ إطار الجانب الإعلامي: القنوات التلفزيونية وإن كان تأثيرها قد خفّ كثيراً في ظل الثورة التكنولوجية الحديثة، ويدخل فيه أيضاً: وسائل التواصل الاجتماعي، وقنوات اليوتيوب، وما إلى ذلك من وسائل على الأجهزة الذكية المشتهرة حالياً، وعلى أهل العلم ومحبيهم مواكبة هذه الثورة التكنولوجية بما فيها الآن وبما ستحمله في طياتها في المستقبل.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، (ج8/ص 34/ح 6145).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، (ج8/ص 36/ح 6145).

[3] ينظر: ابن الجوزي، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، (ج1/ ص250).

[4] ينظر: الدريني، **المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي**، (ص 359).

وقد كان من أهداف أعداء الإسلام أن عملوا على تضييع الحقائق في سيلٍ من الشبهات والأكاذيب، حتى قال أحد قادة أعداء الإسلام: "الحقيقة نفيسة إلى درجة تلزمنا بحراستها بأكوام من الأكاذيب"[1]، ففي ظلّ انتشار الأكاذيب التفاهات، صار من الصعب وصول الدعاة إلى شريحة كبيرة من الناس، وصار من الصعب للباحث عن الحقيقة العثور على إجابة شافية من عالِم مختص، فإنّه لاختلاط الحابل بالنّابل يتوه في بحر من التفاهات وسيل من المنشورات التي تلهيه عن هدفه، وهذا يواجهه من يدخل إلى بقية الوسائل الإعلامية الحديثة، ومما يُعين على تجنب هذه المشاكل: إنشاء وسائل مخصصة للدعاة والمصلحين وأهل العلم، إلى جانب البقاء في الوسائل متوفرة حالياً كي تتسع شريحة الناس الذين يمكن الوصول إليهم.

فوجب على الدعاة والعلماء أن يتعلموا كيف يستغلون هذه الوسيلة الإعلامية الهامة وتجميل الخطاب وابتكار الطرق لإيصال الردود بأساليب سهلة الدخول إلى العقول والقلوب، ووجب أن يكون هناك مختصون إسلاميّون في المجال الإعلامي، لأنّ الانترنت دخل كثيراً من المنازل، وصار بين يدي فئات كثيرة من الشعوب، فاستحقّ أن يتم استغلال هذه الوسيلة لنشر الدين الإسلامي وتحصين عقيدة المسلمين، ورافق الانترنت أن دخلت وسائل التواصل الاجتماعي إلى بيوت الكثيرين، فصار نشر الشبهات سهلاً جداً، ورافقه أيضاً أن يكون نشر الإسلام أسهل، ودفع الشبهات كذلك[2].

المطلب الخامس: تفعيل دور المراكز البحثية في المدارس والجامعات، والمراكز الخاصة:

تُعدّ المراكز البحثية من الأهمية بمكان، فهي تجمع المعلومات وتحللها وتعالجها، وتقدم النتائج في تقارير وأبحاث توصيات، وبناء على النتائج تقوم هذه المراكز ومن يهتم لها بعمل دورات وندوات في سبيل علاج الإشكالات التي حللتها المراكز البحثية، وهذا ينطبق على الشبهات والانحرافات العقدية، وهذا الأمر ينتج عنه نتيجتان مهمتان جداً:

---

[1] يُنسب هذا القول إلى ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني الراحل، ولم يعثر الباحث في حدود ما اطلع عليه على مصدر يوثق نسبة هذه المقولة إليه، لكنها منتشرة على أنها من أقواله، وتم اقتباس هذه المقولة من موقع العرب: https://alarab.co.uk، بتاريخ 2025/11/13م.

[2] ينظر: موسى، **دور الإعلام في العصر الحديث في ترسيخ العقيدة الإسلامية**، (ص 369-372).

الأولى: تفعيل دور شرائح المجتمع عامة في المدارس والجامعات، فإنّ طلاب المدارس والجامعات يمثلون شريحة كبيرة من المجتمع وهم عماد الأسرة المستقبلية، والزجّ بهم إلى نقاط التماس في هذه المسائل العلمية بالتوجيه الصحيح، سيثري المجتمع عامة، ويعمل على تحصينهم أنفسهم، ويثري المنظومة العلمية بما يقدمونه من وسائل لإيصال التحصين إلى بقية فئات المجتمع، وبخاصة إذا أشرف على هذه المراكز البحثية والعلمية أهل العلم والمختصون.

ومما يدلّ على ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النّبي صلى الله عليه وسلم: "من يأتيني بخبر القوم. يوم الأحزاب. قال الزبير: أنا. ثم قال: من يأتيني بخبر القوم. قال الزبير: أنا. فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبي حَوارِيا وحَوارِيَّ الزبير"[1]. والحواريُّ هو الناصر والصديق المخلص والمجاهد والصياد[2]، وبهذه الوثبة التي وثبها الزبير رضي الله عنه صار كمركز بحثي يستقصي الآثار ويجمع الأخبار ويحللها وينقلها إلى النّبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يُعدّ أحد أعمدة الانتصار في المعارك القتالية منها والعلمية، فلا يزال المسلمون يخوضون المعارك الفكرية كما يخوضون المعارك القتالية.

الثانية: تفعيل دور المراكز البحثية الخاصة التي عليها أن تستقصي الشبهات العامة والخاصة الموجودة في المجتمع، وأن تضع طرقاً عملية للوصول إلى شرائح المجتمع، عن طريق الندوات، أو الحلقات العلمية، أو المخيمات الصيفية، أو إنشاء مؤسسات خاصة لمراقبة الفكر والعقيدة في المجتمع، بما يشمله ذلك من مراقبة لما يتم بثه من أفكار على الانترنت وفي المحافل الدراسية وغير ذلك، أو ما تجده هذه المراكز مناسباً للوصول إلى أكبر نسبة من فئات المجتمع.

ومن أمثلة الندوات الفكرية العَقَديّة ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: "جاء نفر من بني تميم إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا بني تميم أبشروا. قالوا: بشرتنا فأعطنا. فتغير وجهه. فجاءه أهل

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، (ج4/ص 27/ح 2846).

[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (ج4/ص 220). وينظر: القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (ج1/ص 235).

اليمن. فقال: يا أهل اليمن: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم" الحديث[1]، فقد عقد النّبي صلى الله عليه وسلم الندوات التي كانت تهدف إلى تصحيح المسار العَقَديّ عند الناس أفرادا وجماعات، فمنهم من أعرض فخاب وخسر، ومنهم من قبِل التحصين ففاز.

وقد كان أحد أهداف تأسيس المسجد في الإسلام يكون مركزاً بحثياً إسلامياً، يجتمع فيه الناس لحضور الندوات والدورات التعليمية لتحصين عقيدتهم، فيقوم النّبي صلى الله عليه وسلم بتحليل الشبهات وجمع المعلومات حولها، وإصدار النتائج في شكل ندوات ودورات وحلقات علمية، ومثال ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "صَنع النّبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخّص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النّبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله، ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إنّي لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"[2]، وقد جمع النّبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين القوة العلمية والقوة العملية، فذكر لهم أنهم توهموا أنهم يتقربون إلى الله بالترفع عما يفعل النّبي صلى الله عليه وسلم، وليس الأمر كذلك، فهو أعلمُهُم بما يقرّب من الله وهو الأولى بعمله[3].

فابتدأ بذكر الشبهة حيث وضّح لهم أنهم أخطأوا في فهمهم، ومن باب علمه بكل ما يُقرب من الله أوضح لهم سبب خطئهم في الفهم، ففي قولهم طعن خفي في النّبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ قولهم يُفهِم بأنّهم يعلمون ما يُقرب إلى الله أكثر منه، وأنّهم يخشون الله أكثر منه، ولحرصه على أن لا يقعوا في فخ الشيطان هذا أوضح لهم الشبهة، وحللها لهم، وبيّن لهم أنّه هو الأشد خشية لله والأَوْلَى بعمل كل ما يُقرب إلى الله، فإنّ الحل هنا والإجابة عن الشبهة: عدم الترفع عما يفعله النّبي صلى الله عليه وسلم. وهذه الحادثة تعبّر عن وصول الشبهة إلى مسمع النّبي صلى الله عليه وسلم، وأنه عمل لها ندوة للصحابة عالج فيها هذه الشبهة.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده}، (ج4/ص 105/ح 3190).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (ج8/ص 26/ح 6101).

[3] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج10/ ص 513).

الفصل الرابع

آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ[1]

المبحث الأوّل: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال الوجداني[2] (العاطفي والإيماني)

السعادة إحساس داخلي معنوي لا يُرى بالعين المجردة، ولا يمكن شراؤه أو قياسه أو احتواؤه، ولا وجود لهذه السعادة إلا بين جوانح الإنسان، فهي صفاء النفس وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر وراحة الضمير وبرد اليقين، وهذه المعاني لا يملكها بشر فيعطيها أو يمنعها، وإن الذين يجدون السعادة يرون حوادث الدهر بعين أخرى، فيبتسمون لها وإن كشرت هي أنيابها، ويرون فيها مِنَحاً تستوجب شكر الله، وهذه السعادة لا تتحقق إلا لمن ذاق حلاوة الإيمان، وكانت عقيدته على ما أراد الله تعالى؛ فالسعادة هي إحدى ثمار العقيدة السليمة[3]، المرتهنة بإيجاد الطمأنينة والمبنية على صحة الاعتقاد واستقراره، وقد درس الباحث هذا الجانب من آثار التحصين النبوي للعقيدة فأسفر عن عدة آثار تتعلق بالمجال الوجداني، قسمها الباحث على المطالب التالية:

المطلب الأول: تعميق محبة الله ومحبة ورسوله ﷺ:

المحبة المقصودة هي الإيمان الحقيقي الذي تبدو آثاره في سلوك المسلم، فإنّ المحب لمن يحب مطيع[4]، وقد عرّفها ابن القيم بأنها: "سَفَرُ القلب في طلب المحبوب، ولَهَجُ اللسان بذكره على الدوام، أما سَفَر القلب

---

[1] أحجم الباحث عن تقسيم المباحث باعتبار الفرد والأسرة والمجتمع؛ بسبب التداخل الكبير الحاصل بين آثار كل قسم منها مع الآخر، ووجد الباحث أن التقسيم الذي عرضه يُفضي إلى المقصود بعرض واضح مع تجنب التكرار في تبيان الآثار، والله الموفق.

[2] أصل الوجدان من مادة وجد، وهي تعبّر عما يجده المرء ويُلفيه، فيقال: وجدتُ الضالة وُجدانا، ووجدت الغضب وجدانا. ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج6/ ص86). والمقصود بالمجال الوجداني: ما يجده المرء في قلبه من الإيمان والعواطف والانفعالات.

[3] ينظر: الشرقاوي، **أثر الإيمان في الفرد والمجتمع**، (ص11-12).

[4] ينظر: زهران، حامد عبد السلام، **التوجيه والإرشاد النفسي**، عالم الكتب، ط3، (ص 352).

في طلب المحبوب: فهو الشوق إلى لقائه، وأما لَهَج اللسان بذكره: فلا ريب أن من أَحَبَّ شيئاً أَكثرَ من ذِكره"[1].

المسألة الأولى: محبة الله:

محبة الله تعالى لها الأهمية العظمى في كونها أساس الإيمان وأصل العبادة، ولذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله تعالى، فهو الوحيد الذي يستحق العبادة والمحبة المطلقة[2]، ويُعَدّ هذا الأمر أساس التحصين من الانحراف؛ إذ هو المقصود المُرتَجى، فالمسلم الذي تحصنت عقيدته لن يُقدِم على طاعة أحد في معصية الله تعالى لأنه يعتقد بأن رضا الله تعالى مقدَّم في رأس الهرم، ولا يدّعي أن طاعة مخلوق في المعصية دليل على المحبة، إذ كل حُب في غير الله لا قيمة له، وكل طاعة في معصية الله مآلها إلى النار، ودليل ذلك ما رواه علي رضي الله عنه: "أن النّبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً، وأمّر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً، وقال: ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة. وقال للآخرين: لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف"[3]. وفي الحديث نهي واضح عن الطاعة في المعصية، كائناً من كان الآمر بذلك، سلطاناً أو أميراً أو أي شيء كان، والداً أو ابناً أو كائناً من كان[4].

ولا شكّ بأنّ الخلق يحتاجون الله تعالى من جهة ألوهيته[5]؛ فلا صلاح لهم إلا بكونه هو وحده معبودهم الذي يحبونه ويطيعونه ويعظمونه، ولا يجعلون له ندا يحبونه كحب الله، بل أن يكون كل ما يحبونهم سوى الله إنما يحبونهم لأجل الله، ودليل هذا ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء

---

[1] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (ج3/ ص 17).

[2] ينظر: الحافي، **محبة الله الطريق إلى عبادته عند ابن القيم الجوزية**، (ص24).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، (ج9/ص 88/ح 7257).

[4] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج8/ ص 214).

[5] يعني هذا افتقار العبد إلى ربه جل جلاله، وفي الافتقار إلى الله تعالى يقول ابن القيم: "الاستغناء بالله هو عين الفقر إليه، وهما عبارتان عن معنى واحد؛ لأن كمال الغنى به هو كمال عبوديته، وحقيقة العبودية كمال الافتقار إليه من كل وجه، وهذا الافتقار هو عين الغنى به". ابن قيم الجوزية، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، (ج1/ ص 97).

لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[1]، ومن المعلوم أن كل أمر من العبادات كالدعاء والحب والذل والخوف والرجاء والافتقار وما إلى ذلك يكون مشروطاً بالشعور بمحبة المسؤول المرجو المعظم، الذي تَعرِف النفوسُ حاجتها إليه، والذي يتواضع كل شيء لعظمته سبحانه[2].

المسألة الثانية: محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من نواتج محبة الله تعالى محبة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ محبة الله تعالى تقتضي أن يحب ما يحب الله ويرتضي، وأن يعمل بمقتضى هذه المحبة، ومما جاء في تبيان فضل محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رجلاً سأل النّبي صلى الله عليه وسلم: "متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت"[3]. ومعنى أنّه مع من أحبَّ أي أنّه ملحق بهم ومن زمرتهم[4]، وفي الحديث تبيان لفضل محبة الله الجليل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف أن هذه المحبة تكون سبباً في دخول الجنة إن كانت صادقة مستوفية الأركان والشروط، بطاعتهما والتأدب بآداب شريعتهما، والانتهاء عما نهيا عنه، وفي محبتهما يحب الصالحين وأعمالهم لأجلهما[5].

وكان من توجيه النّبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم وحرصاً على حصانة عقيدتهم أن اشترط عليهم محبته فوق أي محبة دنيوية أخرى، وما تكون هذه المحبة في المحصلة إلا في سبيل الله تعالى، فعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: "كنا مع النّبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النّبي صلى الله

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ج1/ص 12/ح 16).
[2] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج3/ ص 136).
[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، (ج8/ص 40/ح 6171).
[4] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج10/ ص 555).
[5] ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج 8/ ص119).

عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنّه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر"[1].

والظاهر المنطوق من الحديث يدلّ على عدم اكتمال الإيمان إلا بأن تكون محبته صلى الله عليه وسلم فوق كل محبة دنيوية، شريطة اعتقاد الأعظمية له، وأن يقدّم اختيار فقد كل شيء سواه على فقده، وأن يعتقد ضرورة نصرته ونصرة منهجه وسنته وعقيدته، والعمل بمقتضى شريعته[2]، ومن وجهه المفهوم غير المنطوق يدلّ على محبة الله تعالى، فإذا كانت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم التابع لربّه تعالى، فكيف في حبه تعالى الذي إنّما وجبت محبته صلى الله عليه وسلم لحبه، والذي لا يجوز أن يكون معه ند في المحبة للمخلوقات، بل إنّ ذلك معدود من الشرك[3].

المطلب الثاني: الرجاء والخشية:

العلاقة بين العقيدة وبقية جوانب الدين هي بمثابة العلاقة بين الرأس والجسد[4]، فرأس الأمر الإسلام وهو العقيدة السليمة، وأما ما تبقى من الدين فيمثل الجسد، فإذا تحصل في قلب المؤمن الخوف والرجاء كان شعاع نور كلمة التوحيد في قلبه عظيم النفع، فلا يعبأ صاحب العقيدة السليمة بالشبهات، بل يُحرق شعاع التوحيد في قلبه كل انحراف وشبهة، وكلما كان الشعاع في قلبه قوياً انقطع عن الذنوب أكثر، وبحسب نور العقيدة في القلوب يكون النور يوم القيامة بين أيديهم وبأيمانهم، وكلما زاد شعاع نور العقيدة أحرق الشهوات والشبهات والانحرافات بحسب قوته، حتى يصير لا يصادف شبهة إلا أحرقها[5]، فهو في هذا يتدرب ويتدرج حتى يصير لا يجد مشقة في ترك أي شيء لله تعالى، فإنما يجد المشقة من تركها لغير الله تعالى، أما من تركها لله فإنه يجد لذة في تركها حتى لو شق عليه الأمر في أوله[6].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، (ج8/ص 129/ح 6632).

[2] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج1/ ص 59).

[3] ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، (ج6/ ص 62).

[4] ينظر: المباركفوري، **بعض آثار العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع**، (ص 56).

[5] ينظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، (ج1/ص 508).

[6] ينظر: ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، (ص 156).

المسألة الأولى: الرجاء:

ويعني: ابتهاج القلب وراحته لتوقع حصول أمر محمود في المستقبل، على أن يقوم العبد بما يجب عليه نحو الأمر المحمود، لا أن يتكل على الكسل، فإذا قام بواجبه لم يبقَ إلا أن يتأمل من الله تعالى تحقيق الأمر المحمود[1]. وهو يدلّ على الثقة بجود الله تعالى وفضله، ويختلف عن التمني في أن التمني يصاحبه الكسل بينما الرجاء يصاحبه العمل[2]. وهذا التفريق غير مطّرد فإن بعض العلماء استعمل التمني على غير الوجه المذموم، فالبخاري في صحيحه أفرد كتاب التمني وجعل أول أبوابه: "باب ما جاء في التمني ومن تمنّى الشهادة"[3]، ثم جعل أول الكتاب حديثاً رواه أبو هريرة رضي الله عنه في تمني النّبي الشهادة لنفسه صلى الله عليه وسلم فقال: "والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً يكرهون أن يتخلفوا بعدي، ولا أجد ما أحملهم، ما تخلفت، لوددت أني أُقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل"[4].

وفي الحديث آنف الذكر تبيان لأهمية الرجاء على تحصيل التحصين العقدي والفلاح في الدنيا والآخرة بتمني الخير الوفير المترتب على الجهاد، فهو من الرجاء الممدوح، وهو صادر عن النّبي صلى الله عليه وسلم وهو في أعلى درجات مقامات العلم بين خلق الله تعالى، ولذلك يقول ابن حجر: "وكأنه قال: الوجه الذي يسيرون له فيه من الفضل ما أتمنى لأجله أني أُقتَل مرات، فمهما فاتَكم من مرافقتي والقعود معي من الفضل، يحصل لكم مثله أو فوقه من فضل الجهاد"[5]، ولا شكّ بأنّ غرس هذا الرجاء في قلوب المؤمنين على كافة فئات المجتمع قد بناه النّبي صلى الله عليه وسلم على الإيمان بالله واليوم الآخر[6].

---

[1] ينظر: عويضة، **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، (ج5/ص 235).

[2] ينظر: عدد من المختصين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم**، (ج 5/ص 2022).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التمني، باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة، (ج9/ص 82).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التمني، باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة، (ج9/ص 82/ ح 7226).

[5] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج6/ ص 17).

[6] ينظر: ابن طنطاوي، **عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان**، (ص 267).

المسألة الثانية: الخشية:

جعلها ابن منظور بمعنى الخوف[1]، واستعملها جماعة من أهل العلم على أنها مرادفة له، ولكنها أخَصّ من الخوف؛ فهي الخوف المقترن بالمعرفة والتعظيم والإجلال[2]، وقد جعلها الله تعالى للعلماء لمّا قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، والآية تدلّ بدلالة الالتزام أنّ غير العالِم لا تتأتّى منه الخشية، والعالِم المقصود هو صاحب العقيدة والأخلاق والعبادات، الذي يتلو كتاب الله ويستفيد منه علما متجددا بتجدد التلاوة[3]. وعن عائشة رضي الله عنها أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "فوالله إني لأعْلَمُهُم بالله وأشَدُّهُم له خشية"[4]، فالخوف يُعبّر عن حركة، والخشية تُعبّر عن انجماع وانقباض وسكون. فالخوف إذاً لعامّة المؤمنين، لكنّ الخشية للعلماء العارفين، والهيبة من الله تكون للمحبّين، والوجل منه تكون للمقرّبين، وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية[5].

والمسلم اللبيب لا يعيش على الرجاء وحده دون الخشية؛ لأنّ العبد إذا كان دائم الاستشراف بقلبه والسؤال بلسانه في طلب فضل ربه فقد وقع في الرعونة[6]، ومع ذلك فإنّ العارف يستطيع أن يستعمل الرجاء على الوجه المحمود، فيكون الرجاء في حقه جنداً من جند الله، يَسْتخْرِج من العابد العارف ما يَسْتَخرِجُ من غيره؛ لأنّ بعض القلوب تلين وتستجيب عند مشاهدة الإحسان والكرم، وتطمئن بمعاملة النعم، بينما التخويف لا يَسْتَخرِج منها ذلك، بل قد يقطعها ويوحشها[7]، وبهذا فإنّ الضابط في مسألة الخوف والرجاء، هي ما يَجده المؤمن في قلبه من التفاعل مع أي الجانبين، فيستعمله ليصل بقلبه إلى ما يقربه من الله الجليل.

---

[1] ينظر: ابن منظور. **لسان العرب**. (ج14/ ص: 228).

[2] ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (ص 283).

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج 22/ ص ٣٠٤-306).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (ج8/ص 26/ح 6101).

[5] ينظر: عدد من المختصين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم**، (ج 5/ص 1839).

[6] ينظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (ج2/ ص 46). والرعونة هي: الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها. ينظر: الجرجاني، **التعريفات**، (ص 111).

[7] ينظر: أبو طالب المكي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، (ج1/ 375).

المطلب الثالث: الارتباط الروحي بالسنة:

المسلم الذي يؤمن بأن النّبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة والأسوة الحسنة يرتبط ارتباطاً روحياً وثيقاً بالسنة النبوية، وهذا يجعل قلبه مطمئناً ووجدانه مستقراً بأنّ الله لم يكلّفه شيئا لا يطيقه، وهو بهذا لن يرضى أن تختل موازين الطمأنينة والرحمة لديه، فإنّ ارتباطه الروحي بالسنة النبوية علمه أن معاملة النّبي صلى الله عليه وسلم لَمن حولَه جلبت لهم برد اليقين، وتحصينه لأسرته جعل منها أسرة مستقرة نفسيا وعاطفيا، غلبت فيها مشاعر الود والرحمة والطمأنينة والاحترام، فحينما يسمع ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إنك لن تُنفِق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك"[1]؟ لا بد أن ينعكس على أخلاقه باللطف واللين في كل المناحي الدينية والتربوية والحياتية، خاصة وهو يعلم بأنّ الأجر يتحصل بالنّية، فالأجر متحصل بالنّية في اكتساب الأجر في إطعام لقمةٍ لزوجة غير محتاجة، وهي متحصلة فيما هو أكبر منها بالنّية الصالحة[2]. وأكثر ما تحتاجه الأسرة أن تتحصن في عقيدتها، والأجر متحصل بالنّية في ذلك مع العمل عليه، بأن يتعلم ويعلّم مَن حولَه أمور الاعتقاد السليم.

إن من ارتبط بالسنة في وجدانه يجد أنّ منهجية النّبي صلى الله عليه وسلم أسّست مجتمعاً حصيناً في عقيدته، ومستقراً ومطمئناً في وجدانه، خاصة أنّ العقيدة نزعة فطرية يشترك فيها البشر كلهم، ففكرة الاعتقاد بوجود خالق يسيطر على الكون وُجدت مع الإنسان منذ بدء الخليقة[3]، ففكرة التدين في جوهرها نشأت مع البشرية[4]، وبما أنّ الأمر كذلك فإن العاقل الواعي يبحث عمن يتأسى به ليكون على السبيل القويم والصراط المستقيم، وليس هذا إلا نبي الرحمة صلوات ربي وسلامه عليه[5]، وبهذا تتحقق النزعة البشرية الفطرية إلى الاعتقاد، فبالتأسّي به ينضبط اعتقاد المسلم كما أمر ربنا جل وعلا فلا توكل إلا على

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية، (ج1/ص 21/ح 56). (في في امرأتك): أي في فمها. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (المقدمة/ ص169).

[2] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج1 / ص 137).

[3] وهذا لا ينفي وجود من تشوهت عنده فطرة العقيدة لسبب أو لآخر.

[4] ينظر: دراز، **الدين- بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، (ص111-112).

[5] ينظر: الجراري، **جمالية العقيدة الإسلامية ومقاصدها في البناء الفكري الأخلاقي**، (ص 975).

الله، ولا خوف إلا منه، لأنّه يعلم أن الخوف المذموم[1] غير الجبلي[2] من غير الله تعالى يدخل صاحبه في الشرك، قال: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: 13]، فإن كنتم مؤمنين فلن تخشوا أهل الكفر على أنفسكم، بل إنّ إيمانكم وصدق اعتقادكم سيجعلكم لا تخشون إلا الله الذي هو أحق بأن تخشوه[3].

المطلب الرابع: الشعور بالانتماء للأمة:

تقتضي الفطرة التي فطر الله الناس عليها أن يكون لكل منهم انتماء لمجتمع ما، يعيش فيه ويتفاعل مع أفراده، ولا بد أن يكون لهذا المجتمع قوة تضبطه واعتقاد يُكوّن فكره، فيكون جزءاً لا يتجزأ من كيانه، فإذا وَجَد الفرد أسئلة تثير حيرته أَلْفَى المجتمع يعينه على الإجابة عنها، والمجتمع المسلم في هذا أولى من غيره من المجتمعات باحتضان أفراده ورعايتهم على منهج القرآن والسنة، وقد أسّس المسلمون باعتصامهم بدين الله تعالى دولة قوية متماسكة الأركان والقواعد، وما زال المجتمع قوياً ما زال الدين أساسه، حتى إذا ضعُف الدين في نفوس المسلمين انقلبت الأحوال، وتبدل عز المسلمين حتى تداعت عليهم الأمم ولم يُلقُوا للمسلمين بالاً[4].

ومما ورد في شأن ضرورة تماسك المجتمع وتلاحمه ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[5]، فإنّ من كمال الإيمان أن يهتم المؤمن بمن حوله بالرحمة والعطف والود، وأولى ذلك تحصين العقيدة فهي أس الفلاح، وإلا ستنهال المصائب عليهم وتكثر الأوجاع،

---

[1] الخوف خوفان: خوف محمود أو ممدوح، وخوف مذموم. أما الممدوح فهو الذي يحمل صاحبه على أداء الفرائض واجتناب النواهي، بمعنى أنه الخوف من الله. وأما المذموم، فهو الخوف المقعد عن العمل، إذ إنه يحمل صاحبه على اليأس والقنوط من رحمة الله. ينظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، (ج2/ ص184). وهو شرح عن كلام لابن تيمية ينقله عنه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

[2] الخوف الجِبِلي الذي خُلق الإنسان عليه لا يدخل صاحبه إلى الشرك، فالخوف الجِبِلي من مثل الخوف من الأسد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "...وفر من المجذوم كما تفر من الأسد". رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب الجذام، (ج7/ص 126/ح 5707).

[3] ينظر: الطبري، **تفسير الطبري**، (ج 11/ص 368).

[4] ينظر: السليماني، **دور الأسرة في حفظ الهوية الإسلامية من خطر الغزو الفكري**، (ص 480-481).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (ج8/ص 10/ح 6011).

فيكونون كمن أصابته الحمى لا يصحو منها ليلاً ولا نهاراً، ويضطرب بذلك اعتقاد المجتمع ولا يَصلُح حالهم لأنّ العقيدة أصل والتكاليف فروع، فإذا اختل شيء من التكاليف فلا بد من اختلال الأصل، والعكس صحيح كذلك[1].

وقد اشتمل الحديث على معادلة مهمة معطياتها: تراحم+ تعاطف+ تواد= مجتمع متماسك، كالنّفس الواحدة التي تغتم إذا أصابت المصيبة بعض أجزائها[2]، وهذا يتطلب من المجتمع أن يجتهد في تهيئة سبل الهداية في البيئة المحيطة بالفرد، بتفعيل دور الأُسَرِ والمساجد والمدارس والجامعات في تحصين العقيدة، فوسائل تحصين الأفراد في المجتمع تصبح واجبة التنفيذ لوجوب التحصين العَقَديّ.

ومما ينتج عن التواد والتراحم والتعاطف من العقائد المهمة المستقرة في كيان الأمة أفراداً وجماعات: عقيدة الولاء والبراء[3]، التي لما استقرت في وجدان الصحابة صارت من أهم أسباب انتمائهم للأمة، فهم يأمنون على أنفسهم وعلى أهلهم بين ظهراني المسلمين، ويعلَمون أن المسلمين يد على من عاداهم، ولا يُسلِمون أحدا منهم إلى الأعداء، ولا يوالي أحدهم عدواً على مسلم، فلما اختلّت هذه العقيدة فيمن بعدهم تزعزع الأمن والانتماء للأمة، ومن أدلة وجوب الولاء والبراء: الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله"الحديث[4]. والمحبة التي يقررها الحديث هي التي تكون أساس الموالاة، فحينما يجد المسلم أن المجتمع كله يواليه ويناصره ما دام على الحق فلا شكّ بأنه لن يوالي أعداء الله، وبأن شعوره بالانتماء لأمته سيصل الذروة، لأنّه "لا يجتمع في قلبٍ واحدٍ حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه"[5]، وهذا يؤدي لثبات المجتمع أمام الفتن والشبهات والانحرافات.

---

[1] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج10 / ص 440).

[2] ينظر: صالح، **أساليب تنمية مهارات الذكاء الوجداني في الإسلام**، (ص 1614).

[3] يقصد بالولاء والبراء: أن تناصر المسلمين وتحبهم، وتبغض الكافرين ولا تناصرهم. قال ربنا تعالى: سمحتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ 80 وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ سجى [المائدة: 80-81].

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ج1/ص 12/ح 16).

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، (ج1/ ص530-531).

ولا ريب في أنّ الانحراف العقدي يتسبب في تصاعد التوتر الاجتماعي والصراع بين الأفراد والجماعات؛ لأنّ الفكر المنحرف يسعى دائما لإيجاد البلابل والقلاقل والفتن، فتضيق دوائر الاتفاق وتكثر دوائر الاختلاف، وينعكس ذلك كله على استقرار المجتمع وتماسكه[1]. وقد بان من التحصين النبوي لعقيدة المسلمين أنّ العقيدة أساس استقرار المجتمع كله، وسبب رئيس من أسباب شعور أفراد المجتمع بالانتماء له.

[1] ينظر: بلحسن، **الانحرافات العقدية المعاصرة: دوافعها وآثارها وسبل مقاومتها**، (ص 294).

المبحث الثّاني: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال العقلي

لمّا وجد أعداء الإسلام عدم فاعلية الحروب بالأسلحة والحملات العسكرية في القضاء على الفكر الإسلامي، عملوا على حرب الأدمغة بغزو العقل المسلم بمخططات ومناهج شتى تهدف إلى تكوين عقلية ممسوخة، وكان لهذا الغزو الشيطاني أثر بالغ في إضعاف المسلمين وتشتيت شملهم، وتشويه صورة الإسلام في نفوس أهله، مع تزيين الأفكار الغازِيَة والشبهات المنحرفة ونشرها والدعوة إليها، فلما اختل الميزان العقدي اختل بسببه الاتزان العقلي في مواجهة الانحرافات والفتن وحتى تبرير الجرائم[1].

بينما عَدّ الإسلام العقل هبة ثمينة وهَبَهَا اللهُ الإنسانَ، ومناط التكليف وأساس التمييز، وجعل حمايته ورعايته من مقاصد الإسلام الضرورية، وفي البحر المتلاطم من التحديات الفكرية التي تعصف بالمجتمع وتهدد استقراره، تبرز الحاجة الملِحّة لإبراز الدور المهم للتحصين العقدي في استقرار العقل وبناء الشخصية المتوازنة ذات التفكير النقدي الوسطي.

المطلب الأول: بناء التفكير النقدي:

اعتبر الإسلام أنّ بناء التفكير النقدي أمر بالغ الأهمية في العقيدة الإسلامية، فجعل له منهجية تتكامل لتؤتي ثمرةً مفادها تحصين العقل من الشبهات والانحرافات، فالعقيدة الحصينة هي صِمَام أمان للعقل البشري؛ إذ يحتاج الإنسان بطبعه إلى قوة تضبط عقله وتحكم حريته فيسير على نور هدايتها، فالعقيدة السليمة تأخذه إلى مكامن الخير وتحميه من الشرور ونوازعها والشبهات وانحرافاتها، والانضباط العقدي لا تضيعه أمة عاقلة، فمتى ما بقيت العقيدة هي الموجّه للعقل والفكر كان النتاج عظيماً يدلّ على نضوج الجانب الفكري[2].

وقد قام منهج النّبي صلى الله عليه وسلم في التحصين العقدي على صيانة العقل وتوجيهه نحو بناء التفكير النقدي، مما يؤكد أنّ التفكير النقدي هو قيمة إسلامية أصيلة مهمة، فقد حثّ النّبي صلى الله عليه

[1] ينظر: سالم، **أثر العقيدة الإسلامية في مقاومة الانحراف الفكري في وسائل التواصل الاجتماعي: دراسة وصفية تحليلية**، (ص 13-14).

[2] ينظر: الجراري، **جمالية العقيدة الإسلامية ومقاصدها في البناء الفكري الأخلاقي للشخصية الربانية**، (ص973).

وسلم المسلمين ألا يكون إيمانهم على أساس الهوى أو التقليد، بل أن يكون مبنياً على البراهين والحجج والأدلة العقلية والنقلية، والتمييز بين الحق والباطل، ومن المظاهر التي تَبيَّن فيها حثُّ النّبي صلى الله عليه وسلم على التفكير النقدي:

أولاً: ذمّ التقليد الأعمى[1]: امتداداً للقرآن الكريم فقد حاربت السنّة النبوية التقليد الأعمى للآباء والأجداد دون دليل أو برهان، وهو ما كان شائعاً في الجاهلية، مع ذم الانقياد للمناهج الهدامة والدعوات المشككة والأفكار المنحرفة التي وفدت بعد احتلال البلاد الإسلامية[2]، وسبب الذمّ أنّ التقليد يُفضي بصاحبه إلى أن يُسلِم عقله إلى غيره، ويتخذ من أهواء الناس والشياطين عقيدة له، وليس في هذا حفظ للعقل الذي نادى الإسلام به، بل أنّه من ضيق العلم، فإنّ ضيق علم الرجل أن يُقلّد في اعتقاده رجلاً آخر[3].

ومن أمثلة ما ورد في ذم التقليد الأعمى ما رواه زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب"[4]، فأهل الجاهلية اعتادوا نسبة الأفعال إلى غير الله تعالى، وكانوا يعتقدون أنّ النجوم هي التي تُمطرهم وترزقهم، فبيّن لهم سوء تقليد من قال بقولهم وأوضح أنّ الله تعالى هو الخالق الرازق[5].

ثانياً: الحثّ على التأمل والتفكر[6]: لقد وردت أحاديث كثيرة تحثّ على التفكر في آلاء الله ومخلوقاته كَالْكَوْن والنفس والأمم السابقة وغيرها؛ وذلك لاستخلاص العبر والحقائق الإيمانية، وما يقتضيه ذلك من

---

[1] وقد أسهب الباحث في المطلب الثاني من المبحث الثاني التابع للفصل الثاني في هذه المسألة تحت عنوان: "التقليد والتبعية العمياء وكون ذلك سببا للانحراف العقدي"، في الصفحة: 52.

[2] ينظر: عبيد، **أثر التربية الإيمانية في تقوية روابط المجتمع الإسلامي**، (ص70).

[3] ينظر: ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، (ص74).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، (ج1/ص 169/ح 846).

[5] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح ابن بطال**، (ج3/ ص28).

[6] وقد مر في المطلب الأول من المبحث الأول في الفصل الثالث تفصيلٌ في مسألة التفكر تحت عنوان: "عبادة التفكر"، في الصفحة: 90.

محاربة الجهل وتحصين العقل من الانحرافات العقدية[1]، ومن الأحاديث التي حث فيها النّبي صلى الله عليه وسلم على التفكير والتفكر: ما رواه أنس بن مالك: "أنّ رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟"[2]. فقد تضمنت إجابة النّبي صلى الله عليه وسلم في الحديث إقامة الدليل والحث على التفكير من أجل إثبات الحشر على الوجه لمن استبعد ذلك، فالاستدلال بقدرة الله تعالى أنّه جعل الإنسان يمشي على رجليه أول مرة، إذا تفكّر الإنسان فيها، فلا بد أنّه سيُسلّم لله تعالى بالقدرة على كل شيء[3].

ثالثاً: الحوار والمناظرة: يُعدّ الحوار السلاح الذي حمله كل الأنبياء من أجل تبليغ دعوتهم، ومن أجل ذلك يُعتبر الحوار السلاح الأساسي في الحرب الإعلامية والنفسية، لذلك فلا يستغني عنه أي داعية، ولا يسدّ مكانه سلاح غيره[4]، ويُشَكّل فتحُ باب الحوار دون شعور أحدٍ بالخوف أحدَ مفاتيح صرف العقول والقلوب عن المخالفات، إذ الكل يُفضي بما يدور في خلده دون أن تتراكم الشبهات في العقول والقلوب، وليكون الحوار ناجعاً فلا بد أن يكون مبنياً على إخلاص النّية لله وحده، وأن يكون مردّه إلى العلم الصحيح، ويقترن ذلك بالاحترام المتبادل[5].

وقد كان من سنّة النّبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل في حوارات مع المخالفين ويستخدم المنطق القويم لإبطال مغالطاتهم، حاله كحال الأنبياء في حجاجهم لأقوامهم، وقد استعمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار النافع في سبيل نشر دعوة الإسلام مع الكفار، واستعمله لتثبيت العقيدة وتحصينها في قلوب الصحب الكرام، مراعياً في ذلك الفروق بين فئات المجتمع، وكان من أهدافه في ذلك أن يجعل الحوار وسيلة للتواصل والتراحم مع الآخرين[6].

---

[1] ينظر: العميري، **أثر الغلو على الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم**، (ص 102).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا}، (ج6/ص 109/ح 4760).

[3] ينظر: ابن هبيرة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، (ج5/ ص 201).

[4] ينظر: عبد الله، **الحوار في السنة النبوية ودوره في محاربة التطرف**، (ص 2126-2127).

[5] ينظر: سالم، **أثر العقيدة الإسلامية في مقاومة الانحراف الفكري**، (ص 13-22).

[6] ينظر: السيف، **الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية**، (ص5-6).

ومما يدلّ على ذلك أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بأنّ الدّجال ذُكِر عند النّبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأَعْوَر وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنَبَةٌ طافية[1]"[2]. يقول ابن بطال في هذا الحديث: " فوصَفَ الدجالَ بصفة لا تُشكِل عليهم على حسب ما رآه، وهي العَوَر، والذي لا يجوز على ذوي العقول أن يصِفوا بالإلهية والقدرة من كان بتلك الصفة؛ إذ الإله لا تجوز عليه الآفات، وهذا مدّعيها وقد جازت عليه الآفة، فهي برهانٌ على تكذيبه"[3]. فهدف الحوار الواضح هو بناء التفكير النقدي الذي يؤدي إلى التحصين العَقَديّ باستعمال الحجج والبراهين العقلية، فلا يُعقل أن يكون الإله معيبا، وهذا الدجال المدّعي للإلهية معيب ناقص، فلا ينبغي أن يشُقّ على المؤمن الحق كيف يتبيّن كذب الدجال، فنسأل الله الثبات.

رابعاً: استعمال أسلوب السؤال: هذا الأسلوب هو امتداد للأسلوب القرآني في تقرير المسائل وترسيخ النتائج في الأفهام؛ فهو وسيلة ذات فعالية مهمة في تثبيت المبادئ والقيم والتحصين العقدي للعقل، فبلغت الأسئلة في القرآن العظيم (1260) سؤالاً تقريباً، كما بلغت في السنّة النبوية أكثر من (930) سؤالاً، ولا شكّ بدلالة هذا العدد على أهمية هذا الأسلوب في ترسيخ المفاهيم التي منها العقيدة، فإنّ السؤال يهيّئ النفس لتلقي الإجابة، فيكون ذلك أوجب للتقرير والرسوخ في النفس خصوصا إذا تم توظيفه في غرس الاعتقاد الصحيح[4].

ومن أمثلة طرح الأسئلة الذي استعمله النّبي صلى الله عليه وسلم في تثبيت العقيدة الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "أنّ أناساً في زمن النّبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، هل نَرَى ربنا يوم القيامة؟ قال النّبي صلى الله عليه وسلم: نعم، هل تُضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوءٌ ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال: وهل تُضارّون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوءٌ ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال النّبي صلى الله عليه وسلم: ما تُضارّون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تُضارّون في رؤية

---

[1] عنبة طافية أي: بارزة ناتئة كنتوء حبة العنب من بين الحبات التي تجاورها. ينظر: القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج 1/ ص 521).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، (ج9/ص 121/ح 7407).

[3] ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج9/ ص 546).

[4] ينظر: الحميد، **السؤال العقدي أهميته ومقاصده**، (ص 487).

أحدهما"[1]. ودلالة الحديث أننا لا نتكلف ولا تلحق بنا المشقة في رؤية الشمس أو القمر في وقت صفاء السماء، وكذلك لا نتكلف وتلحق بنا المشقة في رؤية الله تعالى يوم القيامة[2]، وهذا الحوار بين الصحابة مع النّبي صلى الله عليه وسلم يسألونه هذا السؤال الغيبي من أمور العقيدة، بيّن فيه النّبي صلى الله عليه وسلم أهمية أسلوب طرح الأسئلة في إيصال المعلومة المؤكدة التي من شأنها رفع الشك وتؤدي إلى التحصين العقدي وبناء التفكير النقدي.

خامساً: التثبت من الأخبار: يُعتبر المنهج النبوي في ذلك منهجاً رائداً، فقد أرسى فيه قواعد الدقة والموضوعية في التلقي والنقل، وقد عَمِل النّبي صلى الله عليه وسلم بهذا المنهج من باب التطبيق العملي فعلّم فيه كل مَن حوله أسسه وكيفية تطبيقه على الوجه الأكمل، فعن عبد الله بن عباس أن هلال بن أمية رضي الله عنه لمّا قذف امرأته قال له النّبي صلى الله عليه وسلم: "البينة أو حد في ظهرك"[3]، والحديث ظاهر في وجوب التثبّت والتزام البرهان قبل قبول الشبهة، وكانت قصة هذا الحديث قبل نزول آية اللعان[4].

وهذا المنهج يشمل إلى جانب التثبّت في تلقي الخبر التثبّت في نقله أيضاً، فنقل الخبر يوجب شبهة إذا تم تحريفه ونقله بطريقة ملتوية أو ناقصة أو غير منضبطة المعاني، فعن علي رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكذبوا عليّ، فإنه من كذب علي فَلْيَلِجِ النار"[5]، ويدل الحديث أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم دعا على من يكذب عليه بأن يدخل النار فيتبوّأ منها مقعداً، وهذا عامّ في كل من كذب عليه في أي أمر من أمور الدين، فأحَلّ حراماً أو حرّم حلالاً أو حرّف كلِما من كلامه الشريف[6].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة}، (ج6/ص 44/ح 4581).

[2] ينظر: ابن فورك، **مشكل الحديث وبيانه**، (ص 221).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب إذا ادعى أو قذف، (ج3/ص 178/ح 2671).

[4] ينظر: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج 13/ ص 249).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، (ج1/ص 33/ح 106).

[6] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1/ ص 183).

فهذا تحصين نبوي شاملٌ كاملٌ في الدقة والموضوعية والمنهجية، في الاستماع لشبهات الآخرين والتأثر بهم، ومنهجي أيضاً في نقل هذه الشبهات دون تثبت منها، لأنّها بذلك تُنتج خللاً على الصعيد العقلي الفكري، ويؤدي لانغماسٍ في الانحراف دون علم أو شبهة علم.

المطلب الثاني: حماية الفكر من الشبهات:

إنّ التحصين العقدي والتحصين الفكري متلازمان عادةً، وكثيرا ما يختلّ أحدهما باختلال الآخر، فبالتّحصين العقدي سيتحرر من أغلال الشكّ والتشبه بأهل الانحراف، ومن يعتصم بالمنهج النبوي ينَل الهداية والحصانة الفكرية[1].

ويمثل المنهج النبوي في تحصين العقيدة جهازاً مناعياً يحمي الأمّة من الأفكار الوافدة والانحرافات والشبهات التي من الممكن أن تضرّ بها، وجهاز المناعة هذا زودها الله به ليحافظ على سلامتها، فيظل كيان وجسد الأمة المسلمة يقِظاً حِيَال ما يَدخل في نسيجها مهما طال الزمان[2]، والمسلم الذي يعلم ذلك، ويعلم الحرب الدائرة ضده لحرف فكره وغرس الشبهات فيه فإنّه سيبذل جهداً مضاعفاً للحفاظ على دينه والتمسك بالمنهج النبوي في التحصين العقدي.

وإنّ عباد الله الصالحين الذين صلحت فطرتهم ورسخت العقيدة في قلوبهم عندما يستمعون الأقوال لا يأخذون منها إلا ما يدعو إلى الهدى، ولا يكون سبيل الهدى إلا بالقرآن والسنة، ولا يلتفتون إلى الأقوال التي تريد أن تصرفهم عن دين الله تعالى، أو تحرف عقيدتهم عن فطريتها السليمة، فاتّباعهم حينئذٍ يكون لأحسن الأقوال[3].

---

[1] ينظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، (ج2/ ص99).

[2] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص33).

[3] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج 23/ ص 365– 366).

ولتلازم القرآن والسنة في المنهج ولكون السنّة التطبيق العملي للقرآن[1]، فقد عُني النّبي صلى الله عليه وسلم بحماية الجانب العقلي وتحصينه بالفِكر والعلم؛ لأنّ الفكر والعلم يمنعان من الجهل الذي هو من أسباب الانحراف العقدي الأساسية، وإنّهما يحميان عقل المسلم من الجري خلف الشبهات التي تتخذ نصوص الشرع نفسَه سبيلاً لتأصيل الانحراف العقدي والفهم المغلوط، فتصير نصوص الشريعة مصدراً لتبرير الانحراف العقدي[2].

ومثال ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} قلنا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}؟"[3]، فقد فهِم بعض الصحابة أنّ المراد بالظلم عموم الظلم، فلما أوّلوا الآية على ذلك شقّ عليهم وأشفقوا على أنفسهم؛ لأنّ الآية وردت دون قرينة تخصص الظلم بالشرك، حتى بيَّن لهم النّبي صلى الله عليه وسلم المقصود من الظلم في الآية[4]. فكَوْن هذا الأمر صار شبهة عند الصحابة في فهم إحدى آي القرآن الكريم، لزم من النّبي صلى الله عليه وسلم الحريص على بقاء عقيدة الصحابة سليمة من الشبهات والانحرافات أن يصحح الفهم الخاطئ ويزيل الشبهة.

وإنّ قوة عقيدة النّبي صلى الله عليه وسلم جعلته يُرجع كل أموره إلى الله تعالى، فإن رضي الله عنها فهي مقبولة وإلا فلا، ويشمل ذلك الأفكار الواردة على العقل والفكر؛ لأنّ التحصين العقدي يحمي فكر صاحبه، ويجعله يسير بنور العقيدة التي تضيء له الدرب، فيرى الأمور على حقيقتها ولا تغره القشور، ومما يدلّ على ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النّبي صلى الله عليه وسلم يدعو من الليل: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أَنَبْتُ، وبك خاصمت، وإليك حاكمت" الحديث[5].

---

[1] ينظر: أبو بارعة، **ضوابط فهم السنة النبوية وأثرها في تحصين المجتمع المسلم**، (ص32).

[2] ينظر: آل حنش، **الأسباب العلمية للانحرافات الفكرية ومنهج السنة النبوية في معالجتها**، (ص454).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلا}، (ج4/ص 141/ح 3360).

[4] القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، (ج1/ ص 418).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق}، (ج9/ص 117/ح 7385).

الشاهد هنا قوله: لك أسلمت، وقوله: وبك خاصمت، وإليك حاكمت، ومعناها: يا رب إنما أحتجّ بما وهبتني من البراهين، ولا أجعل أحدا غيرك حكماً لي مع كل من أبى سماع الحق وقبوله[1].

المطلب الثالث: تنمية الوعي العقدي:

يؤمن المسلم الحق بأنّ العقيدة أشرف العلوم، فإنّ شرف العلم يأتي من شرف المعلوم، وعلم العقيدة متعلق بالله تعالى ومعرفته، وهذه المعرفة أساس العقيدة في الإسلام[2]، شريطة أن لا يتم بإقصاء نصوص الكتاب والسنة أو إخراجها عن دلالاتها، فتكون العقيدة حينئذ مجرد أداة للأدلة العقلية، وهذا ما وقع فيه أهل البدع، وبهذا تركوا طريقة أهل السنّة والجماعة.

ومن أدلة التمثيل على تنمية الوعي العقدي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"[3]، والحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "فإنكم لا تَدْعُون أصم ولا غائباً، تدعون سميعا بصيراً قريباً"[4]. فأوضح لهم أن ربهم سبحانه وتعالى قريب سميع بصير له من الأسماء والصفات الكثير، وأنّ اعتقادها على الوجه الصحيح يجعل المسلم واعياً عقدياً، ووعيه العقدي سيورثه الوعي الفكري والسلوكي، فكانت النّتيجة أنّه أمرهم بعدم رفع الصوت لأنّ الله سميع بصير لا إله إلا هو.

وتُعَدّ مدرَكَات الإنسان وليدة عن تصوراته التي تتجمع في الفكر بطريق الحواس، فالإنسان لا يَعقِل ما ليس له تصور في ذهنه، فعلى سبيل المثال: إذا أراد فهم صفة رحمة لله تعالى فإنّه يسهل عليه لأنّه يحتفظ في ذهنه تصوراً عنها مع أنها تختلف اختلافاً كلياً فيما بين العبد والرب، ولله المثل الأعلى وهو المنزه عن المشابهة والمماثلة؛ إذ الإنسان ليس له منها إلا الاسم، أما الكُنْهُ فلا يعلمه إلا الله، لكنّ الصفات التي ليس في ذهنه تصور مسبق عنها فلن يستطيع فهمها كصفة قِدَم الله تعالى، فليس له أول، والأزلية، فليس له

---

[1] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج3/ ص 110).

[2] ينظر: القرضاوي، **أسماء الله الحسنى من كتابه وما صح عن نبيه**، (ج7/ ص11-12).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، (ج9/ص 118 /ح 7392).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {وكان الله سميعا بصيرا}، (ج9/ص 117 /ح 7386).

آخر، فهذه الصفات لا يستطيع الإنسان إدراكها لأنّها ليست من مدركاته العقلية[1]، فالواجب عليه أن يحاول أن يتمثل قولاً وعملاً من الصّفات ما يظنّ أنّه قد يفهم من معانيه شيئاً ما، أمّا ما ليس له تصور عنه فلا ينبغي له التفكر في كيفية تمثله، فإذا علم المسلم ما سبق فإن فكره يتحصن من الشكّ والانحراف، لعلمه بأنّ الشكّ مدخل من مداخل الشيطان وبيئة خصبة ترتع فيها الشبهات والأفكار المنحرفة، وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: 24]. ولذا فإنّ أهل الشك والشبهات لا يسيرون في السبيل القويم الذي يرتضيه الله تعالى، بل الطريق إلى الله عامر بأهل اليقين الصابرين الصادقين[2].

فينبغي على المسلم أن يقوّم فكره في ضوء ما يتفق مع شرع ربه الحكيم الخبير؛ لأنّه يعلم أنّ أساس التحصين العقدي راجع إلى الإيمان بما جاء به الشرع بطريق الوحي، ولتنمية الوعي العقدي فلا بدّ من استعمال العقل، والعقل المقصود هنا هو الذي يستطيع أن يتماشى مع أركان الإيمان، وهو مجموع المسلمات العقلية التي لا يختلف عليها العقلاء[3]، لا العقل الذي هو أداة جمع المعلومات، لأنّ هذا العقل يمكن أن يُضرب له مثل بالأعمى كما قال ابن خلدون، فالأعمى سقط عنده صنف المرئيات، فكيف له أن يَحكُم عليها بالجمال أو القبح؟ ومثله أداة العقل التي تريد الحكم بالقبح والحسن على ما لا تدركه، فحينما يتعذر الإدراك فالواجب أن يتهم كل منا إدراكه ومدركاته، وأن يتبع ما أمر به الشرع من الاعتقاد والعمل؛ لإيماننا الجازم بأن الله تعالى أحرص منا علينا، وأعلم بما ينفعنا منا. ولا يُقصَد من هذا الكلام ذم العقل، بل يبقى العقل ميزاناً صحيحاً لكن لا توزن به أمور العقيدة والغيبيات، فإنّ الميزان الذي يوزن به الذهب لا يمكن أن توزن به الجبال[4].

---

[1] ينظر: البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، (ص 113-114).

[2] ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، (ص 77).

[3] ينظر: ابن مسفر، **دروس للشيخ سعيد ابن مسفر**، (ج50/ ص5).

[4] ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، (ج1/ ص 582).

المطلب الرابع: تكوين العقل المتّزِن:

المقصود بالعقل المتزن هو الذي يكون وسطاً بين الإفراط والتفريط، والإفراط: التشدد والغلو والتكلف والتنطع، أما التفريط فالجفاء في حق العقيدة وإهمالها وتركها، وكلا الأمرين مذموم، فكل طرق أهل البدع والشبهات، طرق انحراف وتطرف إلا ذلك الطريق الواحد، وهو الإسلام الذي دل عليه القرآن وبيَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تبين من أحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم أن من صفات الإفراط أو التفريط في العقيدة الصحيحة: مخالفة الكتاب والسنة، واستحلال قتال المسلمين، والدعوة إلى التفرق عن الجماعة؛ إذ كلهم يدّعي الصواب[1].

إنّ الطريق الأمثل لتأمين عقيدة الفرد المسلم، يكون بطلب العلم في العقيدة السليمة، لأنّ كل أصل من أصول العقيدة السليمة يقابله منهج انحراف بالإفراط أو التفريط؛ فعلى سبيل المثال: توحيد الربوبية على الوجه الصحيح عاصم من الإلحاد، وتوحيد الألوهية على الوجه الصحيح عاصم من الشرك، وتوحيد الأسماء والصفات عاصم من الانحراف فيها كما حصل مع الجهمية والمعتزلة والمشبهة، والإيمان بأنّ محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الصحيح عاصم من الغلو فيه، وعاصم من منهج العقلانيين والقرآنيين والعلمانيين، والإيمان باليوم الآخر وأحداثه على الوجه الصحيح، عاصم من فكر المعتزلة والجهمية، والإيمان بالقدر خيره وشره على الوجه الصحيح، عاصم من انحراف القدرية والجبرية، وهكذا بقية أصول العقيدة تعصم من الشبهات والانحرافات وتعمل على أن يكون المؤمن ذا عقل متّزنٍ واعٍ منضبطٍ[2].

ومثال ذلك حديث الرهط الثلاثة الذين جاءوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه فقال لهم: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3]. والحديث واضح الدلالة على ذمّ التكلف والتنطّع، فسنة النّبي صلى الله عليه وسلم وهي طريقته أنّه لا يتكلّف ويمتنع عما أباح الله له في

---

[1] ينظر: المزروعي، **العقيدة الصحيحة صمام أمان من التطرف والفتن**، (ص49-50). وينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية -دراسة موضوعية**، (ص110-111).

[2] ينظر: المزروعي، **العقيدة الصحيحة صمام أمان من التطرف والفتن**، (ص 51).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (ج7/ص 2/ح 5063).

سبيل التقوّي بذلك على الطاعة، ولا يصل بالطاعات إلى حد المشقة على النفس المؤدية إلى الترك، وبالمقابل فإن ذلك لا يعني التفريط بحال من الأحوال[1]، فالتوسط التوسط .

ولا شكّ بأنّ الإفراط المنهي عنه يشمل الغلو الفكري والغلو العملي[2]، ومن أمثلة الإفراط في الجانب العملي: ما ورد في قصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء رضي الله عنهما، حينما قال له سلمان في ختام الحوار: "إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأَتَى النّبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان"[3]. وفي الحديث كراهة التشدد في العبادات والمغالاة فيها، وأنّ الأفضل فيها هو التوسط والاعتدال فهو أحرى للدوام[4]، والمراد أن تعطي كل ذي حق حقه ولا تغالي في جانب على حساب آخر؛ لأنّه يقابله تقصير في أعمال أخرى مقابلة، فهو في النهاية والمحصلة تضييع لأعمال كثيرة.

ولا يخرج أمر أهل الشبهات والانحرافات من إفراط أو تفريط، فمن الفرق المنحرفة التي داخلها الإفراط: الخوارج[5]، ومن الفرق التي داخلها التفريط: المرجئة[6]، فإن غاب العقل المتوازن فلا بدّ من وقوعه فريسة أحد الضلالَيْن الإفراط أو التفريط بسبب الجهل، وإنّ الجبرية لما نظروا إلى شمول مشيئة الله عظّموه من أن يقع في ملكه شيء دون أن يشاء مشيئة مباشرة، فنسبوا بعدها فعل العبد إلى المشيئة المباشرة لله، فأغفلوا صفات العدل والحكمة والرحمة مع كمالها لله تعالى؛ فكيف يُكلّف الله العباد بشيء من فعله هو؟ ثم كان على الوجه المقابل منهم المعتزلة، فقد نظروا إلى الجانب الذي أغفله الجبرية مع إهمال الجانب الآخر من الصفات، ولكي يتجنبوا مسألة الطعن في العدل الإلهي والحكمة، جعلوا العبد خالقاً لأفعاله دون تدخل ومشيئة لله، وبهذا فقد أهملوا صفات القدرة والمشيئة[7]، فأين العقل المتزن من ذلك؟

---

[1] ينظر: الخضير، **شرح الأربعين النووية**، (ج12/ ص7).

[2] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية –دراسة موضوعية**، (ص108–110).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (ج3/ص 38/ح 1968).

[4] ينظر: ابن الملقن، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، (ج 28/ص 529).

[5] ينظر: شلوبة، **مهددات الخوارج للأمن الفكري في عصر الإمام البخاري**، (ص 329–336).

[6] ينظر: الخطيب، **الفرق الإسلامية**، (ص43).

[7] ينظر: آل عباس، **الشبهات والأخطاء العقدية وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في معالجتها**، (ص462–463).

المبحث الثّالث: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال النفسي

تتوق النفس البشرية إلى الاستقرار والطمأنينة، وتعمل العقيدة الإسلامية على أن تهب للنفس هذا الأمر، وقد استثمر النّبي صلى الله عليه وسلم في المجال النفسي للصحب الكرام، فعمل على تحصين اعتقادهم ونزع الشبهات وصرف الانحرافات كي تسمو قلوبهم وتزكو نفوسهم، فأوصلهم بذلك إلى الأمن النفسي بالثبات أمام الشبهات والفتن.

المطلب الأول: الطمأنينة الداخلية:

من مميزات العقيدة الإسلامية أنّها ذات أساس نفسي يتشربه القلب، فتعمل بهذه الميزة على إيقاظ الضمير وتهدئة الكيان النفسي، وتحرره من كل قيود الحياة[1]. وقد عمِل التحصين النبوي للعقيدة على نشر السعادة والاطمئنان وعدم اليأس، وذلك بإزالة القلق الناتج عن الشبهات العقدية، فكان لهذا التحصين أثر بالغ على المجال النفسي للصحب الكرام، وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: 125]. فالذي يختار طريق الضلال يجد في قلبه عازلا عن قبول الإيمان، ومثله كمثل الذي يريد الصعود في طبقات السماء العالية، حيث سيشعر بضيق شديد في التنفس تضطرب معه الحياة ولا تستقر، وكما أنّ الصعود في طبقات السماء العالية أمر ممتنع دون واسطة فإن قبول الإيمان مع وجود مانعٍ ممتنعٌ كذلك، ولا يقدر عليه المرء[2].

ومن الأمثلة على ذلك لمّا نهى النّبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن الطِّيَرَة، ووجههم بدلاً من ذلك إلى الاستبشار بالكلام الطيب؛ من دعاء ونصيحة، فقد قال عليه الصلاة وأفضل التسليم فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم"[3]. ووجه دلالة الحديث أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن الطيرة وهي التشاؤم بشيء ما، وليس لشيء

---

[1] ينظر: الحربي، **من آثار العقيدة الإسلامية**، (ص 48).

[2] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، (ج 8/ ص 39).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب الطيرة، (ج7/ص 135/ح 5754).

من هذه الأشياء التي اعتقدوها ما يقتضي التشاؤم والإعراض عن العمل، بل هذا من التكلف فيما لا أصل له، وسببه الجهل الذي يزينه الشيطان لفاعله، ثم جاء التوجيه النبوي لطمأنة النفس بتحصينها في الاعتقاد أن يعتمد المسلم التفاؤل وحسن الظّنّ بالله في طلب ما يَسُرّ[1]. فانظر كيف عمل النّبي صلى الله عليه وسلم على خلع ربقة الجهل من قلوب المسلمين، وكيف عمل على تخليص القلوب مما يضر اعتقادها بقدرة الله وعلمه بالغيب، وكيف أبدل المسلمين بخير من ذلك، هدأة البال والطمأنينة.

لقد تغلغل هذا الأمر في عقل ووجدان العلماء الربانيين، فالطمأنينة الناتجة عن التحصين العَقَديّ لا يشعر بها إلا من عاينها، فترى مثل هذا الفهم يتكرر صدوره منهم في أكثر من وقت ومكان، فمن ذلك ما قاله ابن القيم: "ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يُسكّنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحدَهُ مطلوبُه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا بما فيها لم تُسَدّ تلك الفاقة منه أبدا"[2].

إنّ غراس العقيدة في القلب يُثمر في النفس التوكل على الله والاعتصام به، فتجعل صاحبها عزيزاً، فإنّ من اعتزّ بغير الله ذلّ، فلا خوف من الناس أو الجن أو الفقر أو المجهول، ولا خشية إلا من الله[3]، وهذا الاعتقاد يورث النّعيم الحقيقي وهي طمأنينة القلب، لتعلقه بالله وانقطاعه عما سواه، وكل من تعلّق بغير الله فإنّه ينال من المتعَلَّق به سوء العذاب[4]، فلا شكّ بأنّ الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح يورث الرضا ويحصن من اليأس والفتور ومن الجبرية وشبهاتهم، مما يؤدي إلى توازن عاطفي نفسي أساسه الاطمئنان[5].

---

[1] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج10/ ص 212-214).

[2] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**، (ج4/ص 17).

[3] ينظر: أحمد، **العقيدة الصحيحة وأثرها في حياة الأمة**، (ص6).

[4] ينظر: ابن قيم الجوزية، **الداء والدواء**، (ص76).

[5] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية -دراسة موضوعية**، (ص135-136).

وينعكس أثر العقيدة في المجال النفسي على المجتمع المسلم كذلك؛ فالمجتمع الذي هكذا عقيدته: حصينة لا تهزها الرياح، ولا تزعزعها الشهوات والشبهات، المجتمع الواعي الناضج، هو ودون أدنى شك، سيكون مجتمعاً يعمّه الأمن والسلام، والطمأنينة والراحة والعافية[1]، إذ هو يتمثل العلم الذي تعلّمه وتحصّل عليه ويجعله واقعاً، ويربط هذا العلم برضا ربه الجليل، فعقيدته السليمة لا تسمح له أن يسيء إلى غيره، وألا يهتم بأحاسيسهم وعواطفهم، بل تحثّه على السعي لطلب استقرار المجتمع مثلما يطلب الاستقرار النفسي لذاته، متمثلاً في ذلك الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2]، والحديث يدلّ على أنّ من كمال إيمان المؤمن أن يحبّ الخير لأخيه المؤمن، فيسرّه ما يسرّه، ولا يحبّ له الضر، وهذا يتطلب منه أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر[3]، وممّا يطلبه لنفسه في سبيل تحقيق الأمن النفسي: التحصين العقدي، فيرى حينئذ أنّ إيمانه يحثّه على أن تكون عقيدة كل مَن حولَه عقيدة راسخة صحيحة حصينة، وبهذا يتبيّن أنّ العقيدة الراسخة تجعل في صاحبها همّاً دعوياً مثمراً، وهذا انعكاس لفهم المؤمن منهجَ النّبي صلى الله عليه وسلم في التحصين العقدي.

المطلب الثاني: الثبات النفسي أمام الفتن:

يعتبر الثبات النفسي مصطلحاً لاقى اهتماماً كبيراً في المجال البحثي، فهو يعتبر مؤشراً يُحكم من خلاله على صحة الإنسان النفسية، ويُستدل بها على استقرار شخصيته في ظل ما يواجهه من أسباب القلق والاضطراب[4]، أما إذا ضُبِط الثبات النفسي بكونه أمام الفتن فيُقصد منه القدرة على التحكم بالانفعالات والمشاعر، مع الحفاظ على الاتزان والهدوء عند مواجهة الفتن والتعرض للشبهات، ولا بد أن الثبات النفسي هنا يعني بالضرورة الوصول للأمن الفكري على الصعيدين الداخلي والخارجي، والأمن الداخلي المقصود يعني الاستقرار من القلاقل والفتن والشبهات والانحرافات، ويقصد بالأمن الخارجي أن تصير الأمة مهابة

---

[1] ينظر: المباركفوري، **بعض آثار العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع**، (ص 60).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (ج1/ص 12/ح 13).

[3] ينظر: الفوزان، **منحة العلام في شرح بلوغ المرام**، (ج10/ ص 103).

[4] ينظر: الشيباني، **الاتزان الانفعالي وعلاقته باتخاذ القرار لدى بعض طلاب جامعة بني وليد في ضوء بعض المتغيرات**، (ص470).

من أعدائها، فكلما زادت قوة العقيدة زاد شعاع نورها بين الأمم، وكلما زادت صلابتها زاد خوف أعدائها منها.

ويعمل الثبات النفسي أمام الفتن على إكساب المؤمن شجاعة عظيمة وقوة مهيبة في مواجهة الضغوط الفكرية والانحرافات العقدية والمغريات بأنواعها، وهذا أثر للتحصين العقدي على النفس، فالعقيدة المغروسة في القلوب والعقول هي سلاح عظيم يُنمّي في النفوس ثباتاً عجيباً في ظل الحرب على العقيدة، فيدفعها إلى محاربة الأفكار الشائبة المنحرفة، ومقاومة التيارات الوافدة من الانحرافات الفكرية أو العقدية[1]، وبما أنّ الثبات النفسي أمام الفتن مرتبط بالمناعة الفكرية، فلا بد من سلامة الأصول التي يبني عليها المسلم ثوابته العَقَديّة، واعتماد المنهج الوسطي في البناء العقدي، مع تجنب التعرض لسيل الشبهات ما أمكن لذلك سبيلاً، فإن كل ما يعمل على زعزعة المناعة الفكرية يؤدي إلى خلخلة الثبات النفسي [2].

ومن أمثلة الثبات النفسي أمام الفتن ما رواه أبو بكر رضي الله عنه قال: "قلت للنّبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟"[3]، والعقيدة التي لم تَنْثَنِي عند النّبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث هي عقيدة المعية، فهو يعتقد يقيناً جازماً لا ريب فيه بأنّ الله معهما، وأنّ الله تعالى بمعيته الخاصة لهما كان ثالثَهما[4]، وتتضح معالم شخصيته المتزنة صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، فقد تميزت بمعرفة الطريق ووحدة الغاية لرضى ربه تعالى[5]، وهذا الثبات الراسخ دليل قوة العقيدة في قلب النّبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان ذلك كذلك رزقه الله تعالى الثبات النفسي في مواجهة الفتنة التي كانت تتربص بهما.

---

[1] ينظر: عبيد، **أثر التربية الإيمانية في تقوية روابط المجتمع الإسلامي**، (ص 65).

[2] ينظر: الفوزان، **القواعد العقدية في تعزيز المناعة الفكرية**، (106-108).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، (ج5/ص 4/ح 3653).

[4] ينظر: ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، (ج8/ ص 373).

[5] ينظر: القرضاوي، **عقائد الإسلام**، (ج8/ ص 161-162).

المطلب الثالث: الحماية من الوسواس العقدي:

يتّبِع الشياطين في سبيل إغواء الناس سبلاً متعددة منها الوساوس العملية والعَقَديّة، وقد عمل النّبي صلى الله عليه وسلم على تخليص الأمة من هذه الوساوس، فهي سبب مهم للانحراف في المعتقد، فعمل على تطهير القلب وتقوية العقيدة فيه، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1]. فالقلب هو المَلِك والأعضاء جند له وتبع، فهو ميدان الإصلاح المهم، ولعلم الشيطان اللعين بهذا فقد جعل القلب ميدانَ عمله الدؤوب لإفساد اعتقاد الناس بالوساوس[2]، وخطر الوساوس العقدية يأتي من كونها أصل كل معصية وانحراف، وذلك بالتشكيك في الذات والصفات الإلهية، فمن لا يعلم كيفية التعامل معها فسيميل إلى انحراف، أما من اتخذ التوسط منهجا فلن تضره[3].

ومما ورد في الوسوسة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بَلَغَهُ فليستعذ بالله ولْيَنْتَهِ"[4]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله"[5]. وقد جاء الأمر بالاستعاذة في أي حالة يطلب الشيطان فيها من الإنسان أن يوقعه في شر أو يصرفه عن وجوه الخير، وكلما اشتدت قوة الإيمان في القلب واتسعت دائرة العلم في العقل زاد برد اليقين ولم يحفل المسلم بالوساوس، والعكس بالعكس[6]، فإنّ التوجيهات النبوية تعطي المسلم أدوات عملية للتعامل مع وساوس الشيطان.

فالشيطان كما ذَكر النّبي صلى الله عليه وسلم يوسوس في القلب من باب التسلسل المذكور: من خلق الشمس؟ ومن خلق الذي خلق الشمس؟ أي: تسلسل خلق الخالق وموجِد الموجِد؛ لأنّه لا بدّ لكل شيء من

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ج1/ص 20/ح 52).

[2] ينظر: ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (ج1/ ص 5).

[3] ينظر: آل عبد اللطيف، **سبيل العلاج من الوساوس والشكوك**، (ص 18).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج4/ص 123/ح 3276).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، (ج9/ص 96/ح 7296).

[6] ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج 7/ ص 284).

موجِد، والله شيء، فيصل الشيطان بالمرء إلى سؤال: من خلق الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذا الباب من الوساوس لا يعني ضعف الإيمان بالضرورة، بل إنّ الوساوس قد يتعرض لها قوي الإيمان وضعيف الإيمان على السواء، أما قوي الإيمان فيسهُل عليه صرف الوسواس الشيطاني لقوة عقيدته ولعلمه بمنهج النّبي صلى الله عليه وسلم في صرفه، فيلجأ إلى ربه بالاستعاذة والتضرع، وينتهي عن التفكير في الوساوس، ولا ينساق وراءها حتى لا تستقر في فكره ووجدانه، أما إذا لم يقدر على صرفها فإنها ستتحول إلى شبهة تحتاج إجابة، فيبحث عن أهل الاختصاص ويسألهم كما فعل الصحابة بسؤالهم النّبي صلى الله عليه وسلم. وأما ضعيف الإيمان فتسوقه الوساوس ويضطرب فكره ويهتز عرش العقيدة في قلبه، إلى أن يجتاله الشيطان عن دينه أو يَمُنّ الله عليه بالوقاية.

والوسوسة مرض يؤدي إلى قلق دائم مُعدٍ للآخرين في كل مكان يذهب صَوبَه؛ لأنّ الشيطان فعل بالمريض الأفاعيل، إلا أنّ الله لا يقبل عذر أحد باحتجاجه بأنّ الشيطان هو الذي وسوس له فاضطره إلى الانحراف العقدي أو السلوكي أو الأخلاقي؛ لأنّ الوسوسة لا تُجْدي إلا مع مَن قبِلَها من الشيطان وانساق وراءها، وفي آدم وحواء دليل، فالشيطان لمَّا وسوس لهما فأكلا من الشجرة لم يحتجّا على الله بذلك، بل تابا إلى الله واعترفا بالذنب[1].

المطلب الرابع: السكينة في مواجهة الأسئلة الوجودية:

المسألة الأولى: التعريف بالأسئلة الوجودية وعلاقة التحصين العقدي النبوي بها:

يُقصد بالأسئلة الوجودية الأسئلة التي يبحث عنها كل أحد وهي تدور حول: من أين أتيت؟ ولماذا أنا هنا؟ وإلى أين المصير؟ وهذه الأسئلة تتعلق بوجود الإنسان وهدف وجوده، وهذه الأسئلة تأتي صعوبة الإجابة عنها من بساطتها، فهي من قبيل السهل الممتنع بشدة[2]، وهناك تقسيم آخر لهذه الأسئلة وهو الآتي[3]: لماذا الوجود موجود (أنا ومَن حولي)؟ ما هدف هذا الوجود؟ ما هو الشيء الذي تتأسس عليه أفعال الإنسان؟

[1] ينظر: يوسف، **حديث عن الوسواس**، (ص 163).

[2] ينظر: إمام، **مدخل إلى الميتافيزيقيا**، (ص22).

[3] ينظر: العجيري، **أسئلة المعنى**، محاضرة يوتيوب.

لماذا يكتظ العالم بالألم والمعاناة؟ هل الموت هو النهاية أم هناك عالما بعده؟ وهذه الأسئلة تشكل عند الإنسان قلقاً وجودياً يحاول أن يهتدي إلى مخرج منه، وهذا القلق الوجودي هو ما يميزه عن غيره من المخلوقات، فالأصل في أن يتجاوز في البحث العالم المادي المعيش إلى ما وراءه من الغيبيات كي يصل إلى إجابات تُشبِعه[1]، وقد عمل المنهج النبوي في التحصين العقدي ليضمن السكينة النفسية لمن اتّبعه، فأجاب عن الأسئلة الوجودية التي تدور في خَلَد الناس، فكلما اقتربوا أكثر من معرفة حقيقة علاقتهم بربهم اطمأنوا أكثر.

لكن ليس كل مسلم يصل إلى هذه المرحلة من اليقين والسمو والاطمئنان، فالأمر غير منوط فقط بفكرة كوني مسلماً، فالإسلام الوراثي[2] وإن كان طيّباً لكنه لا يغني كثيراً في معرفة إجابات الأسئلة الوجودية، مع أنّ عقيدة الإسلام تحث الجميع على التفكر، كي يكون الإسلام مقترناً بمعرفة الحقائق، والاقتناع العقلي والوجداني الكامل للمسلمين وغيرهم[3]، بل إنّ البحث في مثل هذه الأمور قد يكون فيصلاً بين إيمان العبد وكفره، فماذا لو عرضت له شبهة حول أي منها وهو لا يعلم الإجابة؟ وما لو اضطر للعيش في بيئة ملحدة فصارت بيئة أبنائه الإلحاد لا الإسلام؟ ولذلك فعلى المؤمن ألا يكون همه وراثة الإسلام وتوريثه فقط، بل عليه بالتحليل والمقارنة ليكون إيمانه صلبا ينبع من العقل والقلب معاً، وعلى الملحد أن يعلم بأنّ شرط الإيمان ليس الوراثة، فهناك من يدخل في الإيمان حين يرى التفسير الميتافيزيقي[4] فيجده أكثر إقناعاً من تفسير الملاحدة[5].

---

[1] ينظر: عرفة، **لماذا نحن هنا؟** (ص36).

[2] هو الذي يولد عليه المرء لأن أبويه أو بيئته مسلمة، فينشأ على ما نشأ عليه غيره دون إعمال فكر أو بحث وجداني. ينظر: العجيري، **أسئلة المعنى**، محاضرة يوتيوب.

[3] من المبَرَّر أن يسأل الإنسان الأسئلة الوجودية، لأن الإنسان لو نام ثم لما استيقظ وجود نفسه في قطار أو في مكان لا يعلمه، فلا بدّ أنه سيسأل عن المكان الذي وجد نفسه فيه، وأن يسأل عن سبب وجوده فيه، وأن يسأل عن الوجهة التي هو متجه إليها. ينظر: المرجع السابق.

[4] الميتافيزيقيا أو الميتافيزيقية: هي توجه أدبي وفلسفي يبحث في علوم ما وراء الطبيعة وحقائق ما بعد الموت، فينظر إلى الظواهر في العالم بطريقة عقلية عاطفية، ويخترع أساليب مبتكرة في تفسير الظواهر المحسوسة بعيدا عن التفسير الديني. ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (ج2/ ص 905).

[5] ينظر: إبراهيم، حسين، **الله والأسئلة القديمة**، مجلة فكر، ع41، 2024م، (ص 55).

المسألة الثانية: المنهج النبوي يجيب عن سؤال: من أين أتى الوجود؟

من الأمثلة على ذلك: ما رواه عمران بن الحصين رضي الله عنه أنّ أهل اليمن سألوا النّبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: "جئناك نسألك عن هذا الأمر[1]. قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض" الحديث[2]. فأوضح لهم أن العرش والماء من مخلوقات الله تعالى التي أبدعها قبل السموات والأرض، وأنّ وجوده تعالى أزلي بلا ابتداء أو انتهاء، وأنّه فاعل مختار لأفعاله محيط بكل ما في الوجود، والحديث أعطانا خبر هذا العالم الذي نعيش فيه لا خبر كل الوجود، ولا يصح أن نقول أنّ هذا خبر كل ما خلق الله تعالى[3]، فمثل هذه الأسئلة الغيبية لا يمكن أن نعلمها إلا بوحي يأتينا خبره من النّبي صلى الله عليه وسلم[4]، فمنذ القديم لا زال الناس يتساءلون عن هذا الكون وما مبدؤه وكيف وُجد، فأزال النّبي صلى الله عليه وسلم عن السائل عذاب الجهل بالإجابة، ونقل إليه برد اليقين بالعلم، وحصّن اعتقاده بوجود الخالق الحكيم وبصفاته عز وجل، وما دام المؤمن يعتقد أن له خالقاً كامل الصفات فلن يضلّ ولن يشقى.

المسألة الثالثة: المنهج النبوي يجيب عن الأسئلة: مَن أنا؟ ولماذا أتيت؟

من الأمثلة على ذلك: ما تمثله النّبي صلى الله عليه وسلم من حسن العبادة والدوام عليها والاجتهاد فيها تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56]، فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: "إنْ كان النّبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه، أو ساقاه فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبدا شكوراً"[5]. وقد كان ديدنه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بما يستطيعون وينهاهم عما يشقّ عليهم كي لا يعجزوا عن الدوام عليه، لكنّ ذلك لا يعني التقصير في العمل، بل إنّ حصول الدرجات يتأتى معه زيادة العمل لزيادة الشكر، والضابط هو القدرة على المواظبة دون

---

[1] أي: عن بدء الخلق. ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج6/ ص 288).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده}، (ج4/ص 105/ح 3191).

[3] ينظر: سفر الحوالي، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ص 267– 269).

[4] ينظر: زريوح، **المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين**، (ج2/ ص 1237).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه، (ج2/ص 50/ح 1130).

تكلّف[1]. وهو بهذا يتمثل الآية الكريمة في أنّ وجود الإنسان متعلق بعبادة الله تعالى مع الإيمان بعدم حاجة الله تعالى لإيمان الخلق وعملهم، بل هم المحتاجون لهذا الإيمان والعمل، ومن أسباب ذلك حصول الأجر على العمل وحصول مغفرة الذنوب، ولهذا فإنّ النّبي صلى الله عليه وسلم لما غفر الله له ما تقدم وما تأخر وجد في نفسه الحاجة إلى أن يبذل جهده ليكون عبداً شكوراً، فما نحن إلا عباد لله، وإنّما نحن هنا لعبادته جل شأنه.

المسألة الرابعة: المنهج النبوي يجيب عن سؤال: إلى أين المصير؟

لقد علّمنا النّبي صلى الله عليه وسلم ألا ينغمس أحدنا في الدنيا ظانّاً الخلود، وألا يتعلق بها أكثر مما يجب، فالدنيا زائلة والموت حتم لازم، فأرشد صلى الله عليه وسلم المسلم إلى طريقة عيش الحياة كي يَسْلَم فيها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"[2]، والحديث أصل في وجوب تقصير الأمل في الدنيا، وألا يتخذها العاقل بيتاً ومسكناً، بل يكون على مستعداً للسفر في أي وقت، وبما أنّها لا تدوم لأحد فالواجب أن يكون حالنا فيها على أحد اثنين: أن يتخيل نفسه غريباً مقيما في بلد ليست بلده، أو أن يرى نفسه مسافراً غير مقيم في بلد البتة، وكلاهما يجتهد ويتزود استعدادا للرجوع إلى الوطن الذي فيه الاستقرار والطمأنينة[3]، فلا يتعلّق قلب المؤمن بالدنيا، ولا يأسف عليها لعلمه أنّها دار ممرّ والآخرة هي المستقر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "العبد إذا وُضع في قبره وتُوُلِّيَ وذهب أصحابه، حتى أنّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النّبي صلى الله عليه وسلم: فيَراهما جميعا. وأما الكافر، أو المنافق، فيقول: لا

---

[1] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (ج1/ ص 71).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، (ج8/ص 89/ح 6416).

[3] ينظر: ابن رجب، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، (ج2/ ص 377).

أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرْيت ولا تَلَيْت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يَسمعها من يَلِيه إلا الثقلين"[1].

وفيه دليل على أنّ فتنة القبر وعذابه ونعيمه حق لا مرية فيه[2]، فإنّ بَعد الموت برزخاً فيه فتنة القبر وعذاب أو نعيم، ثم بعد البرزخ حياة فيها جنّة لأهل الحق أو نار لأهل الباطل ولا موت بعد الموتة الأولى.

المسألة الخامسة: المنهج النبوي يجيب عن سؤال: لماذا يوجد الألم والشر في العالم؟

بعد أن هيّأ الناس ليتقبلوا أن وجودهم في الدنيا اختبار لهم وعليهم التحضير للآخرة علّمهم أنّ الألم لا بدّ من وجوده في الدنيا، والألم والنعيم في الدنيا اختبارات من الله لهم، فلا شعور بلذة النّعيم إلا بعد الألم، وإنّ العمل على اجتياز الاختبار يعني شكر النّعيم والصبر على الألم، وفي هذا الأخير يروي أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب[3] ولا هَمّ ولا حُزْن ولا أذى ولا غَمّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كَفّر الله بها من خطاياه"[4]، فالمؤمن يرى في البلاء رحمة عظيمة، ولو لم يكن فيه إلا تكفير الذنوب لكفاه ذلك، مع أنّ فيه مع ذلك رفعة في الدرجات وحطّا للسيئات[5]. وفي هذا يقول ابن تيمية: "فإنه لا يخلق شراً محضاً، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شرّ لبعض النّاس وهو شرّ جزئي إضافي، فإمّا شرّ كلي أو شر مطلق، فالربّ منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه"[6].

لقد أجاب الحبيب صلى الله عليه وسلم عن الأسئلة الوجودية التي تؤرق الناس، لكنّ الإنسان النبيه هو الذي يستثمر وقته في العلم ومعرفة هذه الإجابات التي اشتمل عليها المنهج النبوي، وهذا النبيه العاقل هو

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، (ج2/ص 90/ح 1338).

[2] ينظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج3/ ص 358).

[3] النَّصَب: التعب، والوصب: المرض. ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص 2099).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب ما جاء في كفارة المرض، (ج7/ص 114/ح 5641).

[5] مجموعة من الباحثين، **الموسوعة العقدية**، (ج2/ ص315).

[6] ابن تيمية، **الحسنة والسيئة**، (ص 44).

الذي يُصالح بين أعماله وبين تصوراته باستخدام هذا العلم، ولن يترك ما يحيك في صدره يُحرّك نفسه دون أن يعِي ذلك[1].

لذا فمن ثمرات التربية المحمدية في المجال العقدي على الجانب النفسي معرفة الإنسان الغاية من وجوده، والوجهة التي يسير إليها، ويعرف رسالته في الحياة، فيحسّ بهذا أنّ حياته ذات قيمة ومعنى، فيذوق طعم الإيمان وحلاوة العيش، ويوقن بأنّ الله لم يخلقه سدى ولم يتركه يتخبط في ظلمات الدنيا والجهل كحال الذين لا يؤمنون[2]، فالحمد لله وليّ المؤمنين على نعمه وآلائه.

[1] ينظر: عامري، **براهين وجود الله**، (ص41).

[2] القرضاوي، **القضايا المبدئية والمصيرية الكبرى للإنسان**، (ج7/ ص136).

المبحث الرّابع: آثار التحصين النّبويّ من الانحراف العقديّ في المجال السلوكي

للسنّة النبوية الأثر البالغ في توجيه السلوك الإنساني إلى أفضل شيء، فيتجاوز التطبيق العملي النبوي للقرآن الكريم حسن العبادة ليغطّي كل جوانب السلوك الإنساني كالأخلاق التي ينعكس أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع، فالسنة النبوية تُعدّ الموجه الأمثل لحركة الإنسان وسلوكه، وهي الضّامن لتحوّل الإيمان من الجانب النظري إلى الجانب العملي التطبيقي، ومن مجرد قناعات قلبية إلى سلوكيات وأخلاقيات راقية، وينعكس أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع.

المطلب الأول: الالتزام العملي:

يظهر تأثير العقيدة جليّاً بشكل إيجابي على حياة المسلم العَمَليّة، وسيمتد الأثر إلى مَن هم حوله؛ فمثلاً إنّ نزعة الإنسان إلى التملك ستغدو بالتحصين العقدي وسيلة لإقامة حياة عادلة يعمّها الرخاء والعمران والحدائق والخيرات، ونزعة القوة والبطش عند ضبطها بالعقيدة ستصير سبيلاً لحماية الحقوق وحراسة العدالة، أما نزعة العلم والإدراك إذا انضبطت بضابط العقيدة فستصبح نوراً لصاحبها ولمن حوله، يرى في كل ما حوله أهمية إيمانه، ويرى في كل ما حوله عظمة الخالق، فيَحذر مِن تجاوز كل ذلك ولا ينساق وراء الشبهات والانحرافات[1]، فينعكس أثر العقيدة في الالتزام العملي على الأعمال اليومية الحياتية وعلى تطبيق الشرائع.

المسألة الأولى: الأعمال اليومية الحياتية:

يسعى الفرد لأن تكون أعماله اليومية الحياتية على أكمل وجه يحبه الله ويرضاه، ويبتعد عن التقصير في أدائها، سيما في زمن الفتن وانتشار الشبهات؛ لاعتقاده بأنّ الاستخلاف المطلوب يحثّه على إتقان العمل، فكل أعماله اليومية الحياتية جزء من إعداده لآخرته، وجزء من مَهره للجنة. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن

[1] ينظر: البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، (ص 67-68).

رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته" الحديث[1]، فجمع النّبي صلى الله عليه وسلم كل هذه المسائل تحت باب الرعاية والأمانة، فالناس مُستأمَنون على جوارحهم وقلوبهم، وعليهم واجب الرعاية والحفظ لكل ما حولهم من الناس والأعمال التي يعملونها[2]، فمن يتمثل هذا الحديث سيستشعر رقابة الله تعالى على أعماله فيُحسِنها أيّما إحسان، مع ضرورة استحضار النّية الصالحة لنقل الأعمال الحياتية العادية من قبيل العادات إلى العبادات[3].

ولا يشك ذو لبّ بأنّ هناك علاقة طردية قائمة بين صفاء العقيدة وتقدم المجتمعات سلباً وإيجاباً، وتاريخ المسلمين خير شاهد على هذا، فكلما زاد الصفاء العقدي زادَ عِزّ الأمة واستقرارها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. وإذا كان العكس؛ زادت القلاقل والفتن والبلابل والتراجع عن الرَّكب[4].

المسألة الثانية: تطبيق الشرائع:

يتحصّل ذلك بعمل العبادات والانتهاء عن المحرَّمات؛ إذ إنّ الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق، والعقيدة أساسها كلّها، فإنّ التحصين العقدي يدفع إلى أداء العبادات على الوجه الصحيح وإنْ صاحَب ذلك نقص في بقية الجوانب مع وجود الإثم على التقصير، لكنْ إذا كان الالتزام في الشرائع والأخلاق دون اعتقاد صحيح فعندها تكون المصيبة عظيمة، وبما أنّ العقيدة محلها القلب فإن النّبي صلى الله عليه وسلم وصف محلها بأنه مصلح الأعضاء ومفسدها، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[5].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، (ج3/ص 151/ح 2558).

[2] ينظر: أبو بكر بن العربي، **سراج المريدين فى سبيل الدين**، (ج3/ ص180-181).

[3] اشتهرت قاعدة فقهية مع اختلاف ألفاظها تدل على أن النية تحوّل العادات إلى عبادات، وقد بحثها العلماء في القواعد الفقهية مع حديث (إنما الأعمال بالنيات)، وكذلك في كتب الأصول والمقاصد، وممن بحث وفصّل في هذه المسألة الشاطبي في الموافقات. ينظر: الشاطبي، **الموافقات**، (ج3/ص 7).

[4] ينظر: أحمد، **العقيدة الصحيحة وأثرها على الأمة**، (ص 15).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ج1/ص 20/ح 52).

وقد عَلّق النّبي صلى الله عليه وسلم قبول الأعمال بالعقيدة، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"[1]، وهذه الأركان الأربعة الأخيرة لا تُقبل إلا بوجود الركن الأول وهو الشهادتان، وحاصل الشهادتين لا باللسان وحده وإنما استقرارهما في القلب والعمل بمقتضاهما، وهما يقتضيان إصلاح العبادات واجتناب المحرمات امتثالا لما يحمله معنى الشهادتين من إقرار بالتوحيد وإقرار برسالة النّبي صلى الله عليه وسلم[2]، فالعقيدة رأس الأمر والعبادة الجسد، وبهذا يتضح خطأ من يفصِل بين العقيدة والعمل، ولا بد لالتزام العمل وصحته من العلم، فإن العلم الصحيح دالّ على العمل السليم[3].

إذن فإنّ العقيدة هي الأساس الذي يحفظ أعمال الإسلام من أوامر ونواهي، وهي التي تمنع المسلم من أن يأخذ بعض الدين ويترك بعضه لأنّ يقينه أنّه كله من عند الله[4]، وهو يراقب الله تعالى في كل أعماله، فيستشعر ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"[5].

ولأنّ البخاري فهم هذا المنهج كما ينبغي، فقد أخرج هذا الحديث أول حديث في كتاب التوحيد؛ ليدلل على أنّ أولَّ مهم هو التوحيد، ثم تتوالى المسائل العملية المهمة من بعده. لذلك فالعقيدة السليمة إذا تحصنت كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم، فإنّ الدعوة إلى بقية الأمور تصير أسهل وأيسر، ودليل ذلك أنّه ابتدأ فقال: "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى" ثم قال: "فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم..."، ويدل الترتيب على أن العقيدة إذا صلُحت قُبل العمل، بينما إذا صلح العمل دون العقيدة لم يقبل ذلك العمل. ولهذا عَدّ ابن تيمية ظاهر الأعمال الواجبة دليلاً على الإيمان، فنقصان العبادات دليل على نقص الإيمان

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، (ج1/ص 8/ح 11).

[2] ينظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج 1/ ص 50).

[3] المباركفوري، **بعض آثار العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع**، (ص 56-57).

[4] ينظر: خليل، **الحصانة الفكرية في ضوء السنة النبوية -دراسة موضوعية**، (ص114-116).

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، (ج1/ص 19/ح 50).

في القلب، ولا اكتمال للإيمان القلبي مع انعدام الواجبات وظواهر الأعمال، بل يلزم من كمال هذا كمال هذا ومن نقص هذا نقص هذا[1].

المطلب الثاني: الانضباط في الأخلاق:

تَعمَل السنّة النبوية كمنظومة شاملة للقيم والأخلاق لضمان العيش في ظل حياة مبنية على الفضائل والاحترام المتعلق بطلب رضى الله تعالى، والمبنيّ على العقيدة السليمة، لأنّ العقيدة تمنع صاحبها من إيذاء غيره دون وجه حق، ومن أدلة ذلك ما رواه أبو هريرة أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[2]، وهو يدلّ على أنّ تلك الأعمال من تمام إيمانه وحسن اعتقاده، فإكرام الضيف مثلا من أرفع الأخلاق التي تدل على الزهد والكرم، فكل من نال السؤدد في الجاهلية أو الإسلام كان معروفا بهذا الخلق الفَضِيل[3].

ولقد عمل النّبي صلى الله عليه وسلم على استعمال الوازع الديني وتقوية العقيدة من أجل مكافحة الأمراض القلبية، فحذر منها في مواضع كثيرة؛ لأنّ أثرها يرتد على الجانب السلوكي للفرد، ومما ورد في ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن؛ فإن الظّنّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا"[4]. وليس نهي الظّنّ نهياً عن الحذر، لكنّه نهي عن سوء الظّنّ والمبالغة فيه، فمن ساء ظنه وبالغ فيه وجزم به فقد اتبع هواه وحَمَل على أخيه وأضره بسبب ذلك[5]. ومع النّهي عن سوء الظّنّ أتى النهي عن التحسس وهو ملاحقة

---

[1] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج7/ص 582).

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، (ج8/ص 11/ح 6018).

[3] ينظر: ابن حبان، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، (ص 257-258).

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (ج8/ص 19/ح 6064).

[5] ينظر: أبو طالب المكي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، (ج2/ ص371).

الغير بالحواس ليُعلم ما يخفون، والتجسس البحث عما أبطن الناس وأَخفَوا، وكثير منه بسبب إضمار الشر لهم[1].

وترتيب ما جاء في الحديث من النّواهي مهم، فإنّ سوء الظّنّ خُلق سيء يؤدي إلى خلق آخر سيء وهو التحسس الذي يجعل سيّء الظّنّ يتتبع مَن ساء ظنُّهُ بِهِم بحواسه ارتياباً منهم، ويسوقه ذلك لخلق آخر مذموم وهو التجسس بتتبع أسرارهم وإضمار السوء لهم، ثم لمّا حذّر النّبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وبيّن ما يترتب على كل خلق منها مِن جرٍ لآخر سيء، أرشدهم إلى البديل وجعله في أن يكونوا عباد الله، وعباد الله إخوان متحابون فيه، فسوء الأخلاق سيخرجهم من دائرة العبودية الصحيحة والأخوة المتينة، وهذا نظام أخلاقي اجتماعي متماسك يضمن السعادة للمجتمع، ويقوم على أساس ابتغاء الرضوان الإلهي باقتفاء الأثر النبوي.

وتجتمع قواعد الأخلاق كلها[2] في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[3]، ففيه ترغيب في محبة الخير لعموم الإخوة في الإسلام، وقد علّق كمال الإيمان بذلك ربطاً للنظام العقدي مع الجانب السلوكي الأخلاقي، ومن عموم محبة الخير له: محبة الخير الأخروي المتعلق بصحة الاعتقاد والعمل، ويؤدي ذلك لتفعيل منظومة التناصح والتعاون في المعروف[4].

إنّ غرس الأخلاق الفاضلة في المجتمع لا يكون إلا من خلال الرقابة الإيمانية، أمّا الرقابة المادية فسرعان ما يَحتال عليها الإنسان، والنّاظر إلى نظام الرقابة المادية يجده مرهونا بأخلاق تجارية سرعان ما تزول عند غياب الرقابة، لكن المؤمن ليس كذلك؛ فسواءٌ عنده رآه الناس أم لا، فلن يستنكف عن الأخلاق الحميدة، فهو يستشعر من أسماء الله الحسنى اسمه الرقيب، فيُثمر ذلك في قلبه وينعكس الأثر على سلوكه

---

[1] ينظر: الخطابي، **أعلام الحديث**، (ج3/ ص 1975).

[2] ينظر: الخنيزان، **عطر المجالس – دروس قصيرة فيما لا ينبغي للمسلم جهله**، (ص 125).

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (ج1/ص 12/ح 13).

[4] ينظر: الصغير، **إفراد أحاديث أسماء الله وصفاته– غير صفات الأفعال** –، (ج4/ ص 215).

وعمله، فميزة المجتمع المسلم إذن؛ أنّه يقيم في نفوس أفراده الاعتقاد الصحيح السليم، فإذا تم التحصين تَبنَّى المجتمع الأخلاقَ بناءً على حُبّه الطاعةَ وكراهيتِه المعصية، لعلمه أنّ الله لا يرضى سيّء الأخلاق ويَعُدّ ذلك من المعاصي، ويعلم أنّ الله يُحِبّ محاسن الأخلاق ويَعُدّ ذلك من الطاعات[1].

ولا يزال المسلمون في كل وقت وحين ومكان محتاجين إلى التزام المنهج النبوي الذي تمثل النّبي صلى الله عليه وسلم فيه المنهج القرآني، ومع أنّ هذا المنهج موجود بين أيدي الأمة الإسلامية إلا أنّ انغماسها في الملهيات والتفاهات –مع ما رافق ذلك من استعمار فكري معاصر– أدّى إلى اتساع رقعة المصيبة التي انغمس فيها أهل الانحراف، فكثير من العلماء مكبّلون، ولا يستطيع أي عالم أن يجهر بكل كلمة الحقّ، وهذه المصائب جرّت على العالم الإسلامي ويلات متعددة، ولا مخرج لهذه الأمة إلا بالرجوع إلى المنهج الذي رضِيه الله تعالى لنا وهو ما قرره على لسان نبيه العزيز الكريم صلى الله عليه وسلم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن تكون هذه الكلمات مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن يتقبلها الله تعالى ويجعلها حجة لي ولك لا علينا، آمين.

[1] ينظر: أحمد، **العقيدة الصحيحة وأثرها على الأمة**، (ص 13).

خاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

أولاً: أهم النتائج:

1. استقر الباحث في مفهوم "التحصين في ضوء السنّة النبوية" على أنّه: منظومة متكاملة من التدابير الإيمانية والعلمية والعملية التي سنّها النّبي صلى الله عليه وسلم لوقاية الأمة الإسلامية وحمايتها من الشبهات ومنعها من الوقوع في الانحرافات العقدية والسلوكية والأخلاقية، تحقيقا للأمن الشامل للأمة الإسلامية أفراداً وجماعات.
2. بعد التحري وُجد أنّ الأمة الإسلامية إنما تُوَجَّه إليها سهام تغذي فيها الجهل الذي هو ضد العلم والجهل الذي بمعنى اتباع الهوى، والهدف من ذلك أن تضل الأمة بشبابها وشيبها عن الطريق الحق وسبل التمكين، فيسهل الانحراف الفردي والجماعي.
3. توصلت الدراسة إلى أنّ الحرب التي يشنها أعداء الأمة الإسلامية على الأسرة والعلم الشرعي سواء في الجامعات أو المساجد ليست عبثاً، وإنما لهدم هذين الحصنين اللذين يقفان كصخرة أم مخططاتهم.
4. إنّ استشراف النّبي صلى الله عليه وسلم للمستقبل وبخاصة تحصين الأمة بكل فئاتها ظهر في هذه الدراسة بلا ريب، ومن أهمّ القواعد التي قررها لذلك: تعزيز اليقين بأصول الإسلام، وتوظيف العقل الناقد في تفنيد الشبهات، وتفعيل دور العلماء ودور الأسرة والمؤسسات التعليمية.
5. ينعكس أثر التحصين العقدي على المجال الوجداني، ومن ذلك تعميق محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، والتقلب ما بين الخوف والرجاء.
6. يؤثر التحصين العقدي في المجالات العقلية والنفسية والسلوكية، أمّا المجال العقلي فظهر في بناء التفكير النقدي وحماية الفكر من الشبهات، وتنمية الوعي العقدي، وتحقيق الاتزان العقلي، وأمّا المجال

النفسي فيتضح في تحقيق الطمأنينة النفسية، والثبات أمام الفتن، والإجابة عن الأسئلة الوجودية، وأمّا السلوكي فيتجلى في الانضباط العملي والأخلاقي، والوقاية من الانحراف السلوكي.

ثانياً: التوصيات:

1. يوصي الباحث بدراسة دور التحصين العقدي على الجانب النفسي في ضوء السنّة النبوية.
2. يوصي بتتبع مقاصد التحصين العقدي على التفاعل مع قضايا الأمة الإسلامية في الوقت المعاصر.
3. من مقاصد أعداء الإسلام تغييب دور الأسرة وبخاصة الأم، وتغييب دور العلماء والمدرسين والمساجد، كي يسهل عليهم حرف شباب الأمة عن العقدية السليمة الصافية، لذا يجب العمل كأفراد ومؤسسات ودول على تفعيل دور الأسرة والعلماء والمساجد.

قائمة المراجع

إبراهيم، حسين، الله والأسئلة القديمة، مجلة فكر، ع41، 2024م.

ابن أبي العز، عليّ الدمشقي، (ت: 792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: د عبد الله بن المحسن وشعيب الأرنؤوط (ت: 1438هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1411 هـ - 1990م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد، (ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى وآخرون، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (ت: 597هـ)، غريب الحديث، المحقق: الدكتور عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.

ابن الملقن، عمر بن علي، (ت: 804 هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي، دار النوادر، دمشق، ط1، 2008م.

ابن بطال، علي بن خلف، (ت: 449 هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 2003م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ)، الحسنة والسيئة، دار الكتب العلمية، بيروت، دون معلومات أخرى.

ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، (ت: 1430هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر الكتاب: دروس صوتية: net.islamweb.www//:http ، دون معلومات أخرى.

ابن حبان، محمد بن حبان، (ت: 354 هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المحقق: محمد محيي الدين، (ت: 1392 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون معلومات أخرى.

ابن حزم، علي الظاهري، (ت: 456هـ)، الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، دون معلومات أخرى.

ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت: 808 هـ)، تاريخ ابن خلدون، ضبطه: أ. خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1981م.

ابن رجب، عبد الرحمن البغدادي، (ت:795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط (ت: 1438هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1417هـ - 1997م.

ابن طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان، دون معلومات أخرى.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

ابن فورك، محمد بن الحسن، (ت: 406هـ)، مشكل الحديث وبيانه، المحقق: موسى محمد، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م.

ابن قدامة الجماعيلي، عبد الله بن أحمد، (ت:620هـ)، ذم التأويل، المحقق: بدر بن عبد الله، الدار السلفية، الكويت، ط1، 1406هـ.

ابن قدامة الجماعيلي، عبد الله بن أحمد، (ت:620هـ)، لمعة الاعتقاد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، 2000م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، حققه: محمد أجمل، دار عطاءات العلم، الرياض، ط4، 1440 هـ - 2019 م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (ت: 774هـ)، المحقق: حكمت بن بشير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1431 هـ.

ابن مسفر، سعيد بن مفرح، دروس للشيخ سعيد ابن مسفر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية net.islamweb.www//:http، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس، دون معلومات أخرى.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

ابن هبيرة، يحيى بن محمد الشيبانيّ، (ت: 560هـ)، الإفصاح عن معاني الصحاح، المحقق: فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، 1417هـ.

أبو إسحاق الحربي، إبراهيم بن إسحاق، (ت: 285هـ). غريب الحديث، المحقق: د. سليمان إبراهيم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1405هـ.

أبو الوليد الباجي، سليمان بن خلف، (ت: 474هـ)، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، ط1، 1332 هـ.

أبو بارعة، فارس محمد، ضوابط فهم السنّة النبوية وأثرها في تحصين المجتمع المسلم من شبهات الحداثيين والملاحدة، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، ماليزيا، مج8، ع1، 2022م.

أبو بكر بن العربي، محمد بن عبد الله، (ت: 543 هـ)، سراج المريدين فى سبيل الدين، ضبط نصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبدالله التوراتي، دار التحديث الكتانية، المغرب، ط1، 2017 م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، (ت: 275 هـ)، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت: 1438 هـ) ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط 1، 2009 م.

أبو زهرة، محمد أحمد، وآخرون، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1414 هـ.

أبو سليمان، عبد الحميد، قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط 1، 1406هـ-1989م.

أبو طالب المكي، محمد بن علي، (ت: 386 هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426 هـ -2005 م.

أبو عبيد، القاسم بن سلام، (ت: 838هـ)، غريب الحديث، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ - 1984 م.

أبو عمير، فايز عبد الفتاح، وفكري الدويري، المنهج الشرعي في الاستبانة من الأخبار ونقلها: رؤية تربوية من خلال القرآن والسنة النبوية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج18، ع2، 2022م.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنّة والجماعة)، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ.

أحمد السيد، ابن يوسف، سابغات: كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، تكوين للدراسات والأبحاث، ط 3، 1437هـ-2015م.

أحمد، محمد إبراهيم، العقيدة الصحيحة وأثرها في حياة الأمة، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- معهد العلوم والبحوث الإسلامية، ع2، 2011م.

الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)، المحقق: أحمد بن مونس، دار الخراز، جدة، ط1، 1420هـ - 2000م.

أرباب، محمد أبكر، وسائل التحصين من الفتن في ضوء السنّة النبوية: دراسة تحليلية، مجلة القلزم للدراسات الإسلامية، ع9، 2022م.

الأسرة كما يريدها الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م.

إسليم، ليلى محمد، وإسراء عطا، مجالات الحصانة الفكرية في ضوء السنّة النبوية: دراسة موضوعية، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج5، ع56، 2016م.

أسئلة المعنى، فيديو يوتيوب، بتاريخ 2025/12/5م. https://youtu.be/hYykARJxGZo?t=928

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق، (ت: 324هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المحقق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ - 2005م.

الأعظمي، محمد ضياء، دراسات في السنّة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دون معلومات أخرى.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد أجمل، وآخرون، دار عطاءات العلم، الرياض، 2019 م.

الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، المحقق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ - 1997م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، دون معلومات أخرى.

آل الشيخ، سلطانة بنت عبد العزيز، الخلل في منهج الفكر وأثره في الانحراف العقدي، مجلة القلم، ع47، 2025م.

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، (ت:1389هـ)، شرح العقيدة الواسطية، كتبه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن، ط1، المدينة المنورة، 1445هـ-2023م.

آل حنش، يحيى بن محمد، الأسباب العلمية للانحرافات الفكرية ومنهج السنّة النبوية في معالجتها، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربي للبنات بدمنهور، ع5، 2020م.

آل عباس، أحمد بن عائض، الشبهات والأخطاء العقدية وهدي النّبي صلى الله عليه وسلم في معالجتها، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين-قسم العقيدة، المملكة العربية السعودية، 2015م.

آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، سبيل العلاج من الوساوس والشكوك، البيان، ع212، 2005م.

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420 هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992 م.

إمام، إمام عبد الفتاح، مدخل إلى الميتافيزيقيا، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2005،1م.

الآمدي، علي بن محمد، (ت: 631 هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، علّق عليه: عبد الرزاق عفيفي (ت: 1415 هـ)، مؤسسة النور بالرياض، سنة 1387 هـ.

الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل، (ت: 1182هـ)، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، المحقق: د. محمَّد إسحاق، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ -2011 م.

الأمين، أحمد عبادي، التأسي بين التبرك والوظيفية: نحو استئناف التأسيس المناهجي لعلن التعامل مع آثار النبوة، الإحياء، ع27، 2008م.

بادي، جمال، وإبراهيم شوقار، الأمن الفكري وأسسه في السنّة النبوية، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 1430هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ.

بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون معلومات أخرى.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، فقه الأدعية والأذكار، الكويت، ط2، 2003م.

برايم، هيمن عزيز، حفظ الوطن والانتماء إليه بين الحريات والرفض العقدي–دراسة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث، ع40، 2016م.

البركتي، محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

البِرْماوي، محمد بن عبد الدائم، (ت: 831 هـ)، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 2012 م.

برهان الدين البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت: 885 هـ)، مصرع التصوف، وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، المحقق: عبد الرحمن الوكيل، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دون معلومات أخرى.

البعداني، خالد محمد، مصادر التلقي سلامة فهمها وأثره في الوقاية والانحراف الفكري، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، ع24، 2019م.

بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، المحقق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط3، 1415هـ–1995م.

بلحسن، أمينة تليلي، الانحرافات العقدية المعاصرة: دوافعها وآثارها وسبل مقاومتها، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، ع13، 2023م.

البوطي، محمد سعيد، (ت: 2013م)، الحكم العطائية –شرح وتحليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1424هـ.

التفكير الناقد للجيل الصاعد، تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2020م.

تلبيس إبليس، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ – 2001م.

التميمي، محمد بن سليمان، وآخرون، تطهير الجنان – القواعد الأربع – منهج السالكين، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1417هـ.

الجاسر، مطلق، ترياق – نحو معالجة تأصيلية للشبهات الفكرية، بيّنات، ط 2، 2021م.

الجراري، نورة إدريس، جمالية العقيدة الإسلامية ومقاصدها في البناء الفكري الأخلاقي للشخصية الربانية، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، السعودية، 2021م.

الجرجاني، علي بن محمد، (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1403هـ -1983م.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1999م.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو (الداء والدواء)، دار المعرفة – المغرب، ط1، 1997م.

الحافي، هنادي محمد، محبة الله الطريق إلى عبادته عند ابن القيم الجوزية، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مج 3، ع9، 2023م.

الحربي، زينب، من آثار العقيدة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س8، ع1، 1982م.

الحربي، عبد المجيد صالح، جهود علماء التفسير في الرد على المعتزلة في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال، المجلة العربي للدراسات الإسلامية والشرعية، ع 30، 2024م.

الحربي، نورة بنت نايف، المدرسة الصوفية: مصادرها ومقوماتها المنهجية، المجلة العربية للنشر العلمي، ع15، 2020م.

الحسن، شمس الدين الفكي، مصادر التلقي عند الصوفية وموقف ابن القيم منها، مجلة دراسات إسلامية، ع14، 2022م.

الحسن، منال سيد أحمد، وعبد المولى الطاهر المكي، دور الأم المسلمة في تنشئة الداعية القائد، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2013م.

الحسين، محمد أحمد، مكانة العقل في القرآن والسنة، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثني والعشرين، دون معلومات أخرى.

الحقوي، خلدون بن محمود بن نغوي، التوضيح الرشيد في شرح كتاب التوحيد؛ المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد، دار اللؤلؤة، مصر، ط1، 1443 هـ – 2023 م.

الحمادي، علي، في قفص الاتهام، منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها (1)، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1420هـ -1999م.

الحموي، أحمد بن محمد، (ت نحو 770 هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

الحموي، ياقوت، (ت: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

الحميد، المثنى بن عبد العزيز، السؤال العقدي أهميته ومقاصده، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربي للبنات بدمنهور، ع10، مج2، 2025م.

الحميميدي، منتهى بنت منصور، مصادر الأشاعرة في التلقي ومنهجهم في الاستدلال في باب العقيدة: عرضا ودراسة، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، ع14، 2021م.

الحوشان، يوسف بن حمود، مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري "عرض ودراسة"، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية، 1418هـ.

حوّى، سعيد (ت: 1409 هـ)، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط1، 1985 هـ.

حوى، معاذ سعيد، التزكية تصوف أهل السنة، دار الفاروق، عمان، ط4، 2022م.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 3، 2012م.

الخالدي، محسن سميح، الهوى (دراسة موضوعية للمصطلح القرآني)، مجلة دراسات/ الجامعة الأردنية، الأردن، مج 37، 2010م.

الخضير، عبد الكريم بن عبد الله، شرح الأربعين النووية، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس، دون معلومات أخرى.

الخطابي، حمد بن محمد، (ت: 388 هـ)، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المحقق: د. محمد بن سعد، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. ط1، 1409هـ - 1988م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت: 463 هـ)، الفقيه والمتفقه، المحقق: عادل بن يوسف، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1421 هـ.

الخطيب، عبد الكريم، (ت:1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دون معلومات أخرى.

خلاف، عبد الوهاب، (ت: 1375هـ)، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر، ط8.

الخليل، أحمد بن محمد، شرح زاد المستقنع، دون معلومات أخرى.

الخنيزان، تركي بن إبراهيم، عطر المجالس – دروس قصيرة فيما لا ينبغي للمسلم جهله، بدون ناشر، ط2، 1441هـ– 2020م.

خياط، ندى بنت حمزة، منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج1، ع36، دون معلومات أخرى.

دراز، محمد عبد الله، الدين– بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار التقوى، القاهرة، ط1 1442هـ– 2021م.

الدريني، فتحي، (ت: 2013م)، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط3، 1441هـ –2020 م.

الديوبندي، محمد أنور شاه، (ت: 1353هـ)، فيض الباري على صحيح البخاري، المحقق: محمد بدر عالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.

الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام، القاهرة، 1428هـ – 2007م.

الذهبي، محمد بن أحمد، (ت: 748 هـ)، سير أعلام النبلاء، خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، 1427 هـ – 2006 م.

الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين، (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط1، 1412 هـ.

الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، ط3، 2019م.

الرسالة العرشية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1399هـ.

الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1357 هـ - 1938 م.

رضا، محمد رشيد، (ت: 1354هـ)، وغيره، مجلة المنار، (رقم الجزء، هو رقم المجلد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في المجلد المطبوع)، دون معلومات أخرى.

الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، دون معلومات أخرى.

زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

الزاملي، أحمد علي، الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة دِرَاسَةٌ عَقَدِيَةٌ، رسالة: دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1437- 1438هـ.

الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1411 هـ - 1991 م.

الزركشي، محمد بن عبد الله، (ت: 794 هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1414 هـ - 1994 م.

زريفة، رشا بسام، عوامل استقرار الأسرة في الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010م.

زريوح، محمد بن فريد، المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين -دراسة نقدية-، تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 1441 هـ - 2020 م.

الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت: 538 هـ)، الفائق في غريب الحديث والأثر، المحقق: علي محمد البجاوي وآخرون، دار المعرفة، لبنان، ط2، دون معلومات أخرى.

زمزمي، يحيى بن محمد، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط1، 1414هـ-1994م.

زهران، حامد، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ط3، دون معلومات أخرى.

الزهراني، علي بن موسى، منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الأسماء والصفات: دراسة وعرض، مجلة جامعة الملك سعود– العلوم التربوية والإسلامية، مج21، ع1، 2009م.

زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 9، 2002م.

الزير، محمد بن حسن، القصص في الحديث النبوي– دراسة فنية موضوعية، ط3، 1985م.

الزيوت، عبد الله، ومحمد مجلي، منهج القرآن في التحصين الفكري، دون معلومات أخرى.

سالم، أحمد حسن، أثر العقيدة الإسلامية في مقاومة الانحراف الفكري في وسائل التواصل الاجتماعي: دراسة وصفية تحليلية، مجلة القلزم للدراسات الإسلامية، ع9، 2022م.

السباعي، مصطفى بن حسني، (ت: 1384هـ)، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط3، 1402هـ – 1982م.

السعدي، أمين بن أحمد، الهواتف والرؤى والمنامات عند الصوفية (عرض ومناقشة)، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، دون معلومات أخرى.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م

سفر الحوالي، بن عبد الرحمن، العِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه للمؤلف، دار الهجرة، دون معلومات أخرى.

السفياني، محمد بن بسيس، الانحراف العقدي، بداياته وأماكن ظهوره في عهد الصحابة رضي الله عنهم، جامعة أم القرى–كلية الدعوة وأصول الدين، مجلة أبحاث، ع12، 2018م.

السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر، موقع الدرر السنية على الإنترنت net.dorar، دون معلومات أخرى.

السكندري، ابن عطاء الله، (ت:709هـ)، الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفزي الرندي، إعداد ودراسة: محمد عبد المقصود هيكل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1988م.

سلامة، إياد أحمد، الخلل في التعامل مع مصادر التلقي وفهمها، المؤتمر الدولي القرآني الأول– أبها، جامعة الملك خالد–كلية الشريعة وأصول الدين، مج 4، 2016م.

سلطان عبد الحميد إبراهيم عبد الله، من كمال إيمان المسلم حمايته لمجتمعه من الجريمة، مجلة العلوم الإنسانية، ع20، 2020م.

السليماني، منال صالح، دور الأسرة في حفظ الهوية الإسلامية من خطر الغزو الفكري، جامعة بيشة، ع87، 2017م.

سمير، محمد، دلائل- فصول في النبوة وصحة الإسلام، دار المعالي، 2021م، دون معلومات أخرى.

السندي، محمد بن عبد الهادي، (ت: 1138 هـ)، حاشية السندي على سنن الترمذي، تحقيق: امتياز أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1442 هـ - 2021 م.

السيف، ناصر بن سعيد، الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، دون معلومات أخرى.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت: 911 هـ)، الزيادات على الموضوعات، ويسمى (ذيل الآلئ المصنوعة)، المحقق: رامز خالد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (ت: 790 هـ)، الموافقات، المحقق: مشهور آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله، دار ابن عفان، ط1، 1997م.

الشافعي، محمد بن إدريس، (ت: 204 هـ)، اختلاف الحديث، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

الشتيوي، نصر علي، مكانة العقل وحدوده في مجال أصول الفقه، مجلة رواق، دون معلومات أخرى.

شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى: إكمال المعلم بفوائد مسلم، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ - 1998 م.

الشرقاوي، محمد عبد الله، أثر الإيمان في الفرد والمجتمع، مجلة أصول الدين، ع2، 2017م.

الشريفين، محمد عيسى إبراهيم، الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي الشريف، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية- جامعة آل البيت، مج5، ع1، 2009م.

شلتوت، محمود، (ت: 1963 م)، الفتاوى- دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة، دار الشروق- القاهرة، ط الثامنة عشرة -2001م.

شلوبة، أحمد حسن، مهددات الخوارج للأمن الفكري في عصر الإمام البخاري، استنادا إلى صحيح البخاري، مجلة البحث العلمي الإسلامي، مج 15/ عدد خاص، 2020م.

الشهراني، حسن بن علي، دور الأسرة في تحصين الأولاد ضد الانحراف الفكري في ضوء القرآن الكريم، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية، مج 16، ع1، 2020م.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (ت: 548هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، دون معلومات أخرى.

الشوبكي، محمود يوسف، أثر الأحاديث الموضوعة في العقيدة، أعمال مؤتمر خطر الروايات الواهية على الإسلام، الجامعة الإسلامية بغزة– كلية أصول الدين، فلسطين،2011م.

الشوكاني، محمد بن علي، (ت: 1250هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 1999م.

الشيباني، نجية محمد، الاتزان الانفعالي وعلاقته باتخاذ القرار لدى بعض طلاب جامعة بني وليد في ضوء بعض المتغيرات، المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، 2023م.

صادق، صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1994م.

صالح، خولة علي، أساليب تنمية مهارات الذكاء الوجداني في الإسلام، كلية الجامعية بالقنفذة، جامعة أم القرى، السعودية، دون معلومات أخرى.

الصرصري، سليمان بن عبد القوي، (ت:716 هـ)، التعيين في شرح الأربعين، المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 1998 م.

الصغير، حصة بنت عبد العزيز، إفراد أحاديث أسماء الله وصفاته– غير صفات الأفعال – في الكتب الستة، رسالة: دكتوراه، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، 1417 هـ – 1996 م.

الطبري، محمد بن جرير، (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ويسمى تفسير الطبري، توزيع: دار التربية والتراث، مكة المكرمة، دون معلومات أخرى.

الطحان، محمود، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط10، 2004م.

الظفيري، أمل عبد العزيز، المصادر الداخلية الخاصة في التلقي والاستدلال عند الصوفية: العلم اللدُني أنموذجا، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، ع24 ،2022م.

عامري، سامي، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، تكوين للدراسات والأبحاث، لندن، ط 1، 2018م.

عباس، فضل حسن، (ت: 2011م)، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط4، 2021م.

عبد الخالق، عبد الرحمن، تصورٌ مقترح لتضمين الانحرافات العقدية في محتوى كتب التوحيد في المرحلة الثانوية الأزهرية، جامعة الأزهر، القاهرة، دون معلومات أخرى.

عبد الرحمن، عبد الرحمن عباس، الانحراف العقدي وموقف الإسلام منه، بحث مقدم لمؤتمر الفهم الصحيح للتراث الإسلامي، أسيوط جامعة الأزهر، مج 5، 2016م.

عبد العال، سامية عبد العال، مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية "الإثني عشرية"، مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، ع16، ج3، 2019م.

عبد الله، عودة، الحوار في السنّة النبوية ودوره في محاربة التطرف، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 34، 2020م.

عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، 1419 هـ - 1999 م.

عبيد، عبد القادر أحمد، أثر التربية الإيمانية في تقوية روابط المجتمع الإسلامي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مج27، ع4، 2019م.

العجيري، عبد الله بن صالح، شموع النهار- إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، 2016م.

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المحقق: إسماعيل بن غازي، دار عطاءات العلم، الرياض، ط4، 2019 م.

عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، دون معلومات أخرى.

العدوي، مصطفى شلباية، النور الساري في شرح صحيح البخاري، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1427 هـ-2006 م.

عرفة، إسماعيل، لماذا نحن هنا؟ الدار العربية للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1438هـ.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت: 852 هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1390 هـ.

العقاد، عباس محمود، (ت: 1964م)، التفكير فريضة إسلامية، مؤسسة هنداوي،2017م.

عقائد الإسلام، موسوعة الأعمال الكاملة (ج8)، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2022م.

العقل، ناصر بن عبد الكريم، شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net، (الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 21 درسا)، 1432هـ.

العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو، (ت: 322هـ)، الضعفاء الكبير، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ – 1984م.

علوان، أحمد، الانحراف السلوكي وعلاقته بالمجتمع، شبكة الألوكة، دون معلومات أخرى.

العلواني، رقية طاهر جابر، دور المؤسسات التعليمية في معالجة ظاهرة التكفير، المدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مج8، 2011م.

عليان، ثائر سميح محمود، وحسين عبد الحميد النقيب، الموهوبون في السنّة النبوية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2018م.

العمري، محمد نبيل طاهر، وتهاني عفيف يوسف جابر، الانحراف العقدي: أسبابه ومظاهره، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج13، ع2، 2017م.

العميري، سحر إبراهيم، وآخرون، أثر الغلو على الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم، المجلة التربوية للعلوم التربوية والنفسية، ع53، 2020م.

العميري، سلطان، تكوين العقلية الناقدة، (2018، 20/4)، فيديو يوتيوب:https://www.youtube.com

عواجي، غالب بن علي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط4، 1422 هـ - 2001 م.

عويضة، محمد نصر الدين، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، دون معلومات أخرى.

العيد، نورة بنت فهد، التحصينات الفكرية للشباب في الإسلام، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، مج2، ع1.

العيني، محمود بن أحمد، (ت: 855 هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1959م.

الغزالي، محمد الطوسي، (ت: 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ - 1993م.

الفَتَّنِي، محمد طاهر، (ت: 986هـ)، تذكرة الموضوعات، إدارة الطباعة المنيرية، ط1، 1343هـ.

فريد، أحمد، تزكية النفوس، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، 1413 هـ - 1993 م.

الفقيه، شفاء علي حسن، وراجح عبد الحميد الكردي، منهج التفكير في الحديث النبوي: جمعا وتصنيفا ودراسة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 2004م.

الفهيد، إبراهيم بن سليمان، سماحة الإسلام في حفظ العقل، بلا معلومات أخرى.

الفوائد، المحقق: محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم، الرياض، ط4، 1440 هـ - 2019 م.

الفوزان، بدرية بنت محمد، القواعد العقدية في تعزيز المناعة الفكرية، مجلة البحوث الأمنية، كلية الملك فهد الأمنية- مركز البحوث والدراسات، مج 21، ع 53، 2012م.

الفوزان، عبد الله بن صالح، منحة العلام في شرح بلوغ المرام، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1427 - 1435 هـ.

الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005م.

القاري، الملا علي، (ت: 1014هـ)، شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، خرج الآيات والأحاديث وعلق عليها: علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2019م.

القاضي ابن العربي، محمد بن عبد الله، (ت: 543هـ)، قَانون التَّأْوِيْل، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، ط1، 1986 م.

القاضي عياض، ابن موسى اليحصبي، (ت: 544 هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرون، دار الفيحاء، الأردن، ط2، 1986.

القرضاوي، يوسف، (ت:2022م)، أسماء الله الحسنى من كتابه وما صح عن نبيه، موسوعة الأعمال الكاملة (ج7)، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2022م.

القرطبي، أحمد بن عمر، (ت: 656 هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1417 هـ - 1996 م.

القرني، عبد الله بن محمد، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط2، 2008م.

القسطلاني، أحمد بن محمد، (ت: 923 هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ضبطه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996 م.

القضاة، شرف، العقل والنقل، محاضرة على يوتيوب بتاريخ 2023، https://www.youtube.com/watch?v=Oc2ZyCKWDEM

القضايا المبدئية والمصيرية الكبرى للإنسان، موسوعة الأعمال الكاملة (ج7)، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2022م.

قطب، محمد، (ت:2014م)، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1993م.

القفاري، مقالات الفرق، دار العقيدة، الرياض، ط 1، 1438هـ.

قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ – 1988م.

القِنَّوجي، محمد صديق خان، (ت: 1307هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني به: عبد الله بن إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412هـ – 1992م.

الكاندهلوي، محمد زكريا بن يحيى، (ت:1402هـ)، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، المحقق: ولي الدين بن تقي الدين الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1433هـ–2012م.

الكردي، راجح عبد الحميد، حلاوة الإيمان، هدي الإسلام، مج 15، ع4، 1971م.

الكرماني، شمس الدين، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، (ت: 786هـ)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ – 1981م.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، دون معلومات أخرى.

الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، (ت:380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت، دون معلومات أخرى.

الكنكوهي، رشيد أحمد، لامع الدراري على جامع البخاري، ضبط: محمد يحيى الصديقي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، 1395هـ–1975م.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن، (ت: 418 هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد، (ت: 1434 هـ)، دار طيبة، السعودية، ط8، 1423 هـ – 2003 م.

اللهيميد، سليمان بن محمد، شرح بلوغ المرام بطريقة سؤال وجواب، دون معلومات أخرى.

مالك بن نبي، بن الحاج عمر، (ت: 1393هـ)، الظاهرة القرآنية، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر، دمشق، ط4، 1420 هـ –2000م.

المباركفوري، رضاء الله بن محمد، بعض آثار العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع، الجامعة السلفية، دار التأليف والترجمة، مج 30، ع12، 1998م.

المباركي، أحمد بن علي، الانحراف العقدي: آثاره ونتائجه، رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي، مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، دون معلومات أخرى.

مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية،2004م.

مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية على الإنترنت net.dorar، 1433 هـ.

المحاسبي، الحارث بن أسد، (ت: 243هـ)، رسالة المسترشدين، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، سوريا، ط2، 1391هـ – 1971م.

محمد، جمال السيد، أهداف الأسرة ووظائفها، الوعي الإسلامي، س 61، ع 715، 2025م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م.

المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ)، علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"، دون معلومات أخرى.

مرحبا، إسماعيل غازي أحمد، تحرير محل النزاع في المسائل الفقهية، مجلة الشريعة للدراسات الإسلامية، الكويت، 2012م.

مركز صناعة المحاور، دلائل أصول الإسلام– المستوى الأول، ط1، 1438هـ.

مزروع، أحمد علي مصلح، آثار مساوئ الأخلاق في الانحراف عن العقيدة الصحيحة وعلاج ذلك–دراسة عقدية، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، ع41، 2024م.

المزروعي، أحمد بن مبارك، العقيدة الصحيحة صمام أمان من التطرف والفتن، مجلة الإصلاح، دار الفضيلة، مج10، ع53، 2016.

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، (ت: 742 هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبطه: د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م.

المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط10، 2004م.

مسلم، ابن الحجاج القشيري، (ت: 261 هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ت: 1388 هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة،1955م.

مصيلحي، عبد الفتاح محمد، سيل الأقلام بفوائد من كتاب العلم من صحيح الإمام (صحيح البخاري)، مكتبة العلوم والحكم – الشرقية، مصر، ط1، 1441هـ –2020م.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عطاءات العلم، الرياض، ط3، 2019 م.

منهج الأشاعرة في العقيدة – الكبير، دار منابر الفكر، دون معلومات أخرى.

موسى، ماهر عارف، وعطا الله المعايطة، دور الإعلام في العصر الحديث في ترسيخ العقيدة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مج 27، ع3،2019م.

الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن، ط 1، 1388هـ – 1968م.

موقع العرب، بتاريخ 2025/11/13م:https://alarab.co.uk

موقف الإسلام من العقل والعلم، موسوعة الأعمال الكاملة (ج8)، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2022م.

الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: 518 هـ)، مجمع الأمثال، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت: 1392 هـ)، دار المعرفة، بيروت، دون معلومات أخرى.

النبوات، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.

نخبة من اللغويين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط2، كُتبَتْ مقدمتُها 1392هـ– 1972 م.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420 هـ.

نعمان، ساجد صبري، العقيدة الصحيحة وأثرها على سلوك الفرد والمجتمع بين التأصيل والمعاصرة– دراسة وصفية، مجلة العلوم الإسلامية، مج2، ع4، 2019م.

النووي، محيي الدين يحيى، (ت:676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

الهامي، طالب بن أحمد، رجوع الدعاة إلى الله إلى مصادر التلقي الأصلية وأثرها في المواجهة الفكرية: العولمة الثقافية المعاصرة أنموذجا، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ع38، ج1، 2023م.

الهروي، أحمد بن محمد، (ت: 401 هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط1، 1999 م.

الهروي، نور الدين الملا القاري، علي بن (سلطان) محمد، (ت: 1014هـ)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، المحقق: محمد الصباغ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون معلومات أخرى.

ولد الددو الشنقيطي، محمد الحسن، مقابلة فيديو بعنوان هل دخلنا أعنف حرب على الدين في تاريخ الأمة؟ بودكاست الرحلة. https://youtu.be/Uzid2GszL7A

يوسف، حماد بن محمد، العقل في الإسلام، منزلته ومجالاته وعلاقته بالنقل، البصيرة مجلة الدراسات الإسلامية، 2020م.

يوسف، عبد الباقي، حديث عن الوسواس، المعرفة، س47، ع543، 2008م.

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

THE ROLE OF THE PROPHETIC SUNNAH IN PREVENTING DOCTRINAL DEVIATIONS: A STUDY BASED ON *SAHIH AL-BUKHARI*

By

Sayyed Abdulwahhab Mostafa Sayyed Ahmad

Supervisor

Dr. Mohammed Ragheb Al-Jaytan

This Thesis is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen), in the Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, and Palestine.

2026

THE ROLE OF THE PROPHETIC SUNNAH IN PREVENTING DOCTRINAL DEVIATIONS: A STUDY BASED ON *SAHIH AL-BUKHARI*

By

Sayyed Abdulwahhab Mostafa Sayyed Ahmad

Supervisor

Dr. Mohammed Ragheb Al-Jaytan

Abstract

This thesis seeks to examine the Prophetic methodology employed to safeguard the Muslim community from doctrinal deviations, particularly in response to contemporary intellectual challenges. The intellectual and educational approach of the Prophet Muhammad (peace be upon him) is demonstrated not only through the establishment of the principles of Islamic creed but also through the development of a comprehensive framework designed to protect the Muslim intellect from confusion, deviation, and ideological distortion. In this regard, *Sahih al-Bukhari* stands as one of the most authoritative sources, systematically preserving the foundations of Islamic belief and contributing to the formulation of an integrated epistemological framework for defence and protection.

The study utilizes inductive, analytical, and inferential methods to examine relevant texts and derive their conceptual implications.

The study is organized into four chapters. The first chapter presents the conceptual framework of the research, whereas the second chapter explores the primary causes of doctrinal deviation. The third chapter provides an analysis of the principles for safeguarding against doctrinal deviations, drawing upon *Sahih al-Bukhari*. The fourth chapter addresses the broader implications of the Prophetic approach to preventing doctrinal deviation.

The study concludes that the causes of doctrinal deviation can be categorized into three primary dimensions: internal factors, including ignorance; external factors, such as the

diminishing educational role of the family; and methodological-academic factors, exemplified by insufficient scholarly training. Additionally, the study delineates the essential characteristics of the Prophetic methodology in safeguarding the Muslim community through a series of preventive, remedial, and skill-based principles aimed at addressing doctrinal misconceptions and ideological challenges. Moreover, it emphasizes the beneficial impact of this Prophetic safeguarding on various facets of Muslim communal life, particularly within psychological and intellectual domains.

Keywords: Prophetic Sunnah, doctrinal deviation, *Sahih al-Bukhari*, intellectual safeguarding, epistemological framework, Islamic creed

D